

## نِسْجَةُ الْوَرْدِ الْكَافِرِ

قال فضيلة الشيخ الإمام محمد متولى الشبراوى : الملح هو ركني الختام للإسلام ، واستكمال نعمة الله تعالى على الإنسان ، لأن هذا الركن يتطلب كثيرا من تقوياته ، يتطلب عافية البدن للقدرة على الحركة وشفقة لسر وساعب السفر ، ويتطلب راحة ، ويتطلب أن يترك الحاج لكل من يوله في بلد قوته إلى أن يعود ، فالله يحسنه الله من كل ذلك يكون قد أتم عليه نعمة ربيته ؛ لأن نعمة الربوبية سبقت نعمة الأرومية ، فنعمة الربوبية عطاء من الله ، والذي يعطين لا يطلب منك أن تقول له : و ليك ، ولكن الذي يطلب منك هو الذي يتطلب أن تقول له : و ليك ، فالعطاء منارة من أعلى لأدنى ، ولكن طلب الأرومية هو الذي يحتاج إلى معالية النفس في : العمل كذا وهو لا يحب أن يفعل ، ولا تفعل كذا وهو يحب أن يفعل .

إذن .. فمرحلة التكليف في العمل ولا تفعل هي التي تتطلب أن يقول العبد فيها : و ليك يا ربى ، أى : إجابة لدعائك لى .

وأما عطاء الله له في النعمة فلا يتطلب منه أن يقول : و ليك ، والمؤمن حين يهتف بشعر الملح في قوله : و ليك اللهم ليك ، يلاحظ أنه يجب الله ، وإجابة الله إجابا تتطلب أن يخرج الإنسان عن اختياره فيما يرى أنه مريح له وأنه مسعد به ، إلى اختيار الله تعالى له .

والحق سبحانه وتعالى لم يكلف بالفعل إلا بعد أن أدى عطاء ربوبية كماله ؛ خلقنا الإنسان من عدم ، ولماذا له من عدم ، وموتة له على الحركة . بطاقات وأجهزة وأقمالات ، وكم من منفعل له انفعال منه .

ولذلك لا يطلب الله منا إلا التكليف ، وقيل التكليف بطل عطاء الربوبية سالما ، كما ظل عطاء الربوبية للكاثر أيضا . فعين يقول المؤمن : و ليك اللهم ليك ، أى : إجابة بعد إجابة ، لا يقول : و ليك يا ربى ، أولا ، وإنما يقول : و ليك اللهم ، أى : ليك فيما كللت به وأخرجتني عن مشبهات نفسي في انمل كذا ولا تفعل كذا . فكان المؤمن حين يقول و ليك اللهم و أرجب بالتكليف من الله ، ومعنى الرجيب



إذن .. فاطلع حينما تنظر إليه تجده موافقا لما رواه فيه من قول الله سبحانه : ﴿ هُوَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ فَتَنَيبِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ لَكُمْ الْإِسْلَامُ نَبِيًّا ﴾ [التوبة : ٣] لأنكم جميعكم في هذا قد استوفيت كل نعم تكون حياتكم : قدرة بدن ، وقدرة رزق ، وأمن طريق .

إذن .. فذلك هو الإجماع ، وكان الله تعالى يقول : لم أكلف إلا على قدر ما أصعبت من عطاء ربوبية ، ولذا شأوت حكمتي أن أقتصد شيئا من عطاء الربوبية فمن حكمتي أيضا ورحمتي أن أقتصد شيئا من التكليف .

ولذلك قلنا : إنه يجب أن نفهم أن لركان الإسلام ليست هي أركان العلم .  
أركان الإسلام يعتمدها المسلم ، ولكن يعتمدها سوطا هي شيء واحد : أن تؤمن بالله وأن تؤمن برسوله وأن تفعل . وأن تؤمن أن كان عندنا فائض ، ونصوم إن كانت لنا قدرة ، وأن نحج إن كانت لنا استطاعة ، فقد يكون الشئ ركنا في الإسلام ولكنه ليس ركنا في المسلم .

ولكن بالمعنى استوفى الإنسان كل أركان الإسلام فأدى مطلوبات الأروية بانفعل كلنا ولا تفعل كلنا ، لأن الله أدنى له كل نعم الوجود في حركات حياته بما لا بدع له مجالاً للتخفيف منه .

والحق سبحانه وتعالى حين يطلب منا إقامة هذه الأركان إنما يطلب منا السوية في التكوير الإنساني المراد لله تعالى ، وهو الاستخلاف في الأرض .

والخلاصة معناها : أن الله استغفله لعمارة هذا الكون ؛ ولكن الحق سبحانه وتعالى يتحمل عنه مقومات حياته ، فلا يطلب منه في مقومات الحياة الأساسية شيئا لأنه يهبها له . فمثلا : الشمس تشرق . الهواء يحر . المطر يتر . الأرض يستامر ما تعطيك ما قدره الله تعالى فيها ؛ وتعطيك الزرع .

وبعد ذلك إن أردت أن ترتقي أنت في نظرية الحياة ارتقاء فاعمل طاقاتك الخلقية لربك في الأرض الخلقية لربك .

ولأن أردت أن تعيش كما تعيش الأنعام تأكل مما تبت الأرض ، وتشرب مما يزل من السماء تيشع حينه الفقر ، عش عيشة الكسالى الغير متجهين .

## الصح إعلان بصلام نعمة الله على الإنسان

نلاحظ أن كثيرا من غير المؤمنين بأعدون على المؤمنين أنهم حين يفتح الواحد منهم بعض نفسه بالقب هو : الحاج فلان ، ويرزون ذلك شيئا من التعالى بتركي من أركان الإسلام لم يوجد في المصل فلان ولا في التركي فلان ، ولكن تقول : الحاج فلان . تقول له : لا .. إن هذا إعلان بصلام نعمة الله على الإنسان وقام نعمة الله في عطاء الربوبية يتأهبه تمام نعمة الله في تكليف الأروية ؛ لأنك ما حججت إلا عن قدرة ، وما حججت إلا عن غنى وعن فائض مل ، وما حججت إلا عن أمن طريق .

وبذلك هي استكسالات وسائل الحياة . فكأنك حين تقول : و الحاج فلان ؛ يعني : ثقب أن الله أنعم عليه إماما اتبع له إماما برسوله صلى الله عليه وسلم واقامة للصلاة ، وأداء للزكاة ؛ لأنه ما دام قد قدر له الاستطاعة على أداء فريضة الحج فلا بد أن يكون قد زكى ، وما دام قد قدر أن يحج فلا بد أنه صام .

إذن .. فكلية : و الحاج فلان ؛ دلت على أن المؤمن أصبح مستوفيا لكل أركان الإسلام ؛ لأن الله رفاه من عطاء الربوبية ما يجعله أملا ؛ لأن يكون مؤدبا لها .

وعلا بافتنا إلى شيء من رحمة الله بالخلق ، فمثلا : الإيمان الذي لا يكلف مجهودا ولا طاعة ولا حمل ظهر ؛ لأنه يفتن في القلب ، واليقين في القلب لا يفتن ولا يصمه ولما يكلوه فقد إسرائا ويكلوه نورا ، ولكن الصلاة التي تتطلب من الإنسان حركة من قيام وقعود وقراءة وتسيح الله سبحانه وتعالى على قدر ما أعطى من عطاء الربوبية كلف بصلام الأروية ، فهنا بصل قانما ، ومن لم يستطع صلى قاعدا ، ومن لم يستطع صلى قائما ، ومن لم يستطع صلى راغيا ، ومن لم يستطع صلى بغيرها على قلبه . إذن .. فالله لا يكلف تكليفا بالروية إلا على مقدار ما أعطى من نعم ربوبية . فمثلا الذي لا يكون عنده مال يصل إلى حد التصاب ويبرد عنه : لا يطلب منه أن يركي ، وللسافر والمريض يرضع لهما في عدم الصيام ، والذي يسافر ؛ يقتصر الصلاة . كل هذا دليل على أن عطاء الأروية في التكليف مناسبت لعطاء الربوبية في التشريع .

إذن .. فأين يذهب الأمر الزائد ؟ الأمر الزائد لا بد أن يفيض قهوماً رضى أو لم يرض إلى الغير .

إذن .. فكل حركة من حركات الوجود هي ناعمة ؛ تحرك بها مؤمن ، تحرك بها كافر ، تحرك بها طائع ، تحرك بها عاص .

إلا أن الفاعل إن جعل في بالله الله تعالى الذى وصف له هذا بأخذ ثواباً عظيماً في الدنيا والآخرة ، وإن لم يجعل الله تعالى في بالله يأخذ حظه من الدنيا ، ولا نصيبه له في الآخرة .

○○○

أما إن أدركت أن تُعتمد نفسك إسماعداً آخر فانفعل مع الأشياء التى خلقها الله تعالى لك والأشياء التى خلقها الله للإنسان لو نظرنا إليها لوجدناها : شيئاً يعطيك إن طلبت منه . والشئ الذى يعطيك وإن لم تطلبه منه . وتستطيع بعد ذلك أن ترقى رتقاً آخر يعطيك إن طلبت منه .

ثلاث مراحل : فالأشياء التى تعطيك مثلاً وأنت لا تطلب منها كالنظر . فأنت لا تطلب النظر ، بمعنى أن تقول له : انزل لى . ولكن الله ينزله لك . كذلك لا تطلب ضوء الشمس حرارة ودخا وثورا وإشراقا ... إلخ ، بل الله يأمرها فنعينك ، وكذلك لا تطلب من عناصر الأرض شيئاً بل هى تعطيك بهاذن ربها ما شاء لها أن تعطيك . ولكنك تجد شيئاً آخر إن انفعلت فيه انفعل لك .

فالأرض مثلاً إن بدلت فيها ورويتها : أفتفتك وإن لم تفعل : لا تعطيك . إذن .. ففى الكون أجناس تعطيك وإن لم تطلب منها ، وذلك الناس فيه سواء وأنباء إن انفعلت معها انفعلت لك وأعمالك .

وبها يختلف الناس قوة وضعفاً وحضارة وارتقاء ؛ فالذين يفعلون فيما يفعل لهم هم الذين يمدون . فالذى يحرق الأرض ويورق الزرع ويحرق على أن يضع في الأرض البذرة التى تناسبها يرتقى .

والذى يعطيك وإن لم تطلب منه إذا انفعلت معه انفعل معك وأعطاك شيئاً جديداً ترتقى به ؛ وعند مثلاً : حينما عرت الحاقة على الناس وفكروا فى بدل للعاقبة ؛ وكان فى البداية : المشيب والمطيب ؛ ثم الفصح ، ثم البزيرين ... وكل هذه رسائل طاقة ، ثم فكر وارتقى وأخذ الحاقة من الشمس .

إذن .. فالشمس كانت تعطيك وإن لم تطلب منها ، ولكن بالارتقابات الثانية أصبحت تعطيك إن طلبت منها ، تأخذ من حرارتها الزائدة وتخزن وتنفيد منها . تلك عطائيات من عطائيات البرية للخلق جميعاً . واختلافهم فى هذا يختلفون رتقاً وحضارة وارتقاء . الإنسان منا حين يفعل فيما يفعل له يأخذ شيئاً من خير الوجود فوق الآخر . حلاً الذى يأخذ من خير الوجود فوق الآخر لى يأكل ، يطين ، ولين يأكل يضمن ، راقياً من رتبة كرتية الآخر .

## فى الإسلام المساواة .. وعدم التعالى

حين يتعالى الناس بالأشياء ، يبرده الحق سبحانه وتعالى أن يحلهم خلعا من تعاليهم ، حتى يضمن تعادل الخلق . ومعنى تعادل الخلق : الاستطراق الأدنى فى الكون ، ومعنى الاستطراق الأدنى أن لا يتعالى أحد على أحد ، لأنك إن تعاليت على أحد بمظهر من مظاهر حياتك فانظر : أهدأ المظهر ذاتي فيك كم موهوب من الله تعالى لك ؟ والفرق بين اللاتى والموهوب أن اللاتى يظل معك والموهوب يمكن أن يُستلب منك .

فإن تعالَى واحد على واحد يتوق ، أهدوم له قوته مله ؟ أم من الممكن أن يضعف غداً ؟ ولو تعالَى واحد على واحد يتوق ، أمن الممكن أن يدوم له غناه مله ؟ أم من الممكن أن يذهب عنه غداً ويصير فقيراً يسأل الناس ؟

إذن .. فكل أمر ليس ذاتياً فإن الله تعالى يضع فى تشريعمه وفى منهجه ما يدرك هذا التعالى . هذا التعالى الذى نسميه « الأغيار » ، ومعنى الأغيار : هى الأشياء التى لا تجت عند تكوين واحد .

وما دامت لا تجت عند تكوين واحد ، فلا بد أن يكون لها مكون أعلى من ذلك الواحد .

إذن .. فكل وسائل تعالَى الإنسان ليست ذاتية فيه وإنما هى موهوبة من الله تعالى . فإشاه الحق سبحانه وتعالى بما شرع من أركان الإسلام أن يضمن ذلك ليظل الإنسان مستخلفاً فى الأرض ، ليس أصيلاً فيها ، لأن الذى يفسد الكون أن الإنسان يظن أنه أصيل ، فيستغنى .

فقول له : إن كنت أصيلاً فحافظ على مقومات تعاليك ! وما دمت لا تستطيع أن تحافظ على مقومات تعاليك فلست أصيلاً . وقرأ قول الله تعالى : ﴿ مَلَأَ إِرَّةَ الْإِنْسَانِ كِبَارًا ۚ أَن يَسْأَلَ كَسْتَهُ ۚ ﴾ [العلق ٢] .

فما دمت استغنيت بشئ ليس ذاتياً فيك فأكذب بعض الشرع ، وإذا تأدبت بعض الشرع فستذكر الزاهب لك ، وإذا ذكرت الزاهب لك فستنسى منهجه .

ولذلك كانت أول الأركان أن نشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛ خاصين لأوامره . وما دمت أنا وأنت خاضعين لإله واحد فذلك أول مظهرية من مظاهر التساوى ، وما دمتا تساوينا فى مله فالخلق سبحانه وتعالى يدعونا إلى إعلان مله التساوى فى أول ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهو الصلاة .

فإذا نودى للصلاة سمى الناس جميعاً إلى بيت الله ليؤدوا الصلاة وسمى الناس ساعة النداء لا يترتب مقاماتهم ، ولكن يترتب إحتاجهم للأذان ، فالذى سمع الأذان ويأمر متوجهها يذهب أولاً .

كل مله يدل على أننا جميعاً نصدر عن أمر واحد ونهى واحد ، فلا تعالَى لإنسان على إنسان .

وحين يكون الإنسان عبداً لله تعالى يكون غيره عبداً لله أيضاً . ويقولون دائماً : « عيذُ غيرك حُرٌّ منك » ، حتى فى البشر ، لو أن إنساناً عنده عيد ، مله العيد عندك أنت عيد فقط ، أمّا صاحبك فلا يقول له أنت عيد ، لأنه عيد لغيره .

وكذلك الإنسان ، إذا ما استحضر عيودته لله وعيودته غيره أيضاً لله شئع مبدأ التعالَى فى الأرض .

○○○

## المساواة في الصلاة والحيح

إن الصلاة حين تدعى إليها لجميع جميعا ، لا بأقدارنا في ذواتنا ، ولكن بأقدارنا بالنسبة لنهج الله ، فالذي يسرع خطاؤه ساعة بسبح المبدء إلى المسجد ، يذهب أولا ليجلس في الصف الأول ، ولا يواخمه من يأتي بعده ، ويتبع على المسلم أن ينحني الرقاب ليصل إلى صف لم يؤمله زمنه له (١) ، وبعد ذلك تكون أقدار الناس واحدة ، فالمعظم يراه من دونه في حركة الحياة ، وهو ذليل من ربه ، وساجد بوجهه منته ، وضارح إلى الله دعاء ورجاء .

إذن .. فالمنظمة والأجهزة خارج المسجد التبت ، وكل واحد منا شهيد الغير على مشهيد من الدالة لإله واحد . حين يرانى من هو أعظم منى في حركة الحياة خارج الصلاة ولأرى من دوني يرانى منته ؛ استطرت الحياة ، واستحى الإنسان بعد ذلك حين يخرج من المسجد أن يظهر عليه القمالي ؛ لأنه سجد لمن سجد له ، وركع لمن ركع له ، وبكى لمن بكى له ، وتضرع لمن تضرع له . إذن .. فالمساواة هنا واحدة ، وما دامت المساواة واحدة فإن مبدأ الاستغناء والقمالي في الخلق لا ينفى .

وكان الحق سبحانه وتعالى يريد بذلك في ركن الصلاة أن يلمن ذلك الصارى ، ولكن إعلان الصارى في الصلاة يقولون إنه إعلان يقين ، يقين : كل جمعة في مسجد من المساجد رأوا بعضهم البعض في عبودية وضراعة وخضوع وذلالة لله تبارك وتعالى . ويريد الله أن يعين لهذا الاستطراق ليس بيعة محدودة ، بل بيعة عالمية . نعمالية الاستطراق لكل أجناس أهل الأرض ، الأمم القوية ، الأمم الضعيفة ، الغنى ، الفقير ،

(١) روى أبو داود [١١١٨] والشمالي في السنن الكبرى [١٧٠٦] وأحمد في المسند [١٨٨/٤] وابن

حيان في صحيحه [٢٧٩] واللفظ له عن عبد الله بن بسر رضي الله تعالى عنه قال : و كنت جالسا إلى جنب النبي يوم الجمعة ، فجاء رجل ينحني رقاب الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يحط بالناس ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : اجلس فقد أديت رقبتك . وقال الأثرثاؤد : إسناده صحيح على شرط مسلم . وهو عند ابن ماجه [١١١٥] عن جابر رضي الله تعالى عنه ، وصححه الألباني .

صاحب الجاه ، هذا استطراق ينفى في الحيح الذي نصح إليه وقد نسبت أقدارنا . ولذا كن يؤتى الله تعالى فينا مقومات هذا الاستطراق فيقول : إنكم تختلفون في بيتكم ، وتختلفون في حياتكم ، وتختلفون هذا الاستطراق في لباسكم . فكل واحد يحمد مكانه في مجتمعه وعند ربابه ونوع الأفضة ونوع التفضيلة ، ونوع الهيئة التي عليها : منسولة جينا أم لا ، مكرمة أم لا ... وهذه الهيئة تختلف فيها مقامات الناس ، فيريد الله أول كل شيء في الاستطراق أن يتخلع هذه الهيئة جميعا ، وأن نلبس لباسا واحدا لا نختلف فيه أبدا . حتى نطلع أول نفوذ الهيئة الإنسان ؛ لأن من الذي يعطى النعمة الإنسان ، فهو ماله الذي في البرك ، أو ماله الذي عنده في الخربة ؟ أمي ضيعته . أمي عمارته ؟ هل ساهل العمارات أو الشيكات وأقول للناس ها أنا ذا ؟ بالطبع لا . إنما الذي يبين مكانته الإنسان في مجتمعه هيته ، فنقول له : أول شيئا في الهيئة أن تنتهى حتى تعقبها . لا تتفعل ولا تتخبط ، ليس فقط قماشها ، لا ، وبأني بالإزار والرداء ، كلنا بلازار ورداء يكاد يكون كله شكلا واحدا ويكاد يكون كله نوعا واحدا ، وإذا ما لبسنا لباسا واحدا انتهت أول مظهرية من مظاهر التمايز والتماثل بالهيئات والزيارات .

وبعد ذلك يخرجنا الله عما ألف : من أهل ومن ولد ، ومن مال ، ومن بيته ومن حيازة ربيته ، ومن وسائل مرفهية في تنقلاته ، كل هذا يخرجنا منه .

وبعد ذلك يعلمه أدب الجوارح . فيقول له أنت كنت حرا في أن تحريرين ، وأن تطيبين ، وأن تقصير شعرك ، وتعلم الظلوك . لا . التزم هنا ، أنت فقط تحريرين وتطيبين وتستخدمين إلى أن تحرم ، وقبل ذلك أنت حرة في أن تُرجل شعرك وكذا ... الآن إياك أن تفعل شيئا فتسقط شعرة .

انظر إلى الأدب مع اللغات ، إياك أن تسقط شعرة منك ، إياك كلنا ، إياك كلنا . أدب في تكوين اللغات ؛

ولأدب مع الجهاد ، ولأدب مع النبات : إياك أن تقلع هذه الشجرة . إياك أن تصطاد هذا الحيوان . ولأدب مع الناس : إياك أن تجادل ، إياك والفسوق ، فأخرجنا الله تعالى من كل مقومات تكويبه ، ومقوماته : وطنيا ، أهليا ، مالا ، هداما ، كل هذا يخرجنا منه .



إذن فالإنسان هو السيد . وما دام هو السيد فحقه كم عبد ؟ الحيوان عبد ولكن الحيوان عبد وسيد أيضا ؟ لأن النبات يخدمه والجماد يخدمه ، إذن فهو عبد لمن هو أعلى منه ، سيد لمن هو أدنى منه ، لأنه يأكل من النبات ، وكل المصالح التي في الأرض تنفعه .

والنبات : سيد ، ولكنه عبد للحيوان وعبد للإنسان ، وسيد للجماد ؛ لأن الجماد هو الذي يعطي له غذاءه وعناصر تكوينه .

والجماد : عبد للكل . إذن .. فهو أدنى منزلة في الوجود .

فإنه سبحانه وتعالى أدنى مع نفسه حركة وحسنا . وأدنى مع النبات ، لا أقله ، وأدنى مع الحيوان فلا أضراره ، يبقى أن يولّى مع الجماد ، فجعل حجرا يوضع في الكعبة ، ويقول لي : لا يصلح حجك أو صرتك إلا بأن تسلم عليه ، أو تقبله أو تلمسه ، أو حتى تشير له فقط !!

إذن .. الإنسان الأعلى يخضع هنا لهذا المجر الذي هو الأدنى ؟ نعم .. فهذا هو الاستطراف ، النظر كيف أنزل الله الإنسان من كبرياء سيادته إلى أدنى السيد والمخلوقات وهو الجماد .

إذن .. فالإنسان استوفى كل الاستطافات مع الكون ، ويصبح عظيمة كل فرد في الكون بأداء مهمته ، لا يوجد شيء عظيم بملكه ، ولكن عظيم بأداء مهمته .

وما دام بأداء مهمته ، فمن له اختيار في أداء مهمته ؟

إذن .. فلا تعالى لحيوان على نبات ، ولا نبات على جماد ، ولا شيء من هذا ، إنما تعالى من الإنسان على هذه الأشياء .

ولذلك في الملح - وهو الركن الخامس الحام لأركان الإسلام - يقول له : الهم أدبك والزم حملك والزل من سيادتك إلى أن تتقف حتى تستلم هذا المجر .

وحسب لا تنهم إله حجر لأنه حجر ، لا .. فكان مراد الله تعالى أن يزل الجنس الأعلى إلى الجنس الأدنى ، فأصبح ذلك مشروطا في صحيح الإيمان .

إذن .. هو أدب مع الكون : بداية مع النبات يقول له : إياك أن تطلع هذه الشجرة ، أثر كبرها ، إياك أن تصطاد هذا ، إياك أن تقتل أسدا ، إياك أن تجادل أسدا ، إياك ... كل هذا لأنك ذاقب إلى بيت الله .

ما معنا ؟ ما هذا التقلب الجديد الذي يأتي الإنسان الذي استكمل كل مقومات الحياة ؛ لأنه ما أصبح مستطيا للمحج إلا رصده كل شيء تنفع إلى أن يعود ، فحينئذ يقول له : تأدب إذن هنا .

وبعد ذلك يذهب إلى البيت في أدب من لرق أنواع الأدب : مجموعة أحجار ، الله تعالى نفسها في مكان البيت وقال لك : طف حولها ، وحج منها ، بكل هذا المجر ، أو يكفي أن تسلم عليه مباشرة . إنما رضىك أنك لا بد أن تلمس المجر ، فتحاول وتلمح حتى تلمسه ، وإن لم تلمسه تقول لا بد أن أطرف مرة ثانية حتى ألمسه !! فما هذا المجر ؟

إنك لو نظرت إلى أجناس الوجود وجدت هذا الجماد هو الجنس الأدنى في الوجود ؛ لأن أجناس الوجود إن تفاوتت ؛ وإنما تفاوتت بقدر تعاضدها في المصالح ، الإنسان لماذا هو السيد في هذا الكون ؟ لأنه مستغنى عن الأجناس كلها بأن عنده فكر ، يوره الله بهما التفكير عن الحيوان ، مع أن الحيوان له أجهرة وله دورة دموية ، ودورة كذا ؛ لكن ليس عنده الفكر .

إذن .. فانا أعدت خاصية الفكر ، وهو نقص فيه . فصار جسا أدنى بمقد خاصية الكمال فيه .

والحيوان أيضا زاد على النبات بالجنس والحركة ؛ والنبات زاد على الجماد في النمو ، فالمحجرة تنحل مقلدة وتطوّر بالأقدام ، أما النبات فينمو وفيه حياة .

إذن .. فوجود تعاليات في الأجناس : جنس أدنى ، يأتي له نحو فيكون نباتا ، وآخر يأتي له حسن وحركة فيكون حيوانا ، وآخر يأتي له كل هذا ثم يوره الله تعالى بالفكر فيكون إنسانا .

## البكاء عند رؤية الكعبة

كثير من الناس يقول لك : أنا حين أدخل البيت أو أطوف تتأني حالة من البكاء لا أعرف لها سببا ، فإذا سألتك لماذا تبكي ؟ لا يجيبك بشيء ، البكاء هنا غسول لكبرياء ماضيه ، فبأنى أسفه هذه الكعبة التي هي منية من هذه الأحجار وفيها الحجر الأسود فيظل يبكي . وهذا البكاء هو مظهرية الضعف ومظهرية الخوف .

لأن الإنسان بغضته التكبرية أدرك أنه كان يوجد تمايلات متعددة . التمايلات كلها ذهبت ، ولكنها أتت من العقل الباطن ، وهو لا يشعر بها ، ولكنه عندما يبكي ، ويظل يحكي أنه يبكي بشيء من الفرحه ، فهذا دليل على أن البكاء صنع معه توازنا كيماويا في ذاته ، كنية الكبرياء التي كانت عنده منخبة توازن انتهت ، ففرتاج .

إذن .. فكأن تكبرين من التكبريات بأنى على نفسه إن كان على غير ما أراد الله وشيعة . فعندما يبكي على قدر ما أسرف ، وعلى قدر ما أتى وعلى قدر ما خالف ، فيجد نفسه ارتاحت ، ثم يشتاق إلى ما يبكيه ، ويشقى أن يأتي مرة ثانية ويبكي كما يبكي المرة الأولى .

ولذلك لا يبكي كل مرة مثل الأولى ، في المرة الأولى يبكي بحرارة شديدة ، أما التي بعدها فيبكي أقل ، والتي بعدها أقل ، حتى يأتي عنده استطرار صفائي ويوجد نفسه وذواته وتكبرياته اعتدلت في ذاتها ، وما دامت ذواته اعتدلت في ذاتها فقد أصبح إنسانا سوية ، وما دام أصبح إنسانا شويئا فقد أصبح راضيا <sup>(١)</sup> .

(١) ورد في السنة للشفقة على صاحبها صلاة الله تعالى وسلامه عند دخول مكة رؤية الكعبة ودخول المسجد الحرام ما يلي :

أولاً : عند دخول مكة المكرمة : « الله أكبر ، اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، فبقيا زينا بالسلام . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزورا ، زد من عظمته أو اعظمه تكريما وتشيديا وتعظيما وزورا » <sup>(٢)</sup> .

(٢) رواه البيهقي في الكبرى [٨٩٠هـ] وابن أبي شيبة في مصنفه [٢٩١٢هـ] من مكحول رضى الله عنه .

إذن .. فالجنس الأدنى أصبحت منزلته هنا والجنس الأعلى سواه ، ولكن بإيالة أن تفهم أن المجرية هنا غلط : لأن الذي أدرك هنا أن تسلم هذا الحجر وتقبله أو حتى تشير إليه إن لم تتمكن قال لك لرحم حجرا آخر ، حتى يخرج من فمك أن هناك سيادة الحجر كجنس .

فصحيح كل المسائل منتهية في أنه لا جنس أفضل من جنس إلا فيما يؤدي به كل جنس مهمته . وكل جنس من الأجناس ما عدا الإنسان يؤدي مهمته ، فلا تعالى بينهما أبدا ، لم فرأبما شجرة تفتح ثمرات على شجرة طماطم ! ولم فرأبما طاورسا تعالى على أرنب ، كل شيء في الوجود لازم حده أدبه موده لمهته إلا الإنسان : هو كذا إنك الآن أنت يفتقر <sup>(٣)</sup> أن رتبة استتقى <sup>(٤)</sup> [المع ٢] . فإذا ما ذهب الإنسان وخالف حول الكعبة حيثما يستشعر ذل العبودية ، ويلزم حمله .

○○○



وقد كان هذا ولا يزال في الدنيا ، وكل واحد مشغول بنفسه ، ولذلك السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها لما أخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ستعشر حواء قالت : يا رسول الله : الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض وهم عرياناً ؟ فقال : الأمر أكبر من أن يحسبهم هذا ، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه <sup>(١١)</sup> . وكذلك ترى هذه الصورة في الحج .

○○○

(١١) رواه البخاري [١٥٢٧] بإسقاط : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تعشرون حواء مرة عرياناً . قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : الأمر أكبر من أن يحسبهم ذلك » .  
ورسالم [١٢٨٥٩] والبيهقي [٥١٧٢٨٥٩] وابن ماجه [٢٠٨٤/٢٠٨٦] وابن ماجه [٢٤٧٧٦] وأحمد في المسند [٥٢/١٦] من عائشة رضي الله تعالى عنها .

ثم إننا نلاحظ أن الناس جميعاً في هذا المقام - وهم لا يزالون في الدنيا - كل واحد حول الكعبة مشغول بأن يستحضر : بماذا يدع ، ماذا يقول ، كيف يحيى ، وقد أصبح مذموراً ضمن حوله ، يعني أنه لم يعد مشغولاً بالخلق ، لأنه في بيت الخلق ، وما دام في بيت الخلق فهو لاء الناس لم يعودوا يشغلوا به ، ولذلك تجد الناس يقفون : يا أنبي النساء والرجال يخطبون في الحج والرحام كلها وكذا ١١  
وهل يشعر أحد بشيء ، فإني رأيت تطرف المرأة الأجنبية في كفان وأنت لا تدري من يعزرك .

- اللهم إني هذا الولد بينك ، ولبيت بينك ، جئت إليك رحلت وأؤتم - وأحمد - طاعتك ، شيتاً لأمرك ، وأهلاً بقورك ، فليلاً لأمرك ، أسألك سعة العسر إياك ، العسر من عبادك أن تعطيني وإن تجاوز حتى رحمتك ، وإن تعطيني حتى <sup>(١٢)</sup> .  
ثانياً : عند رؤية البيت الحرام : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وذكرى ، وتطييباً ورواً <sup>(١٣)</sup> .  
ثالثاً : عند دخول المسجد الحرام يدخل برجله ليسى ويقول : بسم الله ، وأحمد الله ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، والفتح لي أبواب رحمتك <sup>(١٤)</sup> .  
رابعاً : عند رؤية الكعبة المشرفة تقول شيئاً إليها بينك البني : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله ، لا إله إلا الله : اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتطييباً وذكرى .  
وهجاء <sup>(١٥)</sup> . اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، جئتاً ربنا بالسلام ، اللهم إني أؤد رب البيت من الأكبر والآخر ، ومن شيع العسر ، ومن غلب الغر . اللهم إني أسألك رحلتك وحلب ، وأؤد بك من سفطك والثر . اللهم لأعطي الجنة بلا حيلة عذاب ، ولا حائفة حساب ، وحسبي يا رب حسبي يسرا بيورك وكرمك وأحسانك ، أستغفر الله ، أستغفر الله العظيم وأتوب إليه ، اللهم صل على النبي محمد وعلى آله وأصحابه وأئمة وسلم تسليماً كبيراً .

(١١) ذكره صاحب شرح المذهب ، ونقله في الدين الطاهر .  
(١٢) رواه الطحاوي في مسنده [٢٨٥] من ابن جريج رضي الله تعالى عنه .  
(١٣) رواه ابن ماجه [٢٧٢٦] من طائفة بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد يقول : « بسم الله وأسلم على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، والفتح لي أبواب رحمتك » . وهو يروي [٢١١] ، وأحمد في المسند [٢٨٢/١٧] وقال الألباني : صحيح لغيره بوزن قوله : « اللهم اغفر لي ذنوبي » حسن .  
(١٤) سبق تدرجه .

هنا ، ونعظم هذا ... لا نعظم المكان الذي كنت توجه إليه في بلدك فقط ، لا . إذن ..  
فلا بد أن تعرف<sup>(١)</sup> .

○○○

(١) وذلك تحية المسجد المعلوم ليس بسلامة ركعتين كنية للمسجد وإما هي بالمطواف حول البيت  
سنة أتموا ، ورسلي دليل ذلك إن شاء الله تعالى في المطواف .

## سر الاتجاه للكمية

الإنسان منا حين يكون في بلد يتجه في صلاته إلى الكمية اتجاهها مضبوطا ، يعني :  
تجهه شرق ، وتجهه شرق ، توجهه غرب ، توجهه غرب حسب موقعا من البيت ، فمثلا  
الذي في القسم الشرقي يتجه للغرب ، والذي في القسم الغربي يتجه للشرق ، والذي  
في القسم الشمالي من الكمية يتجه للجنوب ، والذي في القسم الجنوبي يتجه للشمال ،  
والذي في الجهات الفرعية توجهه بحسب جهته .

إذن .. فلكل مكان في الأرض شئنة ثابتة ، القبلة التي نصل إليها هنا هي القبلة كل  
يوم لا تتغير .

إذن .. لماذا في سيالي الكمية اتجاه وخط ؟ لأنني غالب متبتم وبعيد عنها .

إذن .. فأتجاهي هنا ، وللقابل لي في ظاهره اتجاهه غير اتجاهي ؛ لأنني متجه شمالا ،  
وهو متجه جنوبا ، ومثلا متجه شرقا وهذا متجه غربا .

وحسب جاك هذا ، يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَزَيَّنَّا لِلْجَنَّةِ أَبْوَابَ رَبِّكَ يُخْرَجُ  
الْمُسْلِمُونَ مِنْهَا وَلَهُمْ فِيهَا نِسَاءٌ مُكْرَّمُونَ وَهُمْ فِيهَا يَمُوتُونَ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ وَهُمْ فِيهَا  
لَا يَسْتَكْبَرُونَ وَهُمْ فِيهَا هُمْ مُقَرَّبُونَ وَهُمْ فِيهَا مُقَرَّبُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٠] .

﴿ فَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُصَلُّوا بِلِهَاجِكُمْ إِلَى اللَّهِ تَبَدُّلًا ﴾ [البقرة : ١١٥] يعني : إياك أن  
تعتقد يا من توجهه إلى الشرق أن الله في الشرق ، وإياك أن تعتقد يا من توجهه إلى الغرب  
أن الله في الغرب .

لا .. كل مكان فيه متجه ، فإذا ما كنت غربيا كان لك متجه فلأن اتجاهه مثلاً ناحية  
الركن اليساني ، وآخر يتجه ناحية الركن اليماني ، وثالث يتجه ناحية الركن الشمالي .  
فإذا ما ذهبنا هناك إلى أي متجه توجهه ؟

نحن كما توجه في الغيب للمكان الذي يؤدي بنا بخط معتدل إلى الكمية .  
فإذا ذهبت أنا هناك . أتجه إلى المكان الذي كنت أتجه إليه في بلدي ؟ لا .. أصبحت  
الكمية كلها لك متجهاً ، فلا بد أن نعظم كل مكان في الكمية ، نعظم هذا ، ونعظم

## أول بيت وضع للناس

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يُبَيِّنُ وَيُذَكِّرُ﴾ [٢١: ٢١] ،  
 إن بعض الناس يقولون أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى البيت . ولكن هذا القول نرد :  
 لفهم القرآن معاً . إن محل هذا القول يوافق القرآن ، لأن القرآن قد قال : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يُبَيِّنُ وَيُذَكِّرُ ﴾ وهذا يوضح أن إبراهيم كان من قبله أناس سابقون له .  
 إذن .. فكيف لا يكون للناس من قبل إبراهيم بيت ، وكذلك للناس من بعد إبراهيم<sup>(١)</sup> .

(١) من أنى فرضى الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أنى مسجد وضع في الأرض أول ؟  
 قال : هـ المسجد الحرام هـ قال : قلت : ثم أنى ؟ قال : هـ للمسجد الأقصى هـ قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم أينما أدركك الصلاة بعد فليأتها ، فإن العمل لله هـ .  
 رواه البخاري [٢٣٤٢٣٦٩٥٢٠] ومسلم [٢١/٥٢٠] ، وابن ماجه [٣٧٥٢٦] ، والبيهقي في الدلائل [١٤/٢١] ، وأحمد في المسند [٥/١٥٠] .

ومن غلط من حرره قال : سأل رجل محمداً رضي الله تعالى عنه من هو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكنه أنزلني بيكارة ﴿ وَإِنَّا أَنْزَلْنَاهُ يُبَيِّنُ وَيُذَكِّرُ ﴾ [٢١: ٢١] هو أول بيت وضع في الأرض ؟ قال : لا ، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة والهدى ، وبني إبراهيم عليه السلام : أن ابن أبي يافا في الأرض ، كيف بناؤه . هـ إن الله تبارك وتعالى ، أنزلني إبراهيم عليه السلام ، رضي ربح ضريح لها رأس ، فليج احصها فضاع به فزكا ، ففرس الله هو رجل وله المسكبة ، رضي ربح ضريح لها رأس ، فليج احصها صاحبه حتى انتهت ثم تطوقت إلى موضع البيت تطوق الحية ، فبنى إبراهيم ، فكانت بيني هو سابقا كل يوم ، حتى إذا بلغ مكان الحرم ، قال لأبيه : ابني حرمي فاقس ثم حميها حتى أتته به ، فوجد الحرم الأسود قد ركب ، فقال له أبوه : من أين لك هذا ؟ قال : جاء به من لم يكل على يافا هـ جاء به جوبل عليه السلام ، من السماء فأكف . قال : فسر عليه الحرم ، فلهدهم ، فبنت المساقفة ، قال : فسر عليه الحرم ، فلهدهم ، فبنت الحرم ، فبنت قريش ، فبنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد رجل شاب ، فلما رأوه أن يروا الحرم الأسود اختصموا له ، فقالوا لكم بيتنا أول رجل يدخل المسكبة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من خرج عليهم ، فقص عليهم أن يحلوه في حرم ، ثم رفته جميع القبول كله هـ . قوله : ضريحه .

## من أسرار الطواف .. ولماذا سبعاً ؟

قالوا : في الطواف كان يمكن أن يكون مرة ، حتى يحقق هذا النبي ، وأما حين أصبحت في الكعبة مشاعداً لها ، فكل مكان فيها يجب أن تطعمه .  
 وقالوا : إن الكعبة على شفت البيت الممور . يعني : أنه فوقها ، فكان جو الكعبة ملأ بصوت في الجو إلى أن يتدفق إلى البيت الممور .  
 قالوا : يقولون في الممر الثالث من الكعبة وفي الحرم ، يجتهدون بوجوههم إلى أي شيء ؟

مل ينظر للمصلي إلى أسفل لينظر إلى الكعبة التي هي أسفل منه ؟  
 أم ينظر أمامه أيضاً ؟ بالطبع ينظر أمامه في محل سجوده .  
 وإلى أي شيء وجهه والكعبة ارتفاعها لا يتجاوز عدة أمتار ، فهي لا تغاذي حتى الممر الأول فضلاً عن الثاني والثالث ؟

قالوا : وجهه إلى جوها . وكذلك من هو أعلى من ذلك وجهه إلى جوها ، فمن يصلي في الطائرة أيضاً وجهه إلى جوها ، والذي يركب المصاريف أيضاً وجهه إلى جوها .  
 إذن .. جوها بداية من أول مقامها في الأرض إلى أن تنتهي بالبيت الممور .  
 فكل طواف تطوفه حول البيت يثقل مصعباً ومراجاً من مدارج السماء ، حتى إذا ما قضيت السبعة أشواط كانت حرجت إلى السج سمارات ، ولكن بشرط أن يكون بالسماء الإشرافي .

فإذا ما جئت وذهبت لفصل ركعتين بعد الطواف مثلاً فمن الناس من يقول : لفصلها عند مقام إبراهيم هـ ومقام إبراهيم بعد من الكعبة يقابل خمسة أمتار .

○○○



اسمه البيات . و ه البيات ه حل هو البيات الجاهد أو البيات المصلح التامى الذى مهمها أخذت منه فانه ينمو أيضا ؟ ، ونحن فى حياتنا العادية نقول : إن هذا المال فيه بركة مهما صرفت منه فانه لا يتبقى . أى : أنه ثابت لا يضيع ويعطى ولا يتبدد ، وكلمة ه بركة ه صرفت منه فانه لا يتبقى : نجمع من الماء تأخذ منه بعض الماء ، ولكن الماء باقى إليها مرة أخرى ، وكلمة ه تبارك الله ه تعنى ه ثبت الحق ه ولم يزل أزلا ولا يزال هو واحد إنه ثابت الباقى ، وهكذا نجد أن البيات فى معنى البيت الحرام ، إن البيت الحرام مبارك ، ولذا سأل أحد كيف ؟ رد على هذا السؤال : أليست تضاعف فيه المسبة (١) ؟ وهل هناك بركة أحسن من هذه ؟ وهل هناك بركة أفضل من أنه بيت نجى إليه نبرات كل شىء ولا تقطع ، فقد كان الراسل إلى البيت الحرام يأخذ معه حتى الكفن ، ويأخذ الإبرة والحيط ، واللحى ، والآل فإن الرزق لبيت الله الحرام باقى بكلمات الحياة من هناك .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ (٢) ما هو الهدى ؟ قلنا : إن الهدى هو الدلالة للوصول للغاية ، ومن نور البيت الحرام يخرج من ذنبه كبره ولدته أمه (٣) ، فهل اصدى للجنة لم لا ؟ إنه يعرف بهج البيت الحرام الطريق إلى الجنة ، وحينما ننظر إلى هذه المسألة نجد أن الحق سبحانه وتعالى لما تكلم عن البيت ، لم يكلم إلا عن آية واحدة فيه مع أن فيه آيات كثيرة ، قال الحق : ﴿ فِي زِينَةِ بَيْتِهِ ثَمَنٌ كَثِيرٌ قَدْ آتَى اللَّهُ نَبِيَّكَ عَلَيَّ النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَلْجَأَ بَيْتَهُ سِوَالِ مَنْ كَرِهَ فَإِنَّ اللَّهَ يَخْرُجُ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧] ، إنما نجد صيغة الجمع موجودة فى قول الحق : ﴿ فِي زِينَةِ بَيْتِهِ بَيْتٌ ﴾ ، وبيات هى وصف الجمع ، وبعد ذلك قال الحق : ﴿ ثَمَنٌ كَثِيرٌ ﴾ ، تدل على الآيات البيات ، وقد يقول قائل : اليس فى المقدور أن نضيف الأمان للمنتحى لمن دخل البيت مع مقام إبراهيم ، لتكون هذه هى الآيات

(١) من أين معرفة رضى الله تعالى عنه أن لى صلى الله عليه وسلم قال : ه صلاة فى مسجدى على غير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ه . رواه البخارى [١١٠٩] .

(٢) من أين معرفة رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ه من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسد رجع كما ولدته أمه ه . وفى رواية : ه كبره ولدته أمه ه . رواه البخارى [١١٠٩] .

مكنا يتبين أن البيت الحرام كان موجودا من قبل إبراهيم عليه السلام ، وعندما تدقق النظر فى معنى كلمة ه بكة ه التى وردت فى هذا القول الكريم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ [آل عمران : ٩٦] ، ونحن نعرف أن هناك اسما لكان البيت الحرام هو : ه بكة ه وهناك اسما آخر هو : ه مكة ه ، وبعض العلماء يقول : إن ه الميم ه و ه الباء ه يحدان ، وللمعط ذلك فى الإنسان الاختلاف أو العصاب يركم أنه يطلق ه الميم ه كائنا باء ه و ه الميم والباء ه حرفان قريبان من طريق الصلف والألفاظ منها ففى بعضها .

ولننظر إلى اشتقاق مكة واشتقاق بكة ه ، إنما نقرا ه بك المكان ه أى : لودحم المكان ، ومكنا نعرف أن قول الحق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ أى : أنه المكان الذى لودحم ، وهو مكان الودحم الذى باقى إليه كل الناس وكل البرود ، فصحح بيت الله الحرام ، ولا أدل على لودحم البيت الحرام من أن الرجال والنساء يخطون بعضهم بعضا ، والإنسان يطوف بالبيت الحرام ولا يدعى أنه يسبح وقد يلجس امرأة أثناء الطواف . و ه بكة ه هى المكان الذى فيه الطواف والكعبة . و ه مكة ه هو اسم مكان البيت الحرام ، إن ه بكة ه هو اسم مكان البيت الحرام و ه مكة ه اسم البلد الذى يوجد به البيت الحرام ، و ه مكة ه مأخوذة من ه مك الفصل ه أى : انتهى كل ما فيه من لبن ، والفصل - كما نعرف - هو صنف الإبل الصريح ه أى : انتهى كل ما فيه من لبن ، وفى الصريح من لبن ه فمعنى هذا أنه جالغ أو صنف البقر ، وما دام الفصل قد انتهى من كل ما فى الصريح من لبن ه فمعنى هذا أنه جالغ .

وكما نعرف أن مكة ليس فيها مياه والناس تكاد أن تنقص المياه القليلة عندما تجدها (١) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ وفى كلمة ه سارحا ه نجدها مأخوذة من ه الباء والراء والكاف ه ، واللادة كلها تدور حول شىء (١) بكة ه بلاء هى مكة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ﴾ حيث بكة ه لأنها بكة أعناق من يعنى عليها ، كما سبت ه القاهرة ، لأنها تقهر من يعنى عليها ، لو سبت ه مكة ه لأنها بكة أعناق الأنعام التى تدعى ضحاما وقتلا للكعبة ، من بك الشىء : هضمه ويزفه أو من بكة : أى رصمه ، وبك الشىء هضمه ، ولأن الناس يواسمونها فيها . وبك : سار البلد ، وبكة : مكان البيت .

وكان إسماعيل يساعد فقط في نقل الأحجار وكان إبراهيم هو الذي يحصل الحجر ، وعندما يحصل إبراهيم وزناً لا يحصل إلا اثنان ويقف فوقه فقلبه خاف أن يقع من على الحجر ، فهل يا ترى أن الله سبحانه وتعالى جعل قدرته ساعة أن رأى إبراهيم يحتال هذه الحيلة قال خليله : ساكفوك معرفة ذلك ، وجعل الحق القديمين تعرفان في الحجر غرضاً يستلزم إن حي زلت ، والذي لا يتسع ذهنه إلى أن الله الآن لإبراهيم أخيراً ، يقول له : إن إبراهيم قد احتال وخالف أن يتولى أو قول قدمه من على الحجر فحتمت مكاناً في الحجر على قدر قدمه ، وحتى ثبت قدمه في الحجر وحتى يستطيع أن يحمل ورفع الحجر الذي يحمله اثنان ، وهذه آيات بيئات ، والذي يرجع فلما أننا نجد أن مكان القدم في الحجر هي تعلية مستوية ، لأن الإنسان حين يضع رجلاً فإن الرجل يعمده خاصة ، لكن المكان للقديمين في حجر إبراهيم مسطح . ولن لا يتسع ذهنه أن الله الآن له الحجر ، فليتسع ذهنه إلى أن إبراهيم حفر بنفسه مكاناً للقديمين في الحجر (١) .

إذن .. إما أن الله أقر وأعان إبراهيم ، لأن إبراهيم فكر أن ينشئ القواعد ويرفعها أكبر ما تطول ببلده ، ولذلك أفاضه الله ونحن نعلم أن الهداية تكون هداية للدلالة وهداية للمعرفة : ﴿ وَكَانَ اللَّهُمَّ لَكُمْ كَذَلِكَ وَكَانَتْهُمْ تَقَرُّوهُمْ ﴾ [محمد : ٢١٧] .

وما أن يكون إبراهيم عليه السلام هو الذي صمم مكان القدم فصارت له .

○○○

(١) قال أبو طالب في قصيدته اللاحقة المشهورة :  
وروى إبراهيم في العصر رطبة على قدمه حافاً غير فاعل

الموجودة في البيت الحرام ، لكن الآيات في البيت الحرام أكثر من هذا بكثير ، بل إننا عندما نرى مقام إبراهيم نجد فيه الآيات البيئات ، ونحن نقول : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ويتبع الميم الأولى في كلمة : و مقام ، ولا نعلقها و مقام ، بنسب الميم الأولى ، لأن و المقام و بنسب الميم تعني مكان إقامة إبراهيم ، أما و مقام ، ويتبع الميم فهي مكان القيام .

لماذا كان قيام إبراهيم عليه السلام ؟ لقد كان إبراهيم يقوم برفع قواعد البيت الحرام ، وكان إبراهيم يقوم على و حجر ، وعندما ننظر إلى ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فإننا نجد فيه كل الآيات الدينية لماذا ؟ لأن الله طلب من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت ، وكان يكتبه حين يرفع قواعد البيت أن يعطيه الارتجاع الذي يؤديه طول يديه وبذلك يكون إبراهيم عليه السلام قد أدى مطلوب الله ، لكن إبراهيم عليه السلام تعود مع الله أن يؤدي كل تكليفات الله بسبب وإكمال وإتمام ، لذلك تساهل إبراهيم عليه السلام ، ولماذا لا أرفع البيت أكثر مما تطول بهدي ؟ ولم تكن هناك في ذلك الزمن القدم فكرهة و الاستغالات ، ولم يكن مع إبراهيم عليه السلام إلا إسماعيل ، وأحضر إبراهيم عليه السلام حجراً ووقف عليه ، وعندما بقي إبراهيم بحجر يفرضه تحت قدمه ليقف عليه ، فإنه يرفع القواعد قدر الحجر .

إذن .. فالإبراهيم خليل الرحمن أراد أن يفند أمر الله بالرفع للقواعد لا بقدر الاستطاعة الدينية له ، ولكن بقدر الاستطاعة الدينية وبقدر الاحتيال على أن يرفع القواعد فوق ما يطلبه الله ، وهذا يوضح لنا معنى ما يقوله عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ كَذَلِكَ بُنِيَ إِبْرَاهِيمَ تَبَرُّهُ وَيُكَبِّرُهُ فَاتَّبَعْنَاهُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ يَا أَبَتِ قَالَ كُنْ تَزِيَّتِي قَالَ لَا يَتَّبِعُ عَهْدِي الْغَالِبِينَ ﴾ [مائدة : ٢١٢] أي : أنه أدى مطلوب الله أدلة كمالاً ، ولا أدل على الأدلة من أنه أخذ المجاورة وأتى بحجر منها ليقف عليه وليريد من لارتفاع البيت قدر هذا الحجر ، ونحن نعرف أن إسماعيل قد شارك في رفع القواعد للبيت الحرام ، وعندما ننظر إلى الحجر نجد لا يسع إلا ووقوف إسماعيل وحده عليه ، وهكذا نفهم أن إسماعيل كان يساعد ويشارك والده الأحجار :

أما مكان الأقدام الموجودة في حلق الحجر فهنا يعني أن إبراهيم عندما كان يقف وحمل حجراً من للفروض أن يحمله اثنان كان لابد من ثبات القدمين في مكان آمن ،



ومعنى الانتماء هو أن يحسب الإنسان نفسه على شيء ، وهذا الشيء يتطلب من الإنسان أن يسير على مقتضاه ، فمثلاً : قد ينتسب الإنسان إلى الأرض ، ولنا أن نعرف أن كلمة : ه الوطنية قد خرجت إلى الكون من أجل انتماء الإنسان إلى الأرض ؛ لذلك يقول المصري مثلاً : و رضى مصر ، وقد ينتسب الإنسان إلى الجنس فيقول الإسرائيلي : أنا من أبناء إسرائيل ، وهذا معنى أنه يخص نفسه بقرابة أنه من أخصاء مقترب عليه السلام بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ، وقد يقول العربي : أنا عربي . وهذا معنى أنه ينتسب إلى المروية ، ولنا أن نفرق بين انتماء الإسرائيلي إلى بؤرة مقترب ذلك أن الاحتفاظ بسلالة نثية عبر عصور طويلة أمر غاية في الاستحالة ، أما الانتماء للمروية رغم أنه بدأ من سلالة إسماعيل عليه السلام ، إلا أنه انتماء لا يفتقر بساكن للمستقيمة التي ينطلق أهلها اللغة المروية .

وقد يكون الانتماء إلى مذهب ، ومثال ذلك : أن سكان البلاد الغربية تتبع حكوماتهم وأغاليبتهم النظام الرأسمالي ، وسكان البلاد الشرقية المحافظة لحكومات شيوعية يتسرون إلى هذا المذهب الشيوعي .

إذن .. فمعنى الانتماء هو الجهة التي يحسب الإنسان نفسه عليها ليحطم قضيته ، وليس عند الله لون من الانتماء من تلك الأنواع ، إن الانتماء المعروف به عند الله هو الانتماء القيمي أى الانتماء لمبعث الله ، فالإسلام لا يفرق بين وطن ووطن ، أو جنس وجنس ، أو دم ودم . إن الإسلام يعرف بالقيم التي يرتبط بها الإنسان أيما كان لونه وأيما كان جنسه ، وأيما كان ملعبه ، إن الإسلام انتماء قيمي .

إذن .. نقول الحق : ﴿ لَا يَتَّخِذُ عَهْدِي الْغَافِلِينَ ﴾ هذا القول يحدد موقع الانتماء في البشر ، وبعد ذلك لراد الحق أن يفسى أيضاً قضية بيت المقدس والقبلة ، فأثبت الحق لنا أن بيت المقدس بيت حديث من إنشاء داود وسليمان ، لكن الكعبة هي بيت من اختيار الله ، فأيهما إذن أولى في الاتجاه إليه ؟ أتجده إلى البيت القديم باختيار الله ، أم تجده لبيت هو لله أيضاً ، ولكنه باختيار خلق الله ؟

إذن .. فالتقديما التي كان يظهر بها اليهود والمسيحيون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على المؤمنين الأوائل في الإسلام ، إنما كان الهدف منها أن يصيروا المؤمنين بالإسلام عن

## إعادة بناء الكعبة في عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام

أوضح الحق لنا في قرآنه الكريم أن أبا الأبناء إبراهيم عليه السلام قد استمع الإمامة بعباده فيها إجلاله الله من تكليمات ، قام إبراهيم عليه السلام بأدائها وأتم القيام بها بإتقان وقام محيا لتكليف الله ، ولذلك كانا الحق سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام وجمعه إيمانا .

وأراد خليل الرحمن أن تستمر الإمامة في الأرض ؛ لتكون الإمامة سمة على وجود خلق يتمسكون بمبعث الله على طريق الوفاء والإكمال والإقام ، لكن الحق جل وعلا وهو أعلم بكل خلقه ، عرف أن بمقنا من ذرية إبراهيم سيكونون على غير عهد الله وسيخالفون للمبعث ، ولنسوف يأمرون لأنفسهم الأفضلية والتجاوز على كل البشر مجرد أنهم من نسل إبراهيم خليل الرحمن .

لذلك أضر الحق جل وعلا إبراهيم خليل الرحمن أن عهد لا يئله الفاللون ، ولهذا جاء قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَنْتَ إِبْرَاهِيمَ نَدُوكَ بَكَلْبَتِكَ فَطَمَّناُكَ بِأَبْنَيْكَ ﴾ .  
﴿ كَذَلِكَ أَنْتَ إِبْرَاهِيمَ نَدُوكَ بَكَلْبَتِكَ فَطَمَّناُكَ بِأَبْنَيْكَ ﴾ ولقوة : ١١٤ .  
إذن .. فهذه الآية دللت على أن الله أبا إبراهيم من قدم الزمن على أن بمقنا من ذريته سيكون ظالما ، وما علم بعض ذرية إبراهيم سيكون ظالما بالمخرج من مبعث الله ، ويأمرون لأنفسهم أنهم خير خلق الله مجرد أنهم يتسبون لإبراهيم عليه السلام ، ويأمرون لأنفسهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم موطن النبوة ، والإمامة تكون فهم وحدهم ، وكان هذا البعض من ذرية إبراهيم هم بنو إسرائيل ؛ لذلك جاء القول الفصل من الحق : ﴿ لَا يَتَّخِذُ عَهْدِي الْغَافِلِينَ ﴾ لقد كان هذا القول الفصل إشعارا بأن من ذرية إبراهيم من سمعهم ظالما ، ولقد أرمضنا أن النبوة لها بؤرة تختلف عن النبوة في سائر البشر ، إن النبوة في البشر المخلوقين تعنى الانتماء للمدى أو للنفس أو للجنس ، أما النبوة في الأنبياء فهي الانتماء للمقيدة والمبعث الذي يهيء به للنس المرسل من عند الحق سبحانه وتعالى ، ولنا أن نعرف أن الاتصافات في ذلك المكون متعددة .

واللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في السابقين إنك حميد مجيد<sup>(١)</sup> ، وطلّق الصلاة أيضا على الصلاة الشريعة التي نعرّضها جميعًا وفي التي نفتحها بالكبر ونختصها بالسلم ونشرائطها المخصوصة<sup>(٢)</sup> ، وحينئذ نأتى إلى الحقّ العلم في الصلاة ، فإننا نقصد الصلاة الشريعة فهي تشمل دعاء إلى الله ، وصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشمل للشكل والمضمون ، ولزاد انحصار بالصلاة الذي أراده الله سبحانه وتعالى .

وقد يسأل أحد : ما معنى كلمة « مقام » ؟<sup>(١٧)</sup> إن كلمة « مقام » تأتي أحيانا مفتوحة اللحم كما في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَائِمًا وَقَدْ قَامَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَائِمًا وَتَسْتَغِيثُ ذِكْرَ الْمُنْذِرِينَ الْمُنِذِرِينَ لِيَقُولُوا لَا أَمْرٌ إِلَّا بِنُورِهِمْ هَٰذَا هُوَ السَّيِّدُ الْمَوْجُودُ ﴾ ، وتأتي كلمة : « مقام » في أحيان أخرى مضمومة اللحم كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَكَّلْنَا بِهِنَّ لِمَ يَكْفُرْنَ بِالْقَوْمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْخَلْقُ كُلُّهُ أَوَّلَ لَوْحٍ أَوَّلُ خَلْقٍ وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمَهُ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ مِثْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَكُنْ لَهُ مِثْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ، وقد نزلت هذه الآية في بعض من ضحاف اللغو والمناقض الذين حاربوا أن يهربوا من مواجهة العدو ، وكان ضحاف الغرر هؤلاء من أهل المدينة ؛ لذلك اتفوا أن يتوهم عبادة ولا بد من حراستها ، وكان ذلك تدعية للهرب من المعركة<sup>(١٨)</sup> ولما أن نرى أن « مقام » للمفردة اللحم هي اسم

(١) من كتب بن عمرة رضي الله تعالى عنه قال : يخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنا : قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف تسلم علينا ؟ قال : و نوراً : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ؛ اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . رواه مسلم ١٠١٤/١ .

(٢) من صلى على الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : و مفتاح الصلاة الطهور ، ونحوه فكيف يغابها المسلم . رواه أبو حنيفة [١٦٨] وصححه الألباني .

[illegible]

لسان العرب [٤٩٨/١٢٣]

(٤) يقول الله تعالى: صغيراً من ذلك الحال حين تولدت الأحزاب حول المدينة ، والمسلمون محصورون -

10

دينهم ، ولذلك أراد الله أن يجعل هذه المناجزة ، لذلك نزل حكمه الكريم بقوله تعالى :  
﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَا آيَاتِكَ آيَاتٍ لِلْعَامِلِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ بِالْغَيْبِ ﴾ وَعَنْهُمَا إِلَى الْبَيْعَةِ  
وَالْإِسْتِغْلَالِ أَنْ تَكُونَا بَيْنَ الْإِيمَانِيِّينَ وَالْكَافِرِينَ وَالرَّصِخَ الْمَجْدُودَ الْبَرَّةَ : ( ١٢٥ ) ، البيت  
معناه يطلق على الدار وعلى المنزل ، لأن الإنسان يخرج إلى العمل والسعي للرزق في  
الأرض ثم يعود إلى البيت ليأوي إليه ، وقد جعله الله معانية للناس - أي ليؤوب الناس  
إليه ويرجعوا - لأنه بيت ربهم .

فإذا أفرغوك شيئا فاذهب إلى بيت رحمة ربك لتجد رحمة ربك في استجالك ؛ فخرج عنك كل ما يمكن أن يعبك في الحياة ، ودام الإنسان يهرب إلى الله فلا بد أن يكون في أمن ، ودام الإنسان في بيت الله فلا فرح ، وقتا : إن الله قد جعل بينه آمنا وليس ذلك إخبارا منه لنا ، ولكنه طلب من المؤمن إلى المؤمن به أن يجعلوا البيت الحرام آمنا ، فإن أطاعوا الله جعلوا البيت آمنا ، وإن لم يطاعوا الله جعلوا الناس يفرعون فيه .

[illegible]

(١) من أبي حمزة رضي الله تعالى عنه أن رسال الله صلى الله عليه وسلم قال : « من صلى على راسي ، صلى الله عليه عتري » . رواه مسلم [٧٠/٤٠٨] وأبو داود [١٥٣٠] والبيهقي [١٥٣٠] ،

والتر مڈی [۱۸۵۰].





## أول من بني الكعبة

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ [٢٦] . ساعة أن تسبح شيئاً ويظهر بيني وبينك والآن يبين لك أنك تسبحه [٢٦] . ساعة أن تسبح كلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ فأنهم أها طرف زمان حدث بأني بعدما أخرج الله الذي حدث في ذلك . فإذا قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ فإنه يخاطب ربه قائلًا أذكر هذا الوقت الذي قيل فيه لإبراهيم هذا الكلام .

إذن .. فكل كلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ في القرآن الكريم معناها مخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث وقع في ذلك الوقت وكلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ من البداية ومعناها الرجوع بعزل الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ ، أي: رجعوا بنصيب من الله ، وللكائن للبراءة : بقية من الأرض يخاطبها الإنسان ليرجع إليها من متاعب حياته ، ويعلمها مستقرا له يعود إليه بعد قضاء معاصيه وإتمام عمله .

فاللغة هي المكان الذي يرجع الإنسان إليه من حركة حياته ، ولا يرجع الإنسان إلى مكان يخترق من حركة حياته ، إلا إذا كانت فيه كل مقومات الحياة ، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ في الأرض بينما حيث ينشأ نصيب رجبنا من نشأة ولا شوبع آخر الشيخين [٢٥٦] .

إذن .. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ أي جعلناه بداية مرجع إليه من حركة حياته ، وأعلمناه بمكان البيت ، ونحن قلنا : إن المكان حالنا شعر الكائن . فالمكان هو البنية التي تقع في الكائن .

مسألة بناء البيت تكلم بها العلماء كثيرا ، وبعضهم ذهب إلى أن أول من بنى البيت هو إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup> ، ونحن نقول : إن معنى أن الله بدأ لإبراهيم مكان

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد في حشد البركات هي بها البيت :  
لأولها : حجارة ولأولها : آدم عليه السلام .

البيت أي به له . فكان البيت كان موجودا والذي يشهد لذلك أن الله تعالى يقول في هذه النسخة : ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ [٢٦] . ساعة أن تسبح كلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ فأنهم أها طرف زمان حدث بأني بعدما أخرج الله الذي حدث في ذلك . فإذا قال الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ﴾ فإنه يخاطب ربه قائلًا أذكر هذا الوقت الذي قيل فيه لإبراهيم هذا الكلام .

إذن .. فكل كلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ في القرآن الكريم معناها مخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث وقع في ذلك الوقت وكلمة: ﴿وَرَبُّكَ﴾ من البداية ومعناها الرجوع بعزل الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ ، أي: رجعوا بنصيب من الله ، وللكائن للبراءة : بقية من الأرض يخاطبها الإنسان ليرجع إليها من متاعب حياته ، ويعلمها مستقرا له يعود إليه بعد قضاء معاصيه وإتمام عمله .

فاللغة هي المكان الذي يرجع الإنسان إليه من حركة حياته ، ولا يرجع الإنسان إلى مكان يخترق من حركة حياته ، إلا إذا كانت فيه كل مقومات الحياة ، ولذلك يقول تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ في الأرض بينما حيث ينشأ نصيب رجبنا من نشأة ولا شوبع آخر الشيخين [٢٥٦] .

إذن .. قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَرْفَعُ ذِكْرَكَ﴾ أي جعلناه بداية مرجع إليه من حركة حياته ، وأعلمناه بمكان البيت ، ونحن قلنا : إن المكان حالنا شعر الكائن . فالمكان هو البنية التي تقع في الكائن .

مسألة بناء البيت تكلم بها العلماء كثيرا ، وبعضهم ذهب إلى أن أول من بنى البيت هو إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup> ، ونحن نقول : إن معنى أن الله بدأ لإبراهيم مكان

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد في حشد البركات هي بها البيت :  
لأولها : حجارة ولأولها : آدم عليه السلام .

نفسه ثم يبلغ به أنه بعد ذلك ، حتى لا أمرهم بأمر هو عنه بنجوى . فمثلاً حينما يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَوْىَّ اللَّهُ لَا تُبْلِغْ الْكُفْرِيَّةَ وَالنَّصِيئَةَ ﴾ والأجواب : ٢١ ، ثم يأتي النبي ليقول لنا اتقوا الله يكون الأمر سهلاً علينا ، لأن الله أمر به رسوله قبل أن يأمرنا به .

بعض الناس يفهمون أن كلمة اتقوا الله لا تعال إلا لن حدث منه ما يخالف التقوى ، وهذا ليس صحيحاً ؛ لأن المعنى المقصود هنا : ابتداء حركة حياتك بتقوى الله ، والتي سبحانه قال : ﴿ أَنْ لَا تُقْرِئَكَ فِي كِتَابِكَ ﴾ فذكر كلمة شيء لبني أهل مشهم من مظاهر الشرك والوثنية ، من شجر أو حجر أو صنم أو غيوم أو كواكب أو غير ذلك . ومعنى ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي ﴾ : يشمل الطهارة الحسية والطهارة المعنوية معاً ؛ لأن الطهارة كان قد ضيع معالم البيت الحرام وحرف إليه الرمال وأعواد الحطب وغيرها ، فلا بد أن يظهره مكاناً بأن يطفئه من هذه الأشياء التي جاء بها السجل ، ثم يظهر عبادة بأن تكون العبادة فيه خالصة لله تعالى ، وهذا التطهير من أجل الطائفتين اللذين يبلغون بالبيت ثم يرحلون عنه ﴿ وَالنَّاصِيئَةَ ﴾ أي : للمكفنين في البيت للعبادة والصلوة ﴿ وَارْكَعَ الشُّجُودَ ﴾ هم اللذين يأمرون في وقت الصلاة (١) .

فهناك ثلاث حالات : إما أن يذهب الإنسان لطريق ثم يخرج ، وإما أن يقيم فيه ممكنًا وإما أن يبنى إليه وقت الصلاة ليؤدبها ، والركع السجود مهم للمصلون . وبعد ذلك قال سبحانه : ﴿ وَكَانَ فِي الْقُلُوبِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ وَكَانَ وَكَانَ كَيْلَ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ فَصِيقٌ ﴾ والمخرج : ٢٧٧ . البيت يت الله والمطلق كلهم خلق الله ، فلماذا تقتصر رؤية العين لبيت الله على من قدر على الدخاب والإقامة عند البيت مثل إبراهيم عليه السلام ؟

(١) في تفسير ابن كثير [٢/١٠٧-١٠٨] : ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي ﴾ قال قتادة وسعيد : من الشرك ﴿ وَالنَّاصِيئَةَ وَالنَّاصِيئَةَ وَارْكَعَ الشُّجُودَ ﴾ أي : اجعله خالصاً للهؤلاء اللذين يعبدون الله وحده لا شريك له ، فالطريق به معروف وهو أصل العبادات عند البيت لأنه لا يشمل بقية من الأرض سواها ﴿ وَارْكَعَ الشُّجُودَ ﴾ أي : في الصلاة ولها قال : ﴿ وَارْكَعَ الشُّجُودَ ﴾ تقرر الطواف بالصلوة ؛ لأنها لا يشترط إلا مضمين البيت ، فالطواف حده والصلوة إله ... الخ .

فمن قال : إن الملائكة هي التي بنت قبة صديق ، ويكون إبراهيم قد ذهب إلى هذا المكان يوحى من الله .

إذن .. هناك فرق بين إقامة يكون على مكان ، فالبيت موجود ولكن الطوفان لا جاء بحرف معالم البيت ، فلما ذهبت معالم البيت أوحى الله لإبراهيم أن يبنيه في هذا المكان من الرابض ، وقالوا : إن الله سبحانه يست سحابة ظلت للمكان ونطقت وقالت : يا إبراهيم خذ على قفري (١) .

إذن .. نتبين إلى أن البيت كان قبل إبراهيم ؛ لأن إبراهيم لم يكن عمله في المكان وإنما كان عمله في المكان لقول الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهُ ﴾ الزكوة من ألبنت وزككها زكاً قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ أَنتَ الشَّيْخُ الْبَتِيدُ ﴾ وكلمة موفع معناها أن يورثه اليمد الثالث ؛ لأن المساحة لها طول وعرض ، والارتفاع هو اليمد الثالث ، فكان الذي يراه الله له هو المساحة طولاً وعرضاً ، وبعد ذلك موفع القواعد وبدأ في رفعها هو ولما عمل عليها السلام ، ومما قد أتيا إلى هذا المكان لبينا البيت وبقينا الصلاة لله سبحانه ، ووجب عليه أن يظهر هذا المكان من أي شيء يشير بالشرك أو القنصر .

هنا أول أمر صدر إلى إبراهيم عليه السلام في الآية المذكورة : ﴿ أَنْ لَا تُقْرِئَكَ فِي كِتَابِكَ وَطَهَّرَ بَيْتِي ﴾ [المخرج : ٢٦] ، قال أمر هو عدم الشرك . وهل كان معقولا أن يدخل إبراهيم في الشرك ؟ وليس معقولا أن يحدث منه هذا ، ولكن الله سبحانه جحد برسول رسولاً يصدر أمره إلى الرسول أولاً ، فهو أول من يخلق الأمر من الله ليطبقه على

(١) روى البيهقي ، عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : « لما أفرق الله الأرض رفع البيت فوضع تحت البرش ، وركعت الأرض خراباً إلى ستة ، ولم تول على ذلك حتى كان إبراهيم عليه السلام قاهره الله سبحانه وتعالى أن يبنى به ، فصارت لكعبة كعبة سحابة فيها رأس وحكمه ، ولها وجه كوجه الإنسان ، وقالت : يا إبراهيم خذ قدر ظلي فابن عليه ولا تود شيئا ولا تعص .

فأخذ إبراهيم قدر ظله ثم بنى هو ولما عمل البيت ، ولم يجعل له سقفا ... » . وفي رواية عند الأوزاعي في أخبار مكة ، عن علي رضي الله تعالى عنه : « وقال الله تعالى لإبراهيم : قم فابن لي بيتا . قال : يا رب ولئن لم يكن ؟ فبعت الله سبحانه وتعالى سحابة فيها رأس تكلم إبراهيم ، وقالت : يا إبراهيم إن ربك يأمرك أن تبنط قبر هذه السحابة ، فبعل ينظر إليها فأبعد قبرها ، فقال له الرب : قد فعلت . » . وفتح سهل المهدي والرشيد [١/١٥٥-١٥٦] .



سمحته طلب ما أشاء كثيرة ، ولكن الأركان في الإسلام ، أول ما نهى ، نهى أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وهذه مرة واحدة في العمر للتحلل بها في الإسلام ، ثم بعد ذلك تقيم الصلاة وتزكي وتؤم وتصحح<sup>(١)</sup> .

[illegible]

إذن .. الأمر هنا الرسول صلى الله عليه وسلم على تجد نصرتنا أو عهودنا ، بقى إلى الكعبة !! لا . فهذا التمسك لا يتعاظمه في أمة من الأمم الأخرى إلا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم : هي الإسلام على عبس : شبيهة أن لا إله إلا الله ، ولكن محمداً رسول الله ، وقام الصلاة ، ولقاء الحركة ، والفتح ، وصور رمضان .

لذلك أراد الحق سبحانه وتعالى لمجهه أن يظهر لروية بيت الحرام ، لأن هذا هو بيت الله باختيار الله فهو سبحانه اختره وروحه للناس ، ومساعدتنا هذه هي بمرت الله أيضا ، لكنها بمرت الله باختيار خلق الله ، فالحق سبحانه أراد أن يظهر هذا الفضل على خلقه حتى يظهر لروية بيت الله الذي اختاره لهم .

كلمة : ﴿ وَكَانَ ﴾ معانها : أُنْشِئَ ، فَتَحَ ، انْهَضَ ، كَسَرَ ، اَللَّامَ ، وَاللَّامُ أَوَّلُ مَرَّةٍ مِنْ مَرَاتِبِهِ ، الرَّبِيعَةُ فِيهِ السَّمَاعُ ، بِأَلَدُنْ ، وَتِلْكَ الْأَفَانُ هُوَ الْإِعْلَامُ ، حُلَّ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَانَ قَائِلًا رَبِّكُمْ أَنِ يَنْصَرِّتْ لِأَرْبَابِكُمْ وَلَكِنْ كَسَبَتْكُمْ إِنْ عَابَلْتُمْ نَارًا ﴾ [الاسم : ٢٧ - ] فَمَعْنَى آيَاتِهِ : اَلْبَقِيَّةُ ، وَكَلِمَاتُهَا جَاءَتْ مِنْ الْأَفَانِ ، لِأَنَّهَا رِبْعِيَّةُ السَّمَاعِ الْأَوَّلَى وَالْعَلَّامِ الْبَقِيَّةِ الَّتِي بِهِ تَعَلَّمُ كَيْفَ تَقْرَأُ ، قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ لِأَنَّ نَسْخَ .

حينما قال الحق : ﴿ وَكَانَ فِي الْكِتَابِ بَيِّنَاتٍ ﴾ ، لم يكن مجرد البينة والحكم لعدم الإلحاد إلا إبراهيم وزوجه وابنه إسماعيل ، في رلد غير مسكون ولا مأهول ، ولئلا يبعدون عنه ، فأبراهيم سأل به ، ومن الذي سمع صوتي بالأذان يا رب ؟ فقال له الحق سبحانه :

عليك أن تحزن وعلى أن أبلغ الأذن كلها (١) ، وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَكَأَنَّمَا نَدْنِيكَ إِذْ دَبَّحْتَ وَنَادَيْتَهُ أَنْ يَقُمْ أَفَ تَمُرُّ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا خَبْرًا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنَّا لَذَرَيْنَا وَقَدْ جَاءَنَّاكَ بِمَثَلَتِكَ وَإِلَّا لَكُنَّا عَالِمُونَ ﴾ .

وذلك قالوا : في أصلاص بني آدم وفي أصلاص اللرية - كلها بعد إبراهيم عليه السلام كل من سمع في عالم الله أفنانا وقال :

ليكن اللهم ليك . فقد حج مرتفن ، وإن قال : ليكن اللهم ليك ، وأخذ بكروما بحج

بفضل مالى ؛ لأن معنى كلمة ليك أى إجابة بعد إجابته ونحيك يا رب فى هذه ، والله

(١) قال أبو حمزة : وأمر إبراهيم بعد فراقه من البناء أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟ قال الله جل جلاله : لكأن وعلى الأصلاص ....

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن رجل قال: لا فرخ لي مني، فقال: رب قد فرغت، فقال: لم تأكل مني شيء، قال: وما يبلغ صوفي؟ قال: لأنا نأكل من الخيل، قال: رب كيف تقول؟ قال: يا أبا الناس، كتب عليكم البيع، حج البيت المنفرد نفسه في نفسه ولا أرض، ألا ترى أنهم يهتدون من نفس الأرض بكونهم؟  
رواه الحاكم في المستدرک ٢/٢٨٨-٢٨٩، وقال: حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجه.

الأمانة التي أعطاهما لك فلان في مكان كذا ؟ أنكر له ذهب معه إلى هذا المكان أو أخذ منه شيئا . فقال القاضي لصاحب الأمانة : اذهب إلى المكان الذي كنتما فيه وبحث جيئا ، فربما كنت قد نسبتهما هناك وطلت أنك أعطيتها له أو ربما يكون أحدهما منك ونسبها في هذا المكان .

فلما ذهب الرجل إلى هذا المكان وتأخر قال القاضي للمستهم : فلان تأخر ، فقال لهم : المكان بعيد . فقبض عليه وعلم أنه أخذ الأمانة فعلا . فالمسألة تحتاج إلى فطنة القاضي وبصيرته حتى يصل إلى الحق .

ومعنى ﴿ يَا بَنُوتَ إِسْحَاقَ ﴾ كلمة : « رجال » ومن الناس يفهم أنها جميع رجل ولكنه جميع رجال<sup>(١)</sup> ، وهو الذي يقضى على رجله ، والضمائر<sup>(٢)</sup> أي الذي يركب فرسا والفرس الضمائر من الضمير ، ومن كثره الجري ، ومن ضمن تأكيد الفعل ﴿ يَا بَنُوتَ ﴾ أنه ذكر الماشين قبل الراكبين ، والفتح هو الطريق المسح ، والمعنى هو الطويل للمعد .

ثم يقول تعالى : ﴿ أَتَيْتُكُمْ بِمَتَاعٍ لَّيْسَ بِكَافٍ لَّكُمْ وَتَوَكَّلْتُمْ عَلَىٰ أَيْدِيكُمْ فَسُحِقُوا حَتَّىٰ تَخْرُجُوا مِنْ دُونِ بَابِكُمْ أَمْ يُخَبِّرُكُمْ بِالْأَخْبَارِ فَتُحَرِّجُونَ عَنْهَا وَيَعْلَمُ الْغُيُوبَ ﴾ (الأنبياء: ٢٢٨) فالمحتاج يشهدون في الحج ضائع لهم ، هذه المنافع هل هي فدية أعزوبة لم فدية ؟ هذه المنافع تشمل المحتاجين معا ، فالذي يحج بسبب لهنه الرحلة فيجوز وسيلة زكوة مثلا ، ويحضر لمن يوصلهم مصالح حياتهم حتى يبرء ، وبعد ذلك يذهب إلى الأماكن المقدسة ليردوا الماشك في هذا الرادى الذي ليس فيه زرع ، فيفقد ويشترى من البائسين فيها بيع وهذا بشرى .

فإذا نظرت إلى المنافع المادية نجدها موجودة ، وكذلك الذي يحج حينما يذهب إلى مكة يأكل ويشرب ويأمن . فلابد أنه سوف يخرج البيت الذي سيقوم فيه هذه الفترة ، وهذه الأجرة يستفيد بها صاحب البيت ويحس عليها فخرة بعد موسم الحج . والمخرج نفسه

(١) الرجل : جميع رجل كمن ملهى ، والرجل خلاف القلوس .

لسان العرب [١١/٢٦٩] .  
لسان العرب [١١/٢٦٩] .

(٢) الضمير والضمير : الميزان وطاق الميزان .

عليه وسلم مع أنه ثبت أن موسى عليه السلام حج إلى الكعبة<sup>(١)</sup> . إذن فليس الأمر : ﴿ وَكَانَ ﴾ إن أعدته على هذا المعنى كان المقصود به النبي محمد صلى الله عليه وسلم . تقول : صحيح ، إنما لا نجد أسفا من الأمم السابقة يحج إلى بيت الله الحرام ، ولذلك نحن نتحج عليهم حين يزعمون أن النبي هو إسحاق ، ويقول لهم : لو كان إسحاق هو النبي لكانت صليبة النبي والقباء رضى الجمرات وشي ذلك عندكم في الشام ، ولكنها هنا في مكة ؛ لأن إسماعيل كان هنا في هذا المكان ، ثم تذكروا جيئا أنكم قلتم في حكمكم في الإصحاح [ ٢٤، ٢٣ ] من سفر التكوين [ ٢ ] إن الله سبحانه وتعالى أوحى لإبراهيم أن يصعد على جبل فاران وأن يأخذ ولده الوحيد وابنيه .

فولده الوحيد هو إسماعيل وليس إسحاق ؛ لأن الله تعالى أخبرنا في القرآن الكريم ، أنه فدى إسماعيل وبشر إبراهيم بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب .

قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَا إِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَاكِلاً وَكَلَّمْنَا شَيْطَاناً فَاسْتَكْبَرَ ﴾ (الأنبياء: ١٢٦) فربما يقول الصديق وزيد الحق ويحمل له مخالف تنفي على من يكذب ، ولذلك يقولون : إن الذي يركب جرية لا يمكن أن يصنع الجرية الكاملة أبدا ، لأن الله تعالى يحمل فيها متفلا للحق يمكن من خلاله الإسماعيل بالفجر ومناجاة ، فمعنى الجرية لا تنيد : إنك لا تستطيع أن تتخط الجرية أبدا ، بل لابد أن تحرك فيها متفلا بدل عليك ويجرك إلى العقب ، وهذه مهمة القاضي الفاهم الذي يستطيع بدكته أن يكشف الخرم .

عمل القاضي الذي جابه أحد الناس يشكو إليه من صديق كان يجلس معه في مكان معين وأعطاه أمانة لحفظها له ، ولما طلبها منه أنكر أنه أخذها ، فلما سأله القاضي : أين

(١) من ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة فبرزوا بوادى قال : ولما رآه هذا ؟ قالوا : ولما رآه الأرق . قال : « وكنى أنظر إلى موسى عليه السلام - لا ذكر من طول شعره شيئا لا يصفه ، وراود - ولما أصبحته في ليلته ، له جوارى إلى الله باطنية مزا بها الرادى » . قال : ثم سرنا حتى أتينا على نبي فقال : « أي نبي هذه ؟ » قالوا : نبي توحى لم نلت . قال : « كنى أنظر إلى موسى على بقعة حمراء عليه جبة صوف ، وضام يده يده خلف عنقه ، مزا بها الرادى على » .

رواه ابن عديم [ ٢٨٩١ ] وصححه الألبانى .

ويظهر من كل مصيبة ، وبعد ذلك نجد أن إزالة الصبر بين الناس في ملابسهم وهدانهم يجعلهم كلهم سواء ، فكلمهم يرتدون ملابس الإحرام وكلهم شعبت غيرة<sup>(١)</sup> مثل بعضهم ، ثم يؤذي الله جوارحهم فيأمرهم بعدم تمل الصبيد أو قطع الشجر ، وعدم الخلق أو التقصير أو حتى خلع شجرة واحدة وعدم التطيب إلى غير ذلك<sup>(٢)</sup> .

فيها انضباط أقوى من انضباط الجيود في الجيش ، فاطلاج تأديب أو لا مع تقي جسده في أن كل تحيز أو فوارق بينهم انتهت ، ثم تأديب مع جوارحه ، فكل جوارحه لها عمل تطير به ، ثم تأديب مع الثبات فلا يتعلمه أو يقطعه ، ثم تأديب مع الشجاعة فلا يتسلطه أو يتعرض له بأذى ، فهو بذلك تأديب مع كل الأجناس ولم يبق إلا الجملة فقط ، وهذا

(١) في الحديث ، من عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : « إن الله عز وجل يحب المؤمن عرياناً ، فبقول : انظر إلى ما

جاء في أثرى شما خيرا » .

رواه أحمد في مسنده [٢٢٤/١٦] وقال الشيخ شاكر : إسناده صحيح .

الفتى : للمير الزكي ، للتفتيش للمير الذي لم يضمن . لسان العرب : [١٦٠/١] .

غيراً : أغير الشيء : علاه للمير ، أي التراب . والمير وكثير من الطريق لطول السفر وعدم الاحتياط بالظهر .

(٢) قال عبد الرحمن الجوزي : نهي الطلح الخيز من أنباء بعضها لا يصل فله ، وبعضها يكره فله : يحرم على المير عقد الكناخ ، وكنا الخناخ ودوابه ، ويحرم الخروج من طاعة الله بأي فعل محرم ، ويحرم المخاصمة مع الرقاءه وإطعام وغيرهم ، ويحرم التبرع لصيد غير الباقيل أو اللابح ، ويحرم استعمال الطيب كالسك في ثوبه أو بدنه ، وطلم الظفر ، ويحرم على الرجل أن يلبس شيئاً ، أو شيئاً بدنه ، أو بعضه : كالقميص والسروليل ، والمسامية والبنية ، ويحرم أن يلبس شيئاً يلبس بالليل أو القميص كما يحرم كما يحرم ثوبه شعر الرأس .

الفتى على المذهب الأربعة [١٦٠/١٦] [١٦٠/١٦] .

روى مسلم من أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يترك المير من الثياب ؟ قال : « لا يلبس القميص ، ولا القميص ، ولا السروليل ولا المسامية ، ولا ثوباً منه درس ، ولا زعفران ، ولا الخنثي ، إلا أن لا يجد الخنثي ، فمن لم يجد الخنثي فلبس الخنثي وللبسها حتى يكون له ليل من الكمين » ، وسأله عن الكمين ، فقال : الكمين الذي .

رواه أبو جلد [١٦٨/٢٢] وصححه الألباني .

لكي يجمع هذه الأموال لدى حركة حياة في المكان وصل واجتهد ليحصل عليها ، هذه الحركة كان فيها نفع لغيره من المجتمع وأن لم يشعر بها ، فمثلاً حينما يشتري الحاج خروفاً ليأكله في السلح ، مثلاً المعروف اشتراه فاجر وجده به لسيمة للحجاج ، وهو اشتراه من متجر يبيع هذه الأغنام ويبيعها بمرعاية . فهذا السلح انتفع والتاجر انتفع ، وكذلك الراعي انتفع والسيارة التي تقلت هذه الأغنام انتفع صاحبها أيضاً ، وحتى الذي سيبيعه انتفع أيضاً لكل هذه وغيرها منافع دينية ورزق يسوق الله إلى أهل هذه البلاد الطيبة . وهناك أيضاً الصناعات التي يشتريها الحاج من هناك من ملابس وهما وحلى ما والمصريون مشهورون بهذه الصنعة ، قبل أن يؤدي الحاج المصري نسكه تجده يشتري ما يحب من ملابس وسجاجة للصلاة وسلاح وغيرها من الهبات الأخرى .

لهذه وغيرها من المنافع الدنية التي يشهد بها الحاج حينما يذهب إلى هذه الأماكن ، كذلك فإن الحاج منذ أن يبري السلح ويبدأ في تجهيز نفسه والإعداد لهذه الرحلة تجده يمسو بنفسه في ملكوت الطاعة ، ولا يمكن أن يفكر في مصيبة ، بعد ذلك حينما يحضر للملايين ويبري السفر ويرتدي ملابس الإحرام يقول له : اتق هذه أشياء كانت مباحة لك قبل ذلك ، أصبحت غير مباحة لك الآن ، فملايك وهما<sup>(١)</sup> الذي كنت تتفخر به لابد أن تتساهل حتى نهاية الرحلة ، لأن الناس يحزنون من بعضهم

ببعضهم فانت تعرف قلبي الناس عاقبة من ملابسهم .

فالخلق سبحانه يريد أن يهيئ هذا التميز والاختلاف بين حياته المؤمن فيجعل الجميع يلبسون شيئاً واحداً هو ملابس الإحرام ، وبعد أن كنت ترتدي من الثياب الأخرى وأجملها وأطيبها ، ومن السطور أركامها ، وتذهب إلى الحلاق لتقص شريك ، أصبح كل هذا عروفاً عليك ، وهذا كله نوع من الأدب والالتزام والمساواة بين الناس أمام الحلق

سبحانه وتعالى .

فانستعمل المسلم السلح بعمله إنساناً آخر لا يفكر في مصيبة ؟ بل يسعى في الطاعة ويسعى إلى أعمال الخير ، لأنه يحجز نفسه لهذه الرحلة التي يحرق الله بها ذنوبه وخطايا

(١) همام : قال الأزهري : الهمام لمن فقد . انظر لسان العرب [١٦٨/٢٢] .

وكت ضربت لكم مثلاً بالبرغوث وهو حشرة ضئيلة ، ولكن لأن الله لم يسخره لك ، فهو يستطيع أن يقضم عليك جيشك ، يحركك من النوم ويحركك من الراحة ، كذلك أي نبتان صغير يستطيع أن يفرغ مجموعة من الناس ويرعبهم ، وشبهه أي ذئب أو حيوان مفترس ، لكن انظر إلى الجمل هذا الحيوان الضخم الذي يقوده طفل صغير نادراً ؟ لأن الله يسخره لك وذلكه .

فالله تعالى يريد أن يدركك أنك لم تتدلل لنفسك هذه الأشياء ولكن الله هو الذي دللها لك وسحرها لخدمتك .

مع أن هذا الجمل أو هذه الجملوسة أو البقرة ، لو صاحبت لا استطاع أحد أن يقف في طريقها ، ولكن أنت تستخدمها وتستفيد بها وتثرب ألبانها وتأكل لحومها ، لأنها مسخرة لك من الله .

وستنتهي التذليل أن الحيوانات التي أحلها الله لك تظل تتفتح بها طوال صورك ، بل إذا حدث لها أي شيء يفرق روحها فحينما تعد رقبها طائفة الذبيح ، والفلاحون حينما يفرلون : ه البهيمة طلبت الحلال ، فكانها تقول لك أنا لم أجد أنفسكم في حياتكم ، فاجهد أن تأكل لحس يداك .

والحيوان الذي لم ينج الله لنا أكله نجده يموت موت أن يجد رقبته للذبيح فسيحان الله ! فالشكر لله يكون على أنه خلق لنا هذه الحيوانات الناعمة وذلكها لنا مع أن فيها ما هو أفسخ وأقوى منا ، ونحن لم نستطع أن ندلل ما هو أفسخ وأفسر منها .

ولذلك الفلاح يستخدم حماره في حمل مختلفات وروث المواشي إلى الحقول لتسميد التربة ، ويحمل عليه التلال إلى السور ثم يركبه ويقضي به مصاعبه في المديية ، والحمار في كل ذلك مطيع لصاحبه لا يكل ولا يعل ولا يفسد ، لأنه مدلل .

وربنا تعالى : ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَوْمِمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابَ الْفَقِيرِ ﴾ مع أن الذبيح في الحليح مفقود به إلهام الفناء والضعف من أجل الحرام ، إلا أن الله تعالى في هذه الآية قدم الأكل على إلهام اليأس الفقير ، وذلك لأن المساعدة من العرب قبل الإسلام كان الواحد منهم إذا ذبح ذبيحة للفرار والمساكين يستمكن أن يأكل منها ، وما دام يستمكن أن يأكل منها فلا يهمه أن تكون سبية طيبة بالفتح والحرام ، أو أن تكون ذبيحة مبرورة

الجمل الذي تعبده أذن الأجناس سيأخذ منك دوراً ، فتلقى للحجر الأسود لاهد أن تستلمه وتجهده في أن تقبله <sup>(١)</sup> .

والحجر وربة الجهاد ، لأن الجهاد كل شيء ليس فيه النور أو الحس فتجد الحاج الذي لا يتمكن من تقبل الحجر الأسود يعرف ويشعر أن شيئاً قد نقص من حجه وبحارل ويقرب ويواسم حتى يبال هذا الشرف ويقبل الحجر .

فانظر إلى انكسار نفس هذا الإنسان ، ومو السيد الأعلى لجميع الأجناس يتأدب مع كل الأجناس ويأبى لأنى الأجناس ليهله ، فانظر إلى طمأنينة النفس البشرية إلى أدنى أنواع أجناس الأرض .

إن المنافع التي يشهد بها الحاج تشمل المنافع الدينية والدنيوية ، لأن الحاج يطل في طاعة لله وبراءة له وهو يقول : ه ليك اللهم ليك ورسى ليك ، أي أن كل مشاغل الدنيا تطلبي وأنت يا رب طلبي ، فانا أليك أنت أولاً ؛ لأنك بخالق وحائلي الأشياء التي تشغلي عاك ، والألم المعلومات هي : أيام الفرياق .

معنى : ﴿ هَلْ مَا تَزَكُّهُمْ مِنْ تَهْنِئَةِ الْفَتْحِ ﴾ والمح : ٢٧٨ أي : يذكرن الله ويشكرونه على الرزق الذي أمداه لهم من بهمة الأنعام استعافا بها أكلا ، واستعافا بالتمانيها يينا ، وقبل ذلك تشكر الله على أنه سخر لك هذه الأشياء <sup>(٢)</sup> ؛ لأن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً ذله لنا قال تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ عَيْنًا أَعْتَسَمُوا وَهُمْ إِيَّاهُ تَكِبُّونَ ۚ وَكَأَلَيْسَ لَهُمْ فِئَةٌ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۚ وَلَقَدْ فُتِنَّا فِئَةً مِمَّنْ وَتَسَارَوْا بِاللَّهِ يَتَكَبَّرُونَ ۚ ﴾ [س ] فالت لم تأخذ هذه المعلومات وتطوعها لخدمك بفورك أنت ؛ بل لأن الله هو الذي دللنا لك ، ولذلك الحق سبحانه يرك بعض خلقه غير مستأمن ولا مدلل ، ليعين لك أنه لو لا أن الله سخر لك هذا وذلك ما كنت تستطيع أن تتفتح به .

(١) من أين شهب من سلم أن أله حمله قال : حق صر من المطالب الحمر ثم قال : ه أنا والله لقد علمت أنك حمر . ولولا أي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ذللتك ورواه مسلم ٢٢٤٨/٢٧٧ وفي لفظ : ه رأيت رسول الله بك خلقاً .

(٢) معنى : الإبل ، والفر ، والشم كما فعلها سبحانه وتعالى في سورة الأنعام : ﴿ فَنَبِّئْهُمْ عَنْ نَارِجِ ۚ وَالْأَنْبِيَاءِ ۚ ﴾ [الأنعام : ١٤٢] . تفسير ابن كبر ٢٢١/٣٧ .

فالأكل يكون من طعم الهدى التي تطبخ بها لبيت دون أن يكون عليك شيء ، لكن إن نذرت شيئاً لا تأكل منه ، وإن كان دم قرآن لا تأكل منه ، وإن كان دم قحح لا تأكل منه ، وإن كان دم جبر للبيت صنعته في الإحرام لا تأكل منه ، وإنما تأكل من الصدقة الخبز أو الطبخ الخبز .

ونظر إلى رحمة الله تعالى في أنه أراد أن يحصل الشيء القادر هو الذي يشتري الجمال أو البيرة أو الخروف ، ثم يلبسها ويحدث عن اليأس للفقير المحتاج يأكل منها .

ثالثي هو الذي يتعب ويحدث ويشتري ويبيع ، والفقير لا يكلف نفسه عناء شيء من ذلك ، وما عليه إلا أن يأكل ويشكر الله ، فكان الله تعالى يقول للفقير : إنما لم أحرمك ولكن سخرت لك من يتعب من أجلك .

بعد ذلك يقول سبحانه : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُزِيلُوا بُرَأْسَهُمْ وَلْيَتَلَطَّفُوا ﴾ [البقرة: 239] والبيع [239] القضاء إما أن يكون قضاء من الله على الإنسان بأمر لأم محكوم به ، وإما أن يكون قضاء من إنسان بين اثنين خصامسين والقضاء يقضي المحصورة أولاً .

إذن .. القضاء هنا معناه القطع أي : يمتنعوا بتفهم ، ولكن ما هو التفت ؟ قال العربي : والله ما عرفنا كلمة التفت في لغتنا إلا في القرآن الكريم ، فلم تكن كلمة مبرورة ودلالة على السنة العرب . فلما سألوا رجلاً من الهادية عن معنى التفت قال : هو الرسخ الذي يأتي على الجسم من الخراب والبرق مثلاً ، لأن المحتاج يطل مدة يلبس - ٩ - دم قل السيد : لقول صر لن قل خطياً : وهذا إلى شاء فادفعها وصدق بالحسنة وأسن إدامها .

ومن احتاج إلى المطلق وهو مخرج طهر من ثلاثة :

- ١ - صوم ثلاثة أيام .
- ٢ - إطعام عشرة مساكين .
- ٣ - فحج شاة للقرية . لقوله سبحانه وتعالى : ﴿ كَلِمَةً يَكُونُ تَبِيحاً لِّكَ بِهَا أَنْتَ وَنَحْنُ وَكَافَّةً ﴾ [البقرة: 176] من تصيد شيئاً لله عذراً عما عليه من كل ما قل من الصوم - لم يطعم مسكين أو عدل ذلك شيئاً .

ليس فيها شيء من ذلك ، لكن لو عرف أنه سيأكل منها لابد أن يختار ما سميت وملكته باللحم <sup>(١)</sup> .

والياش <sup>(٢)</sup> هو الذي يلدو على شكله وجمعه أنه مسكين ، لكن الفقير قد لا يملك شيئاً ولكن هنا لا يمنع أن تكون ملازمة نظيفة وجمعه مسقولة ، والأكل يكون من طعم الهدى التي تطبخ بها دون أن يكون عليك شيء ، مثل القران أو دم الفصح ، أو دم غير مخالفة من المخالفات في الإحرام فتجبر به بدم ، مثل التمر خلال فترة الإحرام ، أو تعليم الأظافر ، أو قص الشعر ، أو تقصيره ، كل هذه تستوجب الكفارة بدم <sup>(٣)</sup> .

(١) وقال شيخان فقروا من تصور من إرامهم ﴿ نكلاً بيناً ﴾ قال : كان المبركون لا يأكلون من ذلتهم ، فرفض المسلمون فمن شاء أكل ومن لم يشأ لم يأكل .

تفسير ابن كثير [٢/١١٧] .

(٢) هؤوس وياش والياش : اللينة والكره إلا أن الهوس في الشعر ويلرب آخر ، وياش والياش في الكفارة .

صحيح مؤلفات الفقيه القرآن للأسماعيلي [٢/١٦٦] .

(٣) فلهذه في المحج :

- ١ - دم مضي : وهو ما يهدى من القسم للمرم ، ويكون من الأول ماله خمس سنتين فأكثر ومن فقير ما له سنتان فأكثر ، والقسم ما له سنة فأكثر ، وهو واجب على من ترك واجباً من واجبات المحج أو قصرة كلصحة والقران أو ترك المطلق أو التقصير .
- ٢ - فهدى المفقود : وهو واجب بالظن .
- ٣ - مضي المصروع وهو ما يطبخ به الحرم وفي الهدى خلافات كثيرة مفصلة في كتب الفقه والأشياء التي يلقا تركها بالمحج لزمه دم :
- ١ - عند ترك الإحرام من الميقات .
- ٢ - عند ترك طواف الإفاضة .
- ٣ - عند ترك طواف النسي .
- ٤ - عند ترك واجب من واجبات المحج - لرأس - البيت عتي - الوجود بالردنية .
- ٥ - عند فعل ما يعطل المحج عليه دم وطهه قطعاً .
- ٦ - دم الإحصار : ﴿ وَكَانَ أَهْوَأُ مِنْ أَنْ يَنْتَحِرَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة: 176] .
- ٧ - الفصح : ﴿ كَلِمَةً يَكُونُ تَبِيحاً لِّكَ بِهَا أَنْتَ وَنَحْنُ وَكَافَّةً ﴾ [البقرة: 176] .
- ٨ - القران : عذبت ربه الشيطان : أن الذي صلى الله عليه وسلم ذبح شيئاً وكان قرأاً .

فأمره حين أراد أن يهدم الكعبة أملاكه الله ودم جيشه بأن سلب عليه أضعف جند من جنود الله وحى الطير الأبايل ، وجعله عبرة لكل طائفة يحاول أن يمس بيت الله بالسوء . وحى النبل وهو حيوان أصحى كانوا إذا رجوه إلى الكعبة يركب<sup>(١)</sup> . وقد ذكر أن النبل كان اسمه محمود وقيل له في آفته : أيرك محمود وارجع راشداً ، فإذ كان في بلد الله الحرام ، فرفض النبل أن يتحرك خطوة واحدة إلى الأمام .

وحينما ذهب عبد المطلب إلى أمره ليكلمه في الإبل التي أخذها جيشه قال له أمره متعاليًا : كنت قد تهيتك لأذك سيد فريش ، وبعد ذلك تأتي لتكلمني في مائة بعير أصبتها لك ولا تذكر أي شيء عن البيت الذي فيه مجدكم والذي جئت لأهدمه ؟! لقد سقطت من نظري . فما كان من عبد المطلب إلا أن قال له : أنا رب هذه الإبل ، والبيت رب بعبي . وهذه حجة قوية فهو لم يرك البيت لمصيره خوفًا أو ضعفًا ، وإنما تركه ؛ لأنه يعلم يقينًا أن له رعا يحصيه ويدافع عنه ، وهذا الكلام زلزل أمره وأعظمه<sup>(٢)</sup> .

أعق من العرق ألبم الطولان ، دليله قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ يُؤْتِيكَ الْبَرُّ نُصْرًا مِمَّا كُنْتَ تَقْتَرِ﴾<sup>(٣)</sup> وهذا دليل على أن البيت رفع رتبته مكانه . وقيل : إنه أشتق من الجبارة ، ولم يذعه منهم أحد . وقيل : سعى حقيقًا لأنه لم يحكمه أحد ، والأول أولى .

لسان العرب [٢٣٣١/١]

لسان العرب [٢٣٩١/١]

(١) برك البعير : إذا أتاخ في موضع لزمه .  
(٢) قصة أعمش النبل مروية متواترة ، وحملها العرب مبدأ تزيخ بلزخون به ؛ فيقولون : حدث ذلك عام الفيل ، أو بعد عشرين من علم الليل ، وهكذا .

والقصة كما تروى : أن أمره من الصباح ملك الحسن من قبل أئمة المدينة المنى ، بني كعبه في صعدة تسمى والمقيس ، وروى على أن يعرف حج العرب إليها كما يجمع إلى الكعبة بكرة ، فخرج رجل من بني كعبه فقدم فيها ليلاً ، ويقال : إنه قضى بها حاجته أو أنه أسرقها ، فأنضبه لذلك ذلك ، فمضى ليهيمن الكعبة .

فخرج بالأحباش راكبًا ليلاً عظيمًا فوجأ كعب لطفه لم ير مثله ، ويقال له : و محمود ، ويقال : كان معه ألفا عشر ليلاً غيره لإرهاب العرب لأمسًا مكة متقنيا على كل من وقف في طريقه ، حتى وصل إلى للنفس قرب مكة رسة رجل من قبيل يقال له : و أير رجال و دليل . ثم =

الإحرام لا يتطلب ولا يحلق شعره أو يقص أظفاره أو عشاريه لكل هذا من الضفت بعد أن يحلل من إحرامه يقطع حلا الضفت<sup>(١)</sup> .

فسمى : ﴿وَلْيَقْضُوا فَرِيضَتَهُمْ﴾ أي : يقطعون ويهربون الأكران التي ملقتهم من الترام موجهات الإحرام ، وإن كان على أحدهم نذر طويوه ، ثم يقطعون بالبيت العتيق طواف الإفاضة . والطواف هو أن تدور حول شيء فبدأ من نقطة وتنتهي عندها .

والطواف حول الكعبة معروف .  
والبيت العتيق : هو الكعبة المشرفة ، وكلمة عتيق تستخدم في اللغة استعمالات واسعة ، والمعنى : بمعنى القديم ، وما دام هو أول بيت وضع للناس فهو قديم . والمعنى يمدح ؛ لأن الشيء حين يكون قديمًا فمعنى ذلك أنه حاتم ومحافظ عليه ، ولا يحافظ على شيء إلا إذا كان مهما أو له مكانة في النفوس ، ومن ذلك الآثار والصحف ، والحق أيضًا : هو الشيء الجميل الحسن .

والعتيق : هو للعرق من سيطرة الغير مثل حق العبد ألبم وجود الرق والاستعباد ، فبيت الله حقيق لأقدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، وحق بمعنى يقين ومهم ؛ لأنها حينما تزوره يظهرنا الله من الذنوب ، ومثلنا شيء بهجه وجهناه كل مسلم ، كما أنه بيت الله ، وهو أيضًا محرق من سيطرة الغير ؛ لأن الله يحصيه من سيطرة الجبارة ويحكمهم<sup>(٢)</sup> .

(١) الفتى : هو تحف الشعر ، ونس الأظفار ، وتكب كل ما يحرم على الحرم ، وكأنه المخرج من الإحرام إلى الإحلال .

﴿وَلْيَقْضُوا فَرِيضَتَهُمْ﴾ قال ابن عباس : الفتى : حلق الرأس ، وأخذ من الشريفة ، وتقف الإبط وحلق اللامات ، ونس الأظفار ، وأخذ من المبرضين ، ودمى الجحارة ، والوقوف بمرقبة والوقوف .

(٢) عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إنها شئ أحببت الحق لأنه لم يظهر عليه جهل . رواه القرطبي [٢٣١٧٠] وللطه له ، وقال : حلا حيث حسن صحيح ، ونسبه الألباني ، ورواه الحاكم في المستدرک [٢٣٨٩/٢] وقال : حلا حيث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجه .

والبيت العتيق بكرة قدمه ؛ لأنه أول بيت وضع للناس ، قال الحسن : هو بيت القديم ، دليله قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُنَالِكَ الْكَعْبَةُ﴾ . وقيل لأنه =



البيت قبل إبراهيم .. والله الذي أرشده إليه

قال الله تعالى : ﴿ وَذَكَرْنَا بِكَ أَنْ يَزِيدَكَ مَلَائِكَةُ الْيَمِينِ أَنْ لَا تُعْرِضَ عَنْ قِبَلَيْهِ ﴾ [النحل: ٢٠١] . إذن : الحق سبحانه وتعالى يبيِّن للمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالرَّاسِخِينَ وَالرَّاسِخَاتِ السُّجُودَ في الموضع : ٢٠١ . إذن : مكان البيت الحرام ومساحته هو الذي أرشد إبراهيم عليه السلام إلى المكان ، أي إلى مكان البيت ووجه إسماعيل عليه السلام بعد أن كبر قليلاً بالاضطباع ، أيضاً بعد ذلك إقامة البيت ووجه إسماعيل عليه السلام بعد أن كبر قليلاً بإحضاره في رفع البيت الحرام .

يؤن .. تعرف هنا على الخزيب التالي :

أولاً : أن الكين كان موجوداً من قبل إبراهيم عليه السلام .

ثانياً : أن إبراهيم عليه السلام كان يعرف المنطقة التي يوجد بها البيت الحرام - الكين - وإن كان لم يعرف بعد على مساحته بالتحديد .

الثالث : أن إبراهيم عليه السلام هاجر وابها إسماعيل في هذه المنطقة .  
رابعاً : صدر أمر الحق لإبراهيم أن يقيم البيت الحرام بعد أن أوضح له مكانه بالقطر . لقد أوضح الحق مساحة المكين والذي يجب عليه أن يقيم التوراة له هو وابنه إسماعيل عليهما السلام .

خامساً : أننا عندما نبحث أى أمر أو قضية فى القرآن الكريم فإننا نجمع كل ما يتعلق بها من القرآن ، حتى لا نبحث فى آية بعزل عن أخرى ، والملق تبارك وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ مَا يَتَى مُصْنِعُ النَّاسِ لَأَلْبِسَ ذِكْرَ اللَّهِ بَيْنَ الَّذِينَ يَكْفُرُ مِنَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِهِ وَلَعَلَّ هَؤُلَاءِ يَرْجِعُونَ ﴾ . ومعنى ذلك أن الحق قد أضح لنا أن هناك بيتا للناس هو أول بيت وضعه الحق للمخلق <sup>(١)</sup> من قبل أن يهبط آدم إلى الأرض ، ذلك أن الناس هم آدم وزوجه وأبناؤه إلى أن تقوم الساعة .

(١١) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قلت : يا رسول الله أتى مسجد ربيع في الأرض أول ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت ؟ قال : المسجد الأقصى . قلت : كم كان بينهما ؟ قال : أربعون سنة ، ثم فيما أوتى ركعت الصلاة بعد قُتَيْل ، فإن الفصل فيه .  
رواه البخاري [٣٣٦١] ، والنسائي [١٥٠٥] ، وأحمد [١٥٠٥] .

○  
○  
○

أرسل أيروة رجلاً من البعثة يقال له : الأسود بن مقصور ليخبر على الأمانة أيروة ، فساق إلى مكة أيروة أسيراً قريشاً ، وبها ملكا يعبر لعد الطالب بن هاشم ، وبعت حنابلة الجبتي إلى مكة .  
يأبى له سيد فقال الولد وشربهم ، ليخبره أنه لم يأت جبرهم وإنما أتى لهدم البيت الحقيق .  
وقال : إن عبد الطالب أقبل على أيروة ، وكان رجلاً جسيماً حسن المنظر ، فلما رآه أيروة أيأبه وأعظمه وأكرمته ، فبذل أيروة عن سروره ، فقبل على سيدته وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لفرحانه : قل له ما حاجتك ؟ قال : حاجتي أن يرد عليّ الملك ما بقي يعبر أصمها لي ، فلما قال له ذلك قال أيروة لفرحانه : قل : قد كنت أعتيت حزن أريك ثم وهنت فبك حزن كسني ، أنكسني في ما بقي يعبر أصمها لك ، وترك بيتاً هو دينك ومن أباك قد جئت لهدمه ، لا تكلفني فيه ١٢ قال له عبد الطالب : أي : أنا رب الإبل ، فإن للبيت رها جسيمة ، وقال : ما كان ليستم سبي ، قال : أنت وذلك .

ثم رجع جده الطالب وأخبر قومه بغيره إزاء الخروج من مكة واتصحن والفرح بالجلال ، وذهب هو إلى البيت يدعو ويأبى في الدعاء .

وَجَاءَ زَوْجُهُ بِنْتُهُ فِي السَّبَّاحِ ، وَهِيَ بِنْتُهُ ، فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى الْبَيْتِ ، إِلَى مَكَّةَ أَقْبَلَ نَقِيلُ بْنُ حَبِيبٍ حَتَّى نَاقَ إِلَى حَبِيبِ النَّبْلِ ثُمَّ أَسَدَ بَأْتَهُ ، فَقَالَ : أَيُّكَ مَحْمُودٌ ، أَوْ رَجِيعٌ رَاشِدًا مِنْ حَبِيبٍ حَتَّى : ذَلِكَ فِي بَيْدِ اللَّهِ الْهَرَمِ ، ثُمَّ أَرْسَلَ أَفَنَّهُ ، فَبَكَى النَّبْلُ وَخَرَجَ نَقِيلُ بْنُ حَبِيبٍ بِمَشَتْ حَتَّى صَدَّ الْحَبْلُ ، فَكَانُوا كُلُّمَا رَجَعُوا إِلَى حَبِيبَةِ النَّبْلِ بَرَكَ وَلَمْ يَسِرْ ، وَنَاقَا وَجْهَهُ إِلَى الْيَمَنِ لَوْ لَانْتَمَ إِلَى الشَّرَفِ أَسْبَحَ وَحَزَلُ .

وفي اليوم الثاني أرسل الله عز وجل جنده بمجادرة من مسجل على جنده اعتداله ، فتأثر منهم واستسلم ، وهكذا في كل طريق ورعب ، وحفظ الله بيته وحرمه ، وجعل قبيل يقول :  
أيها الفسار والأيام الغالب والأشرم المغرب ليس الغالب

قال السهيلي في الروض الأنف : إنه سمع من يقول : إن المدينة صنف منها يترك كما يترك الخيل .

راجع: السيرة النبوية لابن هشام [١١٢/١] ، وقرئ الألف للسلسلة ، وسنن البهقي والبرهان  
للمصلي، [٢١٤/١] ، والتفسير الكبير للنظر الرازي [٩١/٣] ، وغيرهم .

أن هناك أروماً لبيت وضعه الله للناس ليؤبوا إليه ، وبعد أن كثّر إسماعيل غنماً تلقى إبراهيم العلم من الله بمكان البيت المزمع ليقمه مع ابنه إسماعيل .

إن قصة البيت المزمع تبدأ منذ اللحظة التي أراد فيها الحق أن يجعل في الأرض خليفة خلق الله الأرض وقدر فيها قوتاتها ، وأعد الله لأدم وزدجه بيتاً ، ليؤرب إليه آدم وأبنائه من بعده ليكبروا في أمان .

وتلقى إبراهيم عن الحق العلم بمكان البيت فأقام جدراؤه ، فقام إبراهيم بفتحان المهمة التي كلفه بها الحق . لقد أقام إبراهيم جدران الكعبة على قدر ما تطول يداه ، فذلك الزم لم يكن به أدوات بناء كالتي نرى فيها حالياً بل كان زمناً بدايياً ، لذلك أراد إبراهيم عليه السلام أن يحال بالمقل البشري وأراد أن يزيد ارتفاع جدران البيت فأوجد الحجر الذي يقف عليه ليزيد في الارتفاع .

إذن .. فاقبالا للعالم الذي وقف عليه إبراهيم وهو يقف ، إنها هو دليل على أن إبراهيم عليه السلام لا يؤدي تكليبات الحق أداءة شكلياً إنما يؤدي أداءه الحبيب . لقد أصيب إبراهيم عليه السلام تكليف الرحمن له فحمل خبزاً يقف به الجدران للبيت المزمع ، وهو حجر من حرم متوسط يستطيع أن يحمله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام .

ولذلك فعندما يرى المسلم الحجر الذي وقف عليه إبراهيم لعلى جدران البيت المزمع فإنه يجد أن ذلك الحجر من ناحية المجمع والوزن ، في طاقته الإنسان أن يحمله مع ابنه . إن هذا الحجر هو سمة الحية لإكمال التكليف ، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يتقلدان هذا الحجر من مكان إلى مكان ، يضع إبراهيم الحجر فوق الحجر وإسماعيل يبارك الأحمجار ، ولقد وجد الناس في مقام إبراهيم خوزاً يشبه القديمين وليس فيه التبرعات التي توجد في القديم ، وعندما شملت هن سر علم وجود التبرعات قلت بالاجهاد البشري : يمكننا أن نعلم أن خليل الرحمن قد حفر هذا القبر في الحجر لبيت به قدمه وهو يرفع الحجر فوق الحجر لعلى من جدران البيت المزمع ، وهكذا جعل الحق هذا المقام سمة وآية بيته لقوى الدليل على حب التكليف الرباني .

- إن كل صهيح لله بالنسبة خلقه هو تكليف ، وبعد الحق أن يقف مقام إبراهيم على الرحمن سمة طيب التكليف الرباني ، وكان الحق يريد أن يعلم لخلق أن إبراهيم كان

إن الحق يوضح لنا أن البيت وضع للناس قبل أن يوجد الناس ، وهكذا نعرف أن البيت المزمع كان موعوداً قبل إبراهيم عليه السلام ؛ بل وقبل آدم عليه السلام ، إن آدم لم يضع البيت ولكنه نزل إلى الأرض ليجد البيت<sup>(١)</sup> ، وهكذا يورد الحق على الملق بأنّه هو الذي أمر اللائكة أن تقوم البيت لستقبله آدم وأبنائه من بعده ، ليصير البيت حامية للناس جميعاً من أول آدم ، وعندما جاء إبراهيم عليه السلام إلى د المكين ، كان يعرف

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد [ ١٤١/١ ] في عدد الزرات التي تبها البيت :  
الأولى : عذار اللائكة :

ردي الأرضي عن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهما أن رجلاً سأل ما بهه هذا الطواف بهذا البيت ؟ ولم كان ؟ ولقي كان ؟ وجبت كان ؟ فقال : أما بهه هذا الطواف بهذا البيت فإن الله تعالى قال لللائكة : ﴿ إني أبعث في الأرض خليفة ﴾ - وسأل اللعنة إلى أن قال : فوضع الله سبحانه وتعالى تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زرجد وضامن بطرزة حمره ، رسي البيت الفسراج ، ثم قال لللائكة : طوبوا بهذا البيت ودموا العرش . فخلعت اللائكة بالبيت زركوا العرش فصر أمرون عليهم ، وهو البيت المصور الذي ذكره الله تعالى ، يمدله كل يوم ولاية سمون لكف ملك لا يهودون إليه أبداً ، ثم إن الله سبحانه وتعالى بيث ملائكة فقال : انبرا لي بيتاً في الأرض يجتله وقدره ، فأمر الله سبحانه وتعالى من في الأرض من خلقه أن يعطروا بهذا البيت كما يعرف أهل السماء بالبيت المصور .

الورة الثانية : عذار آدم عليه السلام :

ردي الشيعي في الدلائل من ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بيث الله تعالى جبرائيل إلى آدم وحواء فقال لهما : انبرا لي بيتاً ، فخط لهما جبرائيل ، فحمل آدم وحفر وحواء تنقل حتى أمياه الله وتؤدي من تحته : حسبك يا آدم . فقاما بهه لرحي الله تعالى إليه أن يطوف به ، وقيل له : أنت أول الناس ، وهما أول بيت وضع ، ثم تأسخت القرون حتى حجه نوح ، ثم تأسخت القرون ، حتى رفع إبراهيم القواعد من البيت .

والنظر أول من بنى الكعبة من [ ٢٥٧٧ ] فيها المسمو للثقة ، والربمة .  
ودواء ابن أبي حاتم وابن جرير والطبراني موقوفاً . وزادوا : زعم الناس أن آدم بناء من عسمة أجيل : من حمره ، وزيلان ، وطور زينا ، وطور سنان ، والجرودي . وذكر الحديث للنبي الهندي في كبر السمال [ ٢٥٧١ ] ورواه الشيعي ولبن حساكر ، قال : وقال الشيعي : تورد به ابن لهيعة مكلاً مرفوعاً .

كان الحق تبارك وتعالى قد أوجع إلى خليه إبراهيم عليه السلام أن يظهر هو وابنه إسماعيل البيت الحرام ، لأنه سيكون قبة لكل مؤمن بطوف به أو يحكف فيه ، أو ركن أو ساجد في أى مكان في الدنيا .

وبعد ذلك يقول الحق : ﴿ قَدْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ أَسْمِكُ هَذَا بَنِيَّ كَمَا قَالَ آدَمُ لِقَوْمِهِ إِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوٌّ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهِ فَأَسْكِرْ فَتُنَبِّئُهُ يَوْمَ تَخْرُجُ السَّاعَةُ أَسْمِكُ إِنَّكَ عَدُوٌّ يَتَّبِعُ النَّاسَ فَنُفِىَ إِلَيْهِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، وكان الحق يريد أن يذكرنا هنا بأن البيت الحرام الذى كلف الحق بأن يعمله آتيا ، هذا البيت هو دعاء إبراهيم مطلوب له دولام الأمان . إن الحق قد قال من قبل : ﴿ قَدْ قَالَ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَكَّةَ قَلْبًا لِّمَنْ خَلَقَ ۖ وَجَعَلْنَا بَيْتَ الْمُطَرِّبِ إِبْرَاهِيمَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ طَلَبُ الدَّوَامِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبُ ، وَتَالَى عَلَى ذَلِكَ قَوْلِ الْحَقِّ : ﴿ هَذَا بَنِيَّ كَمَا قَالَ آدَمُ لِقَوْمِهِ إِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوٌّ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهِ فَأَسْكِرْ فَتُنَبِّئُهُ يَوْمَ تَخْرُجُ السَّاعَةُ أَسْمِكُ إِنَّكَ عَدُوٌّ يَتَّبِعُ النَّاسَ فَنُفِىَ إِلَيْهِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٦] ، وكذلك الآية التى نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ هَذَا بَنِيَّ كَمَا قَالَ آدَمُ لِقَوْمِهِ إِنَّهُ يَكُونُ لَكُمْ عَدُوٌّ ثُمَّ يَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهِ فَأَسْكِرْ فَتُنَبِّئُهُ يَوْمَ تَخْرُجُ السَّاعَةُ أَسْمِكُ إِنَّكَ عَدُوٌّ يَتَّبِعُ النَّاسَ فَنُفِىَ إِلَيْهِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٢٦] .

إن الحق يكلف المؤمنين به بأن يقدم كل منهم الإيمان بالله ورسوله والكتاب الذى أنزله على رسوله ، والكتب السابقة للبراة على الرسل .

أذن .. فإن كان المطلب موحدا ، فلما أن نفهم أن ذلك معنى أن يظل الموجود دائما ، وأن تواصل التكليف الإيماني من جعل إلى جعل ، يمكننا أن نفهم دعاء إبراهيم عليه السلام ، على أنه دعاء بالأطمئنان للمقيمين حول البيت ، ذلك أن بيت الله الحرام موجود بواد غير ذى زرع ، لذلك فقد بعث فرقا وغير آمن ، لأن قوت بدنه غير موجود ، ولما كانه استخراج هذا القوت بالزراعة غير متوفرة .

فإن أردنا الأمن المطلق فلتعلم أن الله حين يخاطب المؤمنين بطلب الإيمان فسراد ذلك الدوام على الإيمان ، وإن أردنا الأمان على نزع خاص فإنهم يدعونه بأن يجعل من بلد بيت الحرام بلدا آتيا على وجه الخصوص ، ولما أن لاحظ أن دعاء إبراهيم فى هذه الآية جاء بكلمة و بلدة ، فذكر أى بدران ألف ولام تسبقها ، وجاءت فى آية أخرى وهى مرفوعة لى تسبقها ألف ولام فى قوله تعالى : ﴿ هَذَا بَنِيَّ كَمَا قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىْ أَسْمِكُ هَذَا الْبَلَدَ

بشرى قد أصيب التكليف قائم وأكمل ، ولذلك كان أمر الحق أن نجعل هذا المقام معصيا وبعد ذلك يأتي قول الحق : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْتَ إِبْرَاهِيمَ مَكَّةَ لِكُلِّ شَيْءٍ بَيْتًا ۖ وَجَعَلْنَاهُ ذِكْرًا لِّعَالَمِينَ ۖ وَالْمَكِينِينَ ۖ وَارْكُضْ بِرِجْلِكَ فِي أُصُفَّى ۖ ﴾ . ولما أن نسال كيف يصير أمر الحق إلى إبراهيم وإسماعيل بتطهير البيت رغم أنهما قد أكمل بناءه فوزا ؟

لم يكن للكان علما ؟ إن هذا السؤال يدلنا على أن البيت الحرام قبل أن يظهر ، كانت الناس تدفع فيه الذبايح وتترك فيه بقايا الدم وغير ذلك ، ولذلك صدر أمر التطهير للبيت (١) ولكن لمن يتم تطهير البيت الحرام ؟

إن الحق تبارك وتعالى يحدد الفئات الثلاث التى يتم من أجلهم تطهير البيت الحرام . الفئة الأولى : هم الصالحون أى : الذين يطوفون حول البيت ، وكان تطهير البيت الحرام من بقايا القاذورات أو الأوساخ التى تخلفت من عبود وثنية سابقة على تكليف إبراهيم عليه السلام بإقامة البيت الحرام (٢) .

والفئة الثانية : هم الماكرون والمقصود : للتقوى حول البيت الحرام . والفئة الثالثة : هم الركن السجود ، أى المصلون ، ويستطيع الإنسان أن يكون من الفئات الثلاث فى آن واحد حين يصح أو يصير إلى بيت الله الحرام فهو يدخله طائفا ويحس فيه عاكفا ، ويتم الصلاة فيه ، فيصبح من الراكعين المساجدين .

(١) قال صاحب سبل الهدى والرشاد [١١٥٥/١] : وفى حديث فى جهم وهد ابن سعد : وحلفت لشكبة كأنها سحابة على موضع البيت ثلاث : فى على . لذلك لا يطوف بالبيت لحد أبدا كثر ولا جهر إلا رأت عليه لشكبة ، فبنى إبراهيم البيت فعمل حوله فى السماء تسعة أفرع ورحم ثلاثين فرسا ، وطوله فى الأرض اثنين وعشرين فرسا ، ولعمل الجوز وهو سبعة أفرع فى البيت ، وكان قبل ذلك إذا نسم إسماعيل ، ولما به بمحاروة بعضها على بعض ولم يعمل له شقفا ، وجعل له بابان ، وشر له بورا عند بابه خزانة للبيت باقى فيها ما يعيدى للبيت وجعل لركن علقا للناس .

(٢) قلت : وكلما تطهر البيت من أوساخ إسماعيل عليه السلام ، كما جاء فى حديث فى جهم للذكور بالقطيع المساق .

كَانَ اللَّهُ يَقُولُ لِإِبْرَاهِيمَ : إِنِّي خِزْتُ اسْتَعْتِجْتُ الْخَلْقَ إِلَى الدُّنْيَا اسْتَعْتِجْتُ الْمُرْسَلِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَاسْتَخَرْتُ مَا فِي الْأَرْضِ الْمُسْلِمِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَمَا دُمْتُ قَدْ اسْتَعْتِجْتُ الْمُرْسَلِينَ وَالْكَافِرِينَ فَلَا يَدُ أَنْ أَضْمِنَ لَهُ مَقْرَبَاتٍ حَيْثُهَا ، لَكِنْ حَسَابُ الْقِيَمِ يَخْطِفُ ، إِنْ لِلْمُسْلِمِيَّةِ أَنْ تَقْلُ فَيُفْهِمُ الْإِمَامَةَ ، لِأَنَّ الْإِمَامَةَ هِيَ أَجْبَاعُ التَّهَجُّجِ وَالتَّكْلِيفِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ بِحَسْبِ . أَمَّا الْكَافِرُونَ فَلَهُمْ عَذَابُ الْبَحِيمِ فِي الْآخِرَةِ .

○  
○  
○

المسيحية ﴿ و ر وقولنا ﴾ الثانية على المؤمنين تريبا على الآية الثانية ﴿ و رتت انزل الآخرة ﴾ فسماء الله في الدنيا مكتوب للكثير والمؤمن لم يصفو الله سبحانه على أحد من خلقه ليعلم حبة اختيار المنيعة وعدم الإكراه عليها كما قال تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [ البقرة : ٢٥٦ ] . ثبو أن الله تعالى حرم الكافرين لكفرهم ليعلموا الإسلام حيرا ، ولأن أن الله حرم المؤمنين لاختيار الرهب الآخرة : لكفرنا قهرا ، وهذا ليس مراد الله تعالى إذ قال : « فمن شاء فليرب - وله الجنة - ومن شاء فليكفر - وله النار » . وانظر تفسير ابن كثير [٣/١٣٢] . من عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله قسم بينكم أملاككم كما قسم بينكم أركانكم ، وإن الله حر ورجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من أحب » ، فمن أملاك الله الذين قد أسبى ... جزء من حديث رواه أحمد [٢٨٧١] ورواه الشيخ شاكر في المسند [٣٧٦٢] وقال الأثير : روط . إنسانه ضيف .

مايكينا راجيشيبي لَوَيْتَ أَنْ يَسْتَبِدَّ الْأَرْضَ كُلَّهَا ﴿٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥] . إِنَّ دَعَاءَ إِبْرَاهِيمَ يَخْتَلِفُ فِي  
الْأَيَّامِ حَتَّى نَتَمَمَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْعَالَمِ ، فَالدَّعَاءُ الْأَوَّلُ هُوَ فَضْلُ شَيْخِيقٍ مَا تَعَاهَدَ إِبْرَاهِيمُ ،  
فَهَذَا الْمَكَانَ لَمْ يَكُنْ بَعْدًا ، وَإِنَّمَا كَانَ مَكَانًا مَقْصُورًا فِيهِ الْبَيْتُ الْحَرَامُ مِنْ غُفْلَةِ النَّاسِ ،  
وَالدَّعَاءُ الثَّانِي هُوَ أَنَّ يَدْعِيَ اللَّهُ الْأَمْنُ عَلَى هَذَا الْبَلَدِ بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ بَعْدًا بِاتِّعَاضٍ . وَلَمَّا أُنْ  
تَرِفَ أَنْ كَلِمَةً د بَلَدٌ وَ حِينَ نَسَمَحُهَا ، فَإِنَّ الدَّعَاءَ يَتَصَرَّفُ إِلَى الْمَدِينَةِ الَّتِي فِيهَا يَتَوَسَّطُ  
وَأَسْوَاقُ وَخِلَافَ ذَلِكَ مِنَ الْمَرَاتِقِ ، وَكَلِمَةً د بَلَدٌ وَ مَاخُودَةٌ مِنَ الْأَثَرِ الَّتِي يَبْنِي فِي الْمَجْلِدِ  
فَيَتَمَيَّزُ عَنْ بَقِيَّةِ الْمَجْلِدِ ، وَانْتَقَلَتِ التَّسْمِيَةُ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي تَقَامُ عَلَيْهَا الْمَبْنَى وَغَيْرَهَا ، لِأَنَّ  
الْمَاءَ . قِسْمَهُ وَاضِحَةً كَالْعَدُوبِ أَوْ الْإِلَاحَاتِ الَّتِي تُوَجِّدُ فِي الْمَجْلِدِ (٣٦) .

ولما أن دخلنا فطنة التوبة في دعاء إبراهيم حين قال : ﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِيِّ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ رَبِّهِمْ أَكْبَرُ ﴾ ، إن دعاء إبراهيم عليه السلام يوضح أنه حصر مطالبه في رزق المؤمنين بالله والرحم الآخر ، هذا الدعاء يوضح أن إبراهيم عليه السلام قد استوعب الدرس الذي سبق أن لقنه الله ، ﴿ لَا يَتَلَبَّسُ بَعْثُهُ الْأَلْبِينِ ﴾ ، لذلك عندما جاء إبراهيم ليطالب الرزق لأبنائه ، طلبه للمؤمنين منهم وطلب رزق العشرات لهم ورحمهم ، مكملاً كانت القصة في استحصال التكليف من الله ، وهكذا كان أدب المعلم من الله ، لكن راحة الله لا تتوقف . إن راحة الله فائدة على استحباب المؤمنين والكاثر معا ، إن الرزق في الأرض مقدر للمؤمنين والكاثر ، إن الحق يبه إبراهيم ويصحح له : ﴿ أَفَأَنْتَ تَكْفُرُ فَاجْعَلْ لَكَ آيَةً كَأَمْثَلِ الْكَلْبِ الَّذِي يَتْبَعُ أَهْلَهُ ﴾ ، إن الحق يبلغ إبراهيم أن المؤمنين من ذرية له رزق الدنيا ورحمة الآخرة ، ولهم في الدنيا الإمامة في القوم أما في رزق المادة من طعام وشراب فذلك نعمة للمؤمن ورحمة للكاثر رغم أني أضربه في الآخرة (١٦)

[illegible]

## مجرة إبراهيم وإسماعيل إلى مكة

مخاض - حتى ظهر الله ، فجلست تحزونه وتقول يديما مكندا ، وجلست توترق من الله في سنانها وهو يفرر بهما توترق .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « عزم الله أم إسماعيل لو تركت زمرهم - أو قال : لو لم تترك من الله - لكنت زمر حيا ميتا » .

قال : فشرحت زمرتهم ولما ، فقال لها الملك : لا تملأوا الصبرمة ، وإن ملأها بيت الله بهما هذا الضلال أدبره ، وبالله لا يضيع الله ، وكان البيت مرتفعا من الأرض كالزبرة ، فلبى الرسول فأخذ من تحت وشاله ، فكنت كذلك حتى مرت بهم وقف من حرمهم - أو أهل بيت من حرمهم - متبينين من طريق كده ، ففرروا في أسفل مكة ، فرأوا حائرا عافيا ، فقالوا : إن هذا الطائر لم يدر على ماء ، ألهبنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا جريئة فوحيهم يولوا هم بالله ، فرجعوا فأنفروهم بالله ، فأقبلوا - قال وأم إسماعيل عند الله - فقالوا : أألفين لنا أن نترك عندك ؟

فقلت : نعم ، ولكن لا حتى لكم في الله . قالوا : نعم .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « قالني ذلك أم إسماعيل وهي تحب الإرس » ففرروا ، وأرسلوا إلى أهلهم ففرروا معهم ، حتى إذا كان بها أهل أبيات منهم ، وشبه للبلاد وتسلم البرية منهم ، وأقسمهم وأقسمهم حتى شب ، فلما أدرك زوجه امرأة منهم ، وبنت أم إسماعيل ، فقامه إبراهيم بهما فخرج إسماعيل بمالغ تركه ، ولم يده إسماعيل ، فقال إبراهيم : هت فقلت : خرج يمشي لنا ، ثم سألها من حشهم ومشيهم فقلت : لمن يمشي ، نحن في ضيق وشدة ، ففكرت إليه ، قال : يولوا جده زوجات فاروق عليه السلام وفوق له بغير حجة به ، فلما جاء إسماعيل كله نسي شيئا ، فقال : هل جاءكم من أحد . قالت : نعم ، جاءنا شيخ كذا وكذا ، فسألنا عننا فأنفرت ، وسألني كيف حشنا ، فأنفرت له في جده وشدة . قال : فقول : وماك بغيره ؟ قالت : نعم ، أفرى أن أكون عليلت السلام ، وتقول : خير حجة بآلت . قال ذلك لي ، وقد أفرى أن أكون عليلت ، ففعلنا بها ، ففعلنا بها وزوج منهم أميري .

كثرت منهم أراهم ما شاء الله ، ثم أتاهم بعد ظم بعدهم ، فدخل على امرأته فسألها عن حثان : خرج يمشي لنا . قال : كيف أقوم ؟ وسألها من حشهم ومشيهم فقلت : نعم بغير نسبة ، وبنت على الله ، فقال : ما جدمكم ؟ قالت : اللحم . قال : فما شراكم ؟ قالت : الله .

قال : اللهم بورك لهم في اللحم والله .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ولم يكن لهم يوقف حث » ولم يكن لهم اللحم لهم فيه ، قال : لهما لا يمشي عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوقده . قال : يولوا جده زوجات فاروق .

﴿ وَبَيْنَا إِلَيْكَ آتَيْنَاكَ بَيْنَ ثَمُودَ بِرَاءَ وَبَيْنَ ثَمُودَ بَيْنَا وَبَيْنَ ثَمُودَ الْخَمْرَ ﴾ .

أن هذا الوادي لا يصلح فيه الرياح ، لأنه أرض صخرية ولم فيها كانت أرضا رملية أو نصف رملية مثلا لكان من الممكن أن تستعملها وزرعها . إذن قوله تعالى : ﴿ بَيْنَ ثَمُودَ وَبَيْنَ ثَمُودَ ﴾ أي : لا أمل في الجهد الإنساني لزرعها ولا يوجد إلا المطاء الرباني ، ولكن هل سينا إبراهيم هو الذي جعل هذا المكان القفر الذي لا يزرع فيه ولا ماء ولا حياة ؟ أو أن الله هو الذي جعل له هذا المكان ؟<sup>(١)</sup> .

(١) من ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : « أول من اتخذ من النساء المفضل من قبل أم إسماعيل اتخذت مطلقا لنفسها لمرها على سارة ، ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل - وهي زمره - حتى وضعها عند البيت عند دوحه فوق زمرهم في أعلى للمسجد ، وليس بمكة يوجد أحد ، وليس بها ماء فوضعها هناك ، ووضع عنهما جريئة فيه حجر ، وساء به ماء ، ثم قلى إبراهيم مطلقا فبعت أم إسماعيل فقلت : يا إبراهيم أين تذهب وتتركها بهذا الوادي الذي ليس فيه شيء ولا شيء ، فقلت له ذلك مرارا ، ورجل لا يفتت إليها ، فقلت له : الله أنرك بهذا ؟ قال : « نعم » . قالت : « وإن لا يهتبعها » ثم رجعت . فاطلق إبراهيم حتى إذا كان عند القبة حيث لا يركب ، لمجد يوجهه البيت ثم دما بهؤلاء الكلمات يرفع يديه فقال : ﴿ وَبَيْنَا إِلَيْكَ آتَيْنَاكَ بَيْنَ ثَمُودَ وَبَيْنَ ثَمُودَ بَيْنَا وَبَيْنَ ثَمُودَ الْخَمْرَ ﴾ .

﴿ وَبَيْنَا إِلَيْكَ آتَيْنَاكَ بَيْنَ ثَمُودَ وَبَيْنَ ثَمُودَ الْخَمْرَ ﴾ .

رجعت أم إسماعيل فوضع إسماعيل وترب من ذلك الله ، حتى إذا ندد ما في السماء صفتت وطفق إليها ، رجعت على أبيه جريئة - أو قال جديدة - فاطلقت كرامية أن تضر إليه ، فوجدت الصدا أقرب جعل في الأرض إليها ، فقامت عليه ، ثم استقبلت الوادي تضر مل ترى أسفا ، فلم تر أسفا ، فبهتت من الصفا ، حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف دوحها ، ثم سعت حتى الإسفل الملهو حتى جازت الوادي ، ثم أتت اللزوة فقامت عليها ، فطرت مل زري أسفا ، فلم تر أسفا ، فقامت ذلك سبع مرات .

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فذلك سعى الناس بهما » .

فلما أنشرفت على اللزوة سمعت صوتا فقلت : صو - تريد نفسها - ثم تسلمت إليها فقلت : قد أسلمت إن كان حذقه قواث ، يولوا من يملك عند موضع زمر ، فبعت بغيره - أو قال :

إن الاختيار من الله سبحانه فهو الذي اختار المكان ، وأمر إبراهيم بالإقامة فيه ،  
ولذلك قال : ﴿ وَرَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ مِيقَاتِ الْحَجِّ ﴾  
عبارة ﴿ عِنْدَ مِيقَاتِ الْحَجِّ ﴾ هي جبهة الرضا بالكيف ، مكانه أحب هذا المكان رغم  
تفرده ، طاعة له سبحانه . فلما تقول لأحد : اذهب إلى مكان كذا لتقابل فلانا فيقول  
لا : يا أخي المكان بعيد ، والواصلات ضيقة ، ولكن سأذهب من أجل فلان هذا ،  
لأنني أحبه وأتقني خدمته .

إذن .. فهناك أمر تكلفني سينفذ برضا وحب وسأعند صاحبه ثواب حبه  
التكليف وثواب القيام بالتكليف .

رحب التكليف مثل الرجل الذي قال : اللهم إلى عصيتك ، ولكني أحب من  
يطيعك ، فأجعلها قربة لي ؛ لأنه يفرح بتنفيذ التكليف ولو من غيره ؛ لأن في تنفيذه  
حتى من غيره مصلحة له ؛ ولذلك فإن رضا سبحانه حين علمنا أن فاجبه في فائقة  
الكتاب في أول الصلاة قال سبحانه : ﴿ يَسْمَعُ آيَاتِ الَّذِينَ هُمْ أَجِلُهُمْ ﴾  
أَحْسَدُ يَوْمَ رَبِّ السَّاعِيَةِ ﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿ سُبْحَانَ يَوْمِ الدِّينِ ﴾  
إِيَّاكَ تَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ وَالْحَمْدُ ﴾ . ومع أن المصلي الذي يقرأ الفاتحة  
في الصلاة فرد وليس مجموعة ، فإنه لم يقل إياك أعبد ؟ وإنما قال : ﴿ إِيَّاكَ تَعْبُدُ ﴾  
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿ فحشر نفسه في زمرة العابدين ؛ لعل الله يقبلهم من أجل واحد  
فيهم ؛ ففكرت الصفة رابطة فكانه يقول : يا رب القلبي وأنا عاصي من أجل هذا المصلي  
من عبادة الصالحين ، ولذلك فإنهم يقولون : إن الذي يقبل مصيبة لا بنفسه من  
المؤمنين بل يفرح بهم ؛ لأن فرحة بالمؤمنين دليل على حبه التكليف لكنه لا يقدر

- في الدلائل [١٧/٧-٤٧٠] . وقد عوله المصنف في البحث الطواف على الأكراف [١٧/٤٢٩] ،  
لسمد من طواف في نفسه ، ولطيف في تفسيره [١٧/١٥٢-١٥٤] .

وأما المصنف ابن حجر في فتح الباري [١٧/٥٠-٥١] فقد عوله : لأن السكن والإسماح  
والناكح والأزدي وصرف بن شبه في كتاب مكة ، ولو نعيم في المستخرج .

عليه السلام ، وكثره بيت هبة بابه . لما جاء إسماعيل قال : هل تأكل من أمد ؟ قالت :  
نعم ، أنا شيخ حسن الهيئة - رأيت عليه - فسألني عن فانيه ، فسألني كيف عيشا  
فانيه أنا بخير ، قال : فأرسلك بخير ؟ قالت : نعم ، هو يقرأ صلوات السلام ، وأمرني أن  
تجبت حبة بابل . قال : ذلك أي وقت ليلة ، أمرني أن أسكن ، ثم لبث معهم ما شاء الله ، ثم  
جاء بعد ذلك وإسماعيل يرى نبلا له تحت دوحه قربة من زبرم ، فلما رآه قام إليه ، فضمما كما  
يصنع الولد بالولد ، والولد بالولد . ثم قال يا إسماعيل ، إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع  
ما أمرني به . قال : ونصحتي ؟ قال : رأيتك . قال : فبأن الله أمرني أن أضيء حاشا بيتا وأشارا  
إلى أكمة مرتفعة على ما حولها - قال : ففعل ذلك رضا القواعد من البيت ، فعمل إسماعيل  
بأني بالمحيرة فأمرهم بضيء ، حتى إذا ارتفع البناء جاء بهما المصير فوضعه له . فقام عليه وهو  
يضيء لإسماعيل يباركه المعجزة ، وما يبرلان : ﴿ وَرَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾  
بينما حتى يندبروا حول البيت ورضا يبرلان : ﴿ وَرَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ انتهى .  
رواه البخاري [٢٣٦١: ٢٣٦٠، ٢٣٦١] والمصنف له . وفسلني في الكبرى [١٨/٣٧١] وفي  
حديث أبي جهم : و كان إبراهيم يورد ما حاجر كل شهر على البرقي يندبر غيرة فلي مكة ، ثم  
مرجع ففعل في منزله بالشم ، قال المصنف في الفتح [١٧/٥٠٩] : روي لقاكس من حديث علي  
بإسناد حسن نحوه .

ومن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : و فنادما  
جبريل قال : من أنت ؟ قالت : أنا عابر لم ولد إبراهيم ، قال : فلي من وكلكما ؟ قالت : لي  
الله ، قال : وكلكما لي كالف .

رواه الطبري بإسناد حسن كما قال المصنف في فتح الباري [١٧/٥٣] .  
ومن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنه عيشا قال : و لا كان بين إبراهيم وبين أمه ما كان  
خرج بإسماعيل ، ومعهم شاة فيها ماء ، فعملت لم إسماعيل تشرب من الشاة فغير لبها على  
صبيها حتى قدم مكة فوجدتها تحت دوحه ، ثم رجع إبراهيم إلى أمه فابته أم إسماعيل حتى لا  
يبدرا كداه ففاده من رواده : يا إبراهيم إلى من تحركا ؟ قال : إلى الله . قالت : رضى بك .  
وفي نسخة أخر : و ... ففتح أم إسماعيل وقالت : يا إبراهيم أين تلعب وحر كما بهما الولد  
فلما لبس فيه أسس ولا شيء ، فقالت له فذلك مرأا ، وجعل لا يفتت إليها ، فقالت له : والله  
أمرك بهما ؟ قال نعم . قالت : إذن لا يضيها ، ثم رضىت ... و رواه البخاري  
[٢٣٦١: ٢٣٦٠، ٢٣٦١] والمصنف له . وفسلني في الكبرى [١٧/٢٣٨، ٢٣٨] ، ولفهني -





## زبور .. وصديق التوكل على الله

هنا يجب أيضا أن ننبه إلى شيء آخر ، وهو أن الحق سبحانه وتعالى حينما أتى بعض الأشياء وجعلها نسيكا أراد أن يجعل الناس على ذكر من أمور مناسكهم ، فمثلا : السعي بين الصفا والرفرة ، عرفنا أن السيدة هاجر سمت بينهما لطلب الماء لوليدها إسماعيل عليهما السلام سبة أشراط ، ولم نجد ، ثم وجدت أنها ضربت برجله فخرجت زبور .

إذن .. فزبور تكل شيئا في الحقيقة ، بصرف النظر عن كونه : ه مباركة ، وأنها طمام طعم ؟<sup>(١)</sup> ، السعي تكل رزية الأسباب وزبور تكل رزية التوكل على السبب حيث الرزق من حيث لا نحسب .

إذن .. فلا بد للإنسان أمام ظروف الحياة أن يكون له حالين : حال يسر فيه مع الأسباب فيجهد ويجهد كما جدت السيدة هاجر عليها السلام في أنها ذهبت إلى الصفا فالرفرة وكررت ذلك ؛ ولكن هذا لم يأت لها بالماء ، وجاء لها الماء من حيث لا تحسب بضرية قدم من أيها الصغير الضعيف ؛ وعلى هذا فالؤمن بين أمرين : بين أسباب تشغل جوارحه ، وتوكل على الله يشغل قلبه ، ولتأكد هذا للنبي ، ليس أن تقول هذه زبور التي كذا ، التي جاء بها الله من حيث لا تحسب السيدة هاجر ، وكذا وكذا ، لا . بل ونشرب منها ، والله يجعل فيها الفائدة ، بالرجة أن المحدثين في السيرة حدثونا أن بابا فرجينا جاء من بلاده بعد أن سمع خبر بركة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوكل ضيقا على أحد في مكة ؛ وتوكل ضيقا في المسجد ، وقد يسأل الناس ويقولون : لماذا مع أن كل واحد يأتي من البداية له واحد من المضر ؟ فكل واحد يأتي من البداية يكون له قريب أو صديق يتوكل عليه ؛ ولذلك كان زاهر بن حرام هو البشري لرسول الله صلى الله عليه وسلم - يعني عندما يتوكل رسول الله الصخرة يتوكل على سيدنا زاهر بن حرام - وكان يهجه جدا وله دعاءات معه كثيرة جدا ، للرجة أنه رأى مرة طائوس من أبيه قال : زبور طمام طمام وشفاء سقم .

(١) جزء من حديث رواه مسلم [٤٧٢/٢] ، وروى عبد الرزاق في المصنف [١١٨/هـ] عن

التيتم . قال بعض الصالحين : لو قال الحق سبحانه فاجعل أفئدة الناس أو قال : فاجعل الناس عبودا إليهم لو كان الله كذلك لا زبجد لأحد به مكان ولو لم يقل : هو آية من آياتي ، لكأن الصمدي واليهود يذهبون ليصحبوا . ثم يقول : هو زبجنا أنك تتذكر ما تخفي ، بعد أن اعلمنا على أنه أصبح بلدا ، ونحقق له الأمن المدام والأمن المدام ، واعلمنا على أنه سيأتي الرزق ، وأخبارات عاروقه التواريخ إلى الخيء لهذا المكان ؛ لأنه سترك زوجته هاجر وأبها إسماعيل فأصبح مشغولا بهما ؛ ولذلك قال تعالى : **هَؤُلَاءِكَ تَذَكُّرُ مَا تَخْفِي وَكَأ تَذَكُّرُ** .

الضعيف هنا بالجمع وبعض المفسرين يقول : قوله : **هَؤُلَاءِكَ تَذَكُّرُ مَا تَخْفِي** . أي : ما أخفى من الحب لهاجر وإسماعيل ، وما فعل أي من الجفاء أمام سارة لهاجر وأبها كان الممانى النفسية عاروقه عندما هم بالرجل قول له : قوله : **هَؤُلَاءِكَ تَذَكُّرُ مَا تَخْفِي** دليل على أنها ليست مسألة سهلة أن يترك هاجر ولديها في مكان ليس فيه نزع ولا ماء ولا بشر . فهي مسألة صعبة على النفس ؛ ولذلك فإن هاجر صيرت مدة طويلة لم تسال إبراهيم عن شيء حتى هم بالرجل فقالت له : كيف ستركنا في هذا المكان ؟ حل هذا من رأيك أو أمر ربنا ؟ فقال لها : ربنا هو الذي أمر ، فقالت له : إذن فمن يضيئنا . وتأكدت لها هذه المسألة عوليا ؛ فمطش أبها ويتقد الماء الذي في السماء ، ويأكلهم الرضيع من الأمش فمافا تتم ؟ تقوم بجهود بشرى ، نظرت إلى الوادي ، جهال هنا وهناك فخرجت إلى الجبل لطلبها ترى شجرة عندما ماء أو أحدا فنادا معه ماء ، فقصاري ما تقعه امرأة في هذه السن أن تجرى بين الصفا والرفرة سبع مرات هذا أكمل مجهود بشري ، ولكن هذا المجهود البشري لم يأت نتيجة ، وبعد هذا الصب وجدت الماء عند قدمي وليدنا .

إذن .. فعند قولها : لن يضيئنا ، ولا طو أبها وجدت الماء عند الصفا أو عند للرفرة لا كان قولها : لن يضيئنا ملول ، ولكنها أخذت بالأسباب ولم تجد الماء ، ثم رجعت عند قدمي إسماعيل .

## ابتلاء إبراهيم في ولده

إذا كان الله تبارك وتعالى ابتلى إبراهيم عليه السلام بالتار في مطلع حياته ، فقد ابتلاه في آخر أيامه بأن أمره بذبح ولده الوحيد . والإنسان في أول حياته تكون ذاتية هي المسيطرة على نفسه ولكنه في أواخر حياته تكون ذاتية أولاده فوق ذاتية . فقد اقربت حياته من النهاية ، ولذلك فهو يريد أن يعطي أولاده كل شيء ، ويريد أن يحقق لهم مالم يحققه لنفسه ، وهكذا عندما كبر إبراهيم وصار شيخا جده الابتلاء الثاني بأن بذبح ولده . ولتين قوة هذا الابتلاء على نفس إبراهيم تقول : إن إبراهيم أصبح في سن كثيرة . وحسب عالم الأسباب من المشكوك فيه أن يزرقه بولد آخر ، إذن .. فإسماعيل هو كل عزرة إبراهيم في الدنيا . وإذا بالأمر يصدر من الله ليس بأن يقتل إسماعيل ، فربما كان ذلك حيناً على النفس بأن يعطي إبراهيم ولده ليعمد من الناس بأنخذه بهيئته عنه يقتلونه . كان في ذلك نوع من الرحمة في القضاء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أمر إبراهيم بأن يأخذ ابنه ويذبحه يده ، ابتلاء كبير جاء عن طريق رؤيا لإبراهيم ورؤيا الأنبياء حق<sup>(١)</sup> .

إبراهيم عليه السلام يعلم يقيناً أن الحق سبحانه وتعالى لا يطلب من خلقه إلا الاستسلام لقضائه ؛ ولذلك إذا رأيت إنساناً طال عليه القضاء في أي شيء في مرض ، في مصيبة ، في مال ، فاعلم أنه لم يرض بما وقع له ، ولو أنه رضى لانتوى القضاء ، فلا يرفع قضاء حتى تكون نفس من اتقى به راضية ، وما دام علم الرضا موجوداً فالتاس هم الذين يطولون على أنفسهم أمد القضاء ، لأنهم لا يرضون به ، فإذا قال لك إنسان إنه راض بقضاء الله وأن القضاء لم يرفع عنه ، فاعلم أنه يقول ذلك بسنائه ولا يرضى عنه بطلبه .

(١) قال حيد بن مسير : رؤيا الأنبياء رضى ، ثم تلا هذه الآية : ﴿ كَذَلِكَ يَبْتَلِيكَ رَبُّكَ لِتَعْلَمَ لَقَّةَ النَّفْسِ إِلَىٰ رَبِّكَ فَقُلْتُ إِنِّي هِيَ الْوَحْدَانِيَّةُ الَّتِي عَلَيْكَ فَمَا أَكْثَرَ سَجْدَةً بِمَا يُفَضِّلُكَ لَا مَكَّةَ لَكَ مِنْ الْغَنِيِّ ﴾ [المصافات : ١٠٢] ، راجع تفسير ابن كثير ١/٢١٦ ، وانظر المحلى ١٢/٢٨٨ . وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا رياء في المسألة حجة من سجدت حرة من القيود » . رواه مسلم [٢/٢٢٦] .

في السرق ، جاء من البداية ولم يذهب إلى رسول الله ، فزاه صلى الله عليه وسلم في السرق فداهيه صلى الله عليه وسلم دعابة تيقن لما ميزته عند رسول الله ، كان لونه أسمر قليلاً ، فجاء رسول الله من خلفه - كما نصح نحن مع أجهابنا - ووضح يديه على كتفيه وقال : من يشتري العبد ؟ فعرف زاهر بن حرام صوت رسول الله ، فقال :

إذن تجني يا رسول الله كاسدا .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ولكنك عند الله ربيع<sup>(١)</sup> .

فالتفت أن كل يهودي له حضري يقول عليه والمكس صحيح ، فسيبنا أبو ذر المغيرة لا جاء لم يذهب لمن يقول عليه من الغصير ، بل ذهب إلى الحرم . لماذا ؟ نحن بحثنا في هذه القصة ، ما دام له مكان يقول فيه عند أهل مكة ، لماذا لم يذهب إليه ؟

قالوا : لأن المسألة في استقبال الرسول كانت البيوت مختلفة ، بيوت أنست به ، وبيوت كبرت به ، والبيت الواحد فيه من آمن وفيه من كفر ، فقال : لو ذهب عند أحد فاحتمال أن يكون هذا الرجل الذي سأذهب عنده روحه ليست معه ، أو روحه معه يشهد له ، أو روحه عنده فيشهد ضده ، فلا داعي لهذه ولا لهذه ، وذهب إلى بيت الله الحرم .

ومكث شهراً حتى جمع الأخبار ، قال أبو ذر فوالله ما علمت طاماً إلا وزنم ، ووالله لقد تكسرت عني بطني ، يعني : سجن حتى صارت بطني طيات .

إذن .. فصدق أبو ذر رضى الله تعالى عنه . وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في أن قال : « وزنم طمام طعم وشقاء سقم »<sup>(٢)</sup> .

○○○

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير [١٧٤/٥] ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد [١٣٩/٩] .

رواهه مؤثرون . . .

(٢) سبق تقريره .

ومعهم ، ولما القول بأنه إسماعيل فاجل ، يأكل من عشرين دهنًا وسمحت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول : هذا القول إما هو حلقى من أهل الكتب مع أنه باطل بعض كتابهم ، فإن فيه : بأن الله لم يرهم أن يذبح له بكرة - وفى الخط - ورحمه ، ولا يملك أهل الكتب مع المسلمين أن يسامحوا هو بكر أو لاده ، ولأن غير أصحاب هذا القول : أن فى التوراة التى تأيدهم : « افزع اسمك إسماعيل » . قال : وهذه الزيادة من غيرهم ، وكذلك : لأنها نافعة لغيره .

والشيخ يترك روحه ، ولكن اليهود سمعت نبي إسماعيل على هذا الشرف وأصموا أن يكون لهم ، وأن سرورهم إسماعيل وحضوره دون العرب ، وأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله وكيف سرخ أن يقال : إن اللحية إسماعيل وأنه تعالى قد بشر أم إسماعيل به وهاهنا يقول : فقال تعالى من الملائكة إسماعيل وإبراهيم وإسحق عليهم السلام : ﴿ وَنَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ لَقَدْ بَشَّرْنَا أَبْرَاهِيمَ بِبَنِيٍّ تَقْبَلُ الْبَيْتَ فَقَالَ إِنَّهُ يَتَقَبَّلُ الْبَيْتَ لَئِنْ لَمْ يَنْصَرِفْ يَنْصَرِفْ أَفْئِدًا لَا يَشْكُرُ ۖ وَكَذَلِكَ نَبْشِّرُ الْبَرَّ كَثِيرًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ ١٢٠ ﴾ [هود] ، فمحال أن يشرحها بأنه يكون له ولد فكيف يمكن أن يمتنع من ذلك استحقاق يتبين ﴿ ١٢٠ ﴾ ، فمحال أن يشرحها بأنه يكون له ولد ثم يأمر بذهبه ، ولا ريب أن يقول : فاعلم فى البشارة ، فتناول البشارة لإسماعيل ويقول فى الخط واحد ، وذلك ظاهر الكتاب وسهله .

ثم يقول : **وإِذَا جَاءَ مِنْهُ أَهْلُكَ فَأَمْسِكْهُمْ فِي الْمَنَافِقِ** **﴿٥٥﴾** **وَوَعْدَةُ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَحْسَبُهُ أَهْلُكَ إِلَّا كَذِبًا** **﴿٥٦﴾** **فَإِذَا جَاءَ أَهْلُكَ فَأَمْسِكْهُمْ فِي الْمَنَافِقِ** **﴿٥٧﴾** **وَوَعْدَةُ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَحْسَبُ**

لَمْ يَقُولْ : وَأَيْضًا فَلَا رُوبَ أَنْ الدَّبِيحَ كَانَ بِحِكْمَةٍ ، وَلَئِنْ جَعَلْتَ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَ الْحَرْبِ بِيهَا ، كَمَا جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَ الْعَصَا وَالْأُودَةِ رُوبِي ، الْجَاهِلُ تَذَكُّرًا لِمَا أَنْ إِسْمَاعِيلَ وَأَمَهُ وَتِلْكَ أَلْفٌ ، وَوَعَدُ أَنْ إِسْمَاعِيلَ وَأَمَهُ هَذَا الْفَلَانُ كَمَا قَالَ بِيهَا إِسْمَاعِيلُ وَأَمَهُ ، وَلَيْسَ أَتَمُّ مِنْ ذَلِكَ الْفَلَانِ بَالَيْتِ الْهَرَامِ الَّذِي اشْتَرَيْتُ فِي بَيْتِهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، وَكَانَ الْبَرُّ بِحِكْمَةٍ مِنْ تِلْكَ حِجِّ زَوَالِهِ ، أَلَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَهُ إِسْمَاعِيلَ زَيْنًا وَمَكَثًا ، وَلَوْ كَانَ الدَّبِيحَ بِالْأَنْفَامِ - كَمَا أَلَيْتَ الَّذِي كَانَ عَلَى يَدِ إِبْرَاهِيمَ وَأَمَهُ إِسْمَاعِيلَ زَيْنًا وَمَكَثًا ، وَلَوْ كَانَ الدَّبِيحَ بِالْأَنْفَامِ - كَمَا نَعْمُ أَمَلُ الْكَتَابِ وَمِنْ تِلْكَ حِجِّهِمْ الْكَفَّيْنِ وَالْبَرِّ بِالْأَنْفَامِ لَا بِحِكْمَةٍ .

وأيضاً فإن الله سبحانه سعى للبيع حليماً، لأن لا أحلم من أحلم نفسه للبيع طاعة له، ولما ذكر إسحاق عليه السلام فقال يعلو: ﴿مَنْ بَلَغَ أَهْلَهُ حَيْثُ يَتَّقِيهِ الْكَافِرُونَ﴾ (١) فَيَسْتَلْزِمُوا

04

2

[illegible]

(١) قال ابن كثير في تفسيره [١/١٨٠-٢٣٠] : فحب أهل الكتاب وجعلته من أهل الملم إلى أن المنيح هو إسحاق ، وحكي ذلك من طائفة من المفسر ، حتى قال من بعض الصحابة أيضا ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك محققا إلا من أواخر أهل الكتاب وأبعد ذلك شيئا من غير حجة ، وهذا كتاب الله شامد ويرشد لي أنه إسماعيل فإنه ذكر البهيرة بسلام حلهم في نوك : ﴿ فَنَسِيتُهُ بِمِثْلِهِ كَبِيرٌ ﴾ [الصافات : ١٠١] ، وذكر أنه السبيح في نوك : ﴿ تَتَابَعَتْ مِنْهُ الْقَتْلَى كَسَالًا بَيْنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَلْقَ أَهْلَهُ لَفَقِدَهُ بِقُتْلِهِ عَنَّا وَتَوَلَّى ﴾ . ثم قال بعد ذلك : ﴿ وَكَذَلِكَ يُنَادِي بِكُلِّ نَجْمَةٍ كَلِمَتُهُ ﴾ [الصافات : ١١٢] .

وَيَقُولُ بَيْنَ الْقَبْرِينِ فِي رِزْقِ الْمَلَكُوتِ فِي حُدُودِ غَيْرِ الْمَلَكُوتِ ، وَبِالْأَوَّلِ فِي فَصْلِ نَسَبِ الرُّسُلِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وَأَسْمَاءُ هُوَ الَّذِي عَلَى التَّوَلَّى الْمَرْغِبُ بَعْدَ عَهْدِهِ الْمَصْحُوفِ وَالْقَائِمِينَ وَمِنْ

3A



## بركة البيت .. والحج البرور

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ رُحُوتٍ وَضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْتِكَ مُبَارَكًا وَبُكَدَى تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ ۝ ﴾ [آل عمران : ٩٦] .

البركة أن يعطى الذي تتفاعل معه فوق ما كنت تتصوره . هذه هي البركة .  
فمثلا لزراع مزارع قناب قمح ، وفدان التمسح مثلاً عادة يخرج عشرة أراب . ولكن هذا الفدان أعطى أكثر مما هو متوقع منه ، وفاد مبله عند آخرين . فيقول لك : إن هذا ربما مبارك له في رزقه .

مبارك له في رزقه يعني : أن رزقه يؤدي أشياء فوق المظنون أن تؤدي به .  
لأن هذه البركة لها أسباب متعددة ، فهناك بركة الرضا ، وبركة أنه يمنع المصارف ، وبركة أنه يمنع المصائب عن الإنسان .

فإذا ذهبت إلى هناك إلى بيت الله الحرام ، امتلأت نفسك خشية لربك وتواضعا مع الآخرين ، واستطعت أن تفهم عطايات الله لكل خلق الله .

والأشياء التي كانت تورتك غرورا في حياتك انتهت منك ؛ فإن كان لك طمع في الدنيا لم يبق لك طمع ، وإن كان لك شراعة لم تبق لك شراعة ، فأتى هنا البركة .  
وأيضا : فإن الزمن هناك البركة فيه على قدر ما يعطيك من ثواب . كيف ؟ الإنسان في بيته مشاغله وأموره في الحياة آخذة منه كثيرا من حركته . هذا لون من البركة .

اللون الآخر : إن الإنسان الذي ذهب إلى مكان ليس فيه توفئه وليست فيه إمكاناته التي تعود عليها فهو يعيش عيشة غير رتية . والهبة غير الرتية تتطلب منه كثيرا من الحزم في تصرف الأمور .

ولذلك نجد الإنسان في بيت ربنا ضائق بأن بيت معه واحد في حجرة ، أو بيت معه اثنان ، ولكننا نلاحظ في هذه الأكمة أن صدور الناس تتسع للناس ؛ إذن فالأماكن ليست هي التي تتسع ، وإنما الصدور هي التي تتسع .

فوجد أن أناسا جلسوا في مكان : عشرة في حجرة . كيف يقضون حاجتهم في هذه الحجرة ، وكيف يضمنون فيها أمتعتهم ، وكيف ينامون ، وكيف يرتاحون . ونجد أن الماء

الحج

٧٨

الذي لا يمكن إنسانا في رتابة حياته في رلله يكفهم قليل منه ، والطعام كذلك . كل ذلك لون من البركة فيما آتاه الله للإنسان ، وهذا إذا نظرنا إلى البركة في ميعادها الموقوت بهذا المكان ، ولكنك إذا علمت البركة إلى غيرهما من الأكمة فذلك سفهب إنسانا آخر بعد الحج ، إنسان حجه يجب أن يكون مبرورا والحج البرور لا يتم فيه .  
إذن .. فقد ضمن أن خرة من الزمن مرت به في عبادة ، لا يتم فيها ولا فجور ولا فسوق ، تلك هي بركة ، ولا فالزمان في غيره صالح لأن يكون فيه هذا وأن يكون فيه هذا ، إما الإنسان في بيت الله يستحي أن يؤخر عليه خاطر السوء ، ليس أن يفعل خاطر السوء ، فتكون بركة ؛ لأن الزمان الذي يعيش فيه برك الله فيه فلم يكن فيه إلا الخير ولم يكن فيه إلا الحسنة ولم يكن فيه إلا أن يفكر في مصالح الناس ولا يكون فيه أن تتغلب أحدا .. كل ذلك لون من البركة .

فإذا ما سمعت قول النبي صلى الله عليه وسلم : و الحج البرور ليس له جزاء إلا الجنة (١) ، فهذه بركة واسعة جنة ، بركة امتدت من الدنيا إلى الآخرة .

كذلك إذا رأيت أن الإنسان في الحج البرور تكون حياته بعد الحج خيرا من حياته قبل الحج ، فالأشياء التي كان يصاهل فيها كاللحم مثلاً ربما يمنع نفسه عنها فتكون بركة البيت قد امتدت إلى خارج هذا المكان .

وأيضا فإن الحق سبحانه وتعالى يحب من الإنسان أن يعيش منهجه ، ولا تستطيع أن تلاحظ عيشة الإنسان الشامة وفق منهج الله إلا في هذا المكان ، فإن الإنسان يكون خارجا من وقت الظهور - مثلاً - ويلهب إلى راحته وتتسطر أذنه أذان الوقت الذي بعده وعندما يؤذن نجد الكل مهول في الذهاب للمسجد ، فوفظك دائما مشغول بربك ، ليرهن للإنسان أنه ليس المكان الذي يعطيك حرصك على أن تؤدي المنهج كما يريد

(١) روى أحمد في المسند ١٢٤٦/٦ من لى مرة روى الله تعالى عنه ، وقال الأنازوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين ، وأبو يعلى في مسنده ٢٦٦٠٦ والطبراني في المعجم الكبير

[١١/١٢٢٩/١٤٦/١١] وقال البيهقي في المحمع ٢٠٠٨/٦ : وفيه معنى بن صالح الأمل قال

القبيل : روى عنه يحيى بن بكر مأكبر . وله شاعده من حديث جابر بن أحمد ولنا حنت الشيخ الألباني .

الحج

٧٩

كَلِمَةً : ﴿ كَلِمَاتٍ ﴾ جمع آية ، و ﴿ مِثْقَاتٍ ﴾ جمع مِثْقَةٍ ، يعني : كل آية بينة :  
والجمع : ﴿ هَاتِيكَ مِثْقَاتٍ ﴾ .

لكن بلا حط من الأداء القرآني عندما قال : ﴿ يٰٓيُهَا عِلْيَاسُ اِنَّكَ لَمِنَ الْغَالِيْنَ ﴾

لان قوله تعالى : ﴿ يٰٓيُهَا عِلْيَاسُ اِنَّكَ لَمِنَ الْغَالِيْنَ ﴾ وصف مجمل .

ما هي الآيات البيّنات ؟ لم يحمي القرآن الكريم فيها إلا بجماع إبراهيم عليه السلام :  
﴿ وَبِذِكْرِ اللَّهِ لِيُنَاسِبَ عَقْلَهُ مِنَ الْمُلْكِ الْمَكِينِ ﴾ [النمل : ٢٦] .

كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ يُرِيدُ أَنْ يَلْتَمِسَ إِلَى شَيْءٍ : هَذَا الْعَمَلُ أَنْ لَا تَنْتَظِرَ إِلَى وَحْدَةِ الشَّيْءِ ؟

﴿ فَكَيْفَ نَسْتَعِينُكَ يَا رَحِيمٌ ﴾ هُوَ الْحَجَرُ الَّذِي كَانَ يَوْمَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَفْرِغُ قَوَاعِدَ الْيَتَامَى .

إذن .. فلايات الينان ليست مجرد ، مع أن آيات هيات جميع ، الماترجع أن يقول :  
مقام إبراهيم و كلنا و كلنا ..

وَلَا تَقُولُ لِمَنْ يُعَذِّبُكَ عَذَابِي إِنَّ عَذَابِي لَمِنْ اللَّهِ فَقُلْ مَنْ يَمْلِكُ عِلْمَ الْغُيُوبِ

بانتنا الحق في هذا إلى أنك لا تنظر إلى وحدة العملة ، ولكن انظر إلى مكونات هذه العملة . فلن ننظر إلى مكونات العملة لوجدت في كل مفرد من المسموع ، فأنت مثلا إذا نظرت إلى الضاحية على أنها نمعة ، انظر فيها إلى العناصر التي مستعملك ، فستحلك الرزحة ، فستحلك الفسفور ، فستحلك الصوديوم ، أنباء كثيرة مما يتكون منها جسمك .

إذن .. فالجميع سبحانه وتعالى حينما يذكر نعمة من النعم يقول : إياك أن تنعم على أنبا نعمة واحدة ، ولكن دقق الكليل وحققه تجد في طي هذه النعمة الواحدة نعمة كبيرة . ولذلك تجد الحق تعالى يقول : ﴿ وَكَانَ مَكْدُماً يُسَمَّى آيَةً لَا تُحْصِيهَا ﴾ [ النمل : ١٨ ] وللمد يقتضي تكرار واحدة ؛ تعد الشيء يعني واحدة مكررة ، فكان يقبيلنا نحن البشر نقول : وإن تعدوا نعم الله .

ولكن قال سبحانه: ﴿فَتَدْرُسُكُمْ فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ فِي قَوْمٍ لَهُمْ لُغَةٌ وَاحِدَةٌ وَاللَّهُ عَالِمُ

ومر سبحانه وتعالى لم يقل : وسم الله ، ، حتى تكون أبناء مكررة بل قال : ﴿ يَسْمِعُ الْغَيْبَ ﴾ فلا يحظر أي نعمة الله على أبنائها واحدة ، ولكن انظر إلى ما في حلقها من النعم .

اللَّهُ ، ولكن استملاك الدائم بربك وحصلت على تأديبه ما افترضه عليك هو الذي يعطيك ، ولذلك يقول بعض الصالحين : إذا أُرست نفسك خراج البيت بما تلزم به نفسك وأنت في البيت ترى من الخير هناك ما رأيته هنا .

إذن .. فالمسألة مسألة إزراء ، لأن الإنسان في بيت الله يستحي أن يفكر في مصيبة ، يستحي أن يجر عليه الوقت ولا يصلي ، يستحي أن لا يصلي إلا في جماعة وفي المسجد فبات إنسان في لندن وبعد ذلك قاعد مترقب الأذان وعندما يسمع الأذان يجرى ويهرول إلى المسجد ويؤدي الصلاة ، ولا يشغل نفسه إلا بطاعة الله ، فانه أيضا يوحى الخير .

نورًا ما كان الإنسان قد أُلهم قوة على الخير في أن يعيش بسبح الله دائما وبما أزرعه هذه المادة إن عاد إلى بلده ، لأنه بعد ما أُنكر الخلاوة التي أُنكرها منا يحول جامدا أن يطبقها في بلده ، فيكون مثا لونا من البركة .

وقوله تعالى: ﴿وَكُنْزٍ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦). المالكين لجميع عالم ، والعالم : ما سوى الله ، وما سوى الله : إجماع متعددة ، هذه الأجناس المتعددة منها ما هو غير متكافئ لأنه مطبوع على الغير ومطبوع على الغير : ﴿لَا يَمْتَرِكُ اللَّهُ مَا أَكْرَمَهُمْ وَيَمْتَرِكُ مَا يَمْتَرُونَ﴾ (الصوم: ٢٦) - ومن المحل ، والحيوان ، واللائكة ، أى : كل شيء ما عند الإنسان والجان .

القوم الذين يذهبون إلى طبع تختلف أجناسهم ، وتختلف ألسنتهم ، وتختلف أكرانهم . فإنا ما لبثنا هؤلاء جميعا ووجدوا أن جميع ألسنتهم تشبه واحد : و أليكن اللههم أليكن ، ههناك واحد ، وفصل واحد هو : طواف ، هو سعي ، هو كذا هو كذا هو رضى جمل ، هو وقوف بركة ، ليرتبط الناس جميعا برابط واحد ، يجتلب على نورق أوزنتهم ، ونورق ألسنتهم ، ونورق حصاراتهم ، ويشهد المسلم أنه لم يعد مؤمنا وحده بنفسه ولا لغيره ، بل هناك أجناس متعددة تعد رعا سبحانه وتعالى ، أجناس تؤمن بن آمين ، به ، أجناس متعددة يجمعهم الحق ، كل هذا يكون للملئنة .

وَمَا يَكُونُ : ﴿ وَهَلْكَ الْقَائِمُونَ ﴾ .  
 وَقَوْلَ اللَّهِ سِجِّتَهُ وَمَتَالِي : ﴿ نَزِيدُكَ سِجِّتَ بَيْتِكَ ﴾ [آل عمران : ١٧٢] :

كلها ، ولكن جلما فيه خصلة ومثلا فيه خصلة .. ، جعل المير موزعة ، أما إبراهيم عليه السلام فكان أمة في المير ، يعني : فيه مئة المصلحة ، وهذه المصلحة ، ومئة المصلحة ، يعني جميع فيه من المير ما يجمع في أمة .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى أن يعطينا لهذا جملة : ﴿ إِنَّهُ ﴾ وإذا جملة : ﴿ إِنَّمَا ﴾ فقال سبحانه وتعالى في أية أخرى : ﴿ وَلَوْ أَنِّي أَتَيْتُكُمْ بِدَلِيلٍ مِنْ رَبِّي لَكُنَّ لَمَنِ الْفِتْنَةُ ﴾ [سورة البقرة : ١٢٤] .

قوله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ يعني : أدي ما أمره الله به على أحسن ما يكون من وجوه التكسب . و ( مقامه ) بسم الله - يعني : مكان إقامة ، و ( مقامه ) بفتح الميم - يعني : مكان قيام .

فالذي يرفع القواعد لا يرفعها وهو قاعد ، بل يقوم حتى يبنى ويبنى ، فعن يطلب الله من إبراهيم عليه السلام أن يرفع قواعد البيت ، والله لا يكلف نفسا إلا ما في استطاعتها ﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا مَا يَشَاءُ ﴾ [المائدة : ٢٧] ﴿ لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا مَا يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

إذاً .. فالتكليف على قدر ما أتي من الأسباب وعلى قدر الواسع ، فعن يطلب الله تعالى من إبراهيم عليه السلام أن يرفع القواعد هو واسعا على الله السلام ، كان يكفي في أداء التكليف أن إبراهيم يرفع البيت على أقصى ما تطول يده ، ويكون قد أدى ما أمره الله تعالى به .

لكن إبراهيم عليه السلام لم يكف بهما ، وإنما أراد أن يرفع القواعد إلى أعلى مما فصل إليه يده ، فمثلا عمل ؟

بالطبع لم يكن يوجد كما فصل الآن مسلات ، تأتي بهما المير وقوله في هذا المكان ووقف عليه ، واسعا على يده وهو يبنى ويرفع البناء .

فإذا قست ارتفاع المير يكون هو الارتفاع الزائد في ارتفاع البيت ؛ لأنه وقف على هذا المير .

فإبراهيم عليه السلام أراد أن يؤدي ما أمره الله تعالى به في رفع قواعد البيت ليس كما يستلزمه بذلك ، بل بالحيلة ، والاحتيال ، تأتي بالمير ووضعه في هذا المكان يسمى البناء ، ثم قلته في جانب آخر لم صمد عليه كذلك لم يلبى البناء ، وهكذا .

وطبها من النعم هو ما كلفه لنا العلم الحديث من تحليل الشيء الواحد إلى العناصر التي يتكون منها .

ومثلا ما وقف عليه علم الخلق في ذكره ، ومن يدري أن كل عنصر من هذه العناصر بعد ذلك سيكون فيه عناصر جنة متعددة ، فإن ارتقت آيات الأشياء في ضبط التأسيس واللازمين فستخرج لنا أشياء كثيرة إن شاء الله تعالى .

إذاً .. قول الحق : ﴿ فِيهِ كَلِمَاتٌ مُبِينَاتٌ مُقَامٌ إِزْهِيءُ ﴾ [المراد : ٢٩٧] هي مفردة وهو شيء واحد ، وهو حجر قام عليه إبراهيم ؛ ولكنك لو تفهمته فسجد آيات ووضحته في هذا الواحد .. كيف ؟

الحق سبحانه وتعالى حين يكلف عبده بتكليف : يطلب منه أن يؤدي التكليف على أتم وجه وأكمل ، لا أن يؤديه كما تقول في حياتنا : و كمالة عدد ، ولا أن يؤديه كما تقول فقط : و إراء للذمة .

ولذلك فإن الناس من أهل الحكمة يقولون : إن أردت أن تعمل لغيرك عملاً فقدر هذا العمل بعملك ، وكما تحب أن يعمل لك فاقبل أنت أيضاً له .

فإن أنت ألفت ما يملك للغير أهم الله الغير أن يعين ما يده لك .

إذاً .. فالحق سبحانه وتعالى يريد من كل مكلف بعمل أن يقته .

ولذلك نجد أن الرسول عليه الصلاة والسلام وضع القيمة الجمالية في الكون ، في قوله : و إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه <sup>(١)</sup> .

فما دام سيقن عمله قاله سبحانه وتعالى سيطلبهم الغير أن يقن له .

إذاً .. ﴿ فِيهِ كَلِمَاتٌ مُبِينَاتٌ مُقَامٌ إِزْهِيءُ ﴾ [المراد : ٢٩٧] : إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام قال الله سبحانه وتعالى عنه في القرآن العظيم : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّعِبَادٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ١٦٠] وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُ ﴾ لأن جعل المير لم يستلزم عليها أحد <sup>(٢)</sup> .

(١) رواه أبو هريرة في المسند [٤٢٨١٦] وقال مسنده : يسأله ابن ، والطريق في التاميم الأرط [٨٩٧] من عاتقة رضى الله تعالى بها .



أفيعبروا أيام القرابطة ، ودخل ابن فرسط ، وأخذ يقل في المروجين ، وأفيعبروا في أيام أخرى .. ولم يؤثروا ، مع أن ربنا سبحانه وتعالى قال : ﴿ وَتَمَنَّيْكُمْ كَأَنَّ كَارِبًا ﴾ . فنقول لهم : أقيم أفعالهم على أنها قضية كريمة ، يعني : أن الله حكم بأن من يدخله لا بد أن يكون آمنا ! لا ، بل هي قضية شرعية ، ﴿ وَتَمَنَّيْكُمْ كَأَنَّ كَارِبًا ﴾ بدخله : من دخله فأنوره . يعني : أمر تكليفي ، وما دام تكليفا فيكون فرضه أن يطلع وفرضه أن يهضي ، فالذي أطاع أمر من دخله ، ومن عصى لم يؤمن من دخله .

فلماذا حدث في الكعبة شيء أبداك أن تقول إن ذلك يناقض القضية ؛ لأنك لا تغيرها قضية كريمة ، وبكيتها قضية تشريعية .

فينبغي أن نقول إلى أن قول الله : ﴿ وَتَمَنَّيْكُمْ كَأَنَّ كَارِبًا ﴾ قضية شرعية ، مطلوب منك أن تؤمن من دخله ، فإن كنت محبا لله ومطيعا لربه فإبداك أن تهيج إنسانا دخله . ولكن إن أمامه فيكون عاصيا مثل القضية الأخرى التي لا يهيجها بعض الناس على وجهها الصحيح ، وهي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ يَمَنُّ الَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ الْإِيمَانُ إِلَّا يَخْلَعُونَ ﴾ . وفي قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَقَدْ يَمَنُّ الَّذِينَ لَا يَأْتِيهِمْ الْإِيمَانُ إِلَّا يَخْلَعُونَ ﴾ . نحن نرى رجلا مليا يتزوج امرأة خيعة ، ويزي رجلا خييا يتزوج امرأة طيبة ، وهذا مناقض لقول الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَمُنُّونَ بِالْأَحْسَنِ الْأُولَى ﴾ .

فنقول : إن هذه ليست قضية كريمة ، وبالتالي ليس معناها أنه لا بد أن لا يتزوج الطبيب إلا الطيبة ، والحيث لا يتزوج إلا خيعة . بالطبع لا .. فهي قضية شرعية ، يعني اختاروا - أو زوجوا - الطيبين للطيبات وزوجوا الخبيثين للخبيثات ؛ ليعلم في الأسرة المتكاثرة فلا يوجد في الأسرة أحد يمرض بشيء على الآخر .

إذن .. قضية الطيبين للطيبات والخبيثين للخبيثات قضية ليست كريمة بمعنى أنك لا ترى إلا مليا مع طيبة ولا خييا إلا مع خيعة . بل هي كما قلنا قضية شرعية ، إن أحسنا استعمال مذهب الله ، وأخلصنا الله تعالى فيما أمر ، فلماذا جاء إلينا الطبيب تزوجه الطيبة ، أما حيث تلا تزوجه الطيبة أبدا .

ولا بد أن يكون المحبر في طائفة اثنين ؛ يحصله هو وإسماويل .  
فلما لاحظنا المحبر ، وجدنا أن به قمين ، الناس قالوا : إنه لا كان يقوم على المحبر فكان القمين علم عليه وهذا كلام يقال ليس له دليل !!  
إما عندما يبحث العقل هذه المسألة بعد أن إسماويل يساعد أباه ، وأبوه حمل المحبر . وروى هنا لميلي الكعبة على قبر قيمة المحبر والأقرب إلى العقل أن إبراهيم احتال لنفسه في أنه عمل لقدمه مكانا . لكن قدم مكان ، حتى إذا أخذ المحبر ووقف عليه ، يمكن قدمه من المكان الذي أعده لهما ، فلا يحل المحبر .

إذن أحوال كم أحوال ؟  
أحوال أولا في أن يزيد في علو البيت قبر قيمة المحبر ، وأحوال لنفسه حتى لا يتخلل حركته بأن حمل لقدمه ملين للكانين .

فهذه آيات يثبت قسما على أن كي تكليف من الله للخلق يجب أن يؤدي بكماله وتمامه ؛ لأن كل إنسان لو أدى ما كلف به بكماله وتمامه أضعاف ثمرة في الوجود ، هذه الثمرة : كل ما يرى الإنسان شيء جيد يحسن يقول : الله . الله ، يرى هذه يقول : الله ، ويرى هذه يقول : الله .

لأنه لا يقين عمله يكون قد من الوجود من تعلق نظري على أن كل جمال تراه للذي لا يقين عمله يكون قد من الوجود من تعلق نظري على أن كل جمال تراه حيث لا يقرب عليه إلا بكلمة : الله ، فكان الله هو مصدر الجمال ، وهو مقوم الجمال ، وهو ملهم الجمال .

تلك مسألة ظهرت في بناء الكعبة ليس فقط لتظهر في بناء الكعبة ، بل لتكون أسوة لكل واحد يكلفه الله تكليفا أن يقول أن يؤدي التكليف لا يقدر الاستقامة الذاتية فقط ولكن يقدر الاستقامة والدية لزيادة من حسن التكليف الذي أمر الله تعالى به . وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَنَّيْكُمْ كَأَنَّ كَارِبًا ﴾ .

في الآيات التي جاءت في مقام إبراهيم ؟ وهذا قضية شرعية :  
الذي يحدث فيه ليس عدد بعض للتكرين - أو بعض للشكوك ، أو بعض للذين يلمسون في دين الله - يقولون : من دخله كان آمنا ؛ وقد دخله أناس ظلم بكونوا .

فالندي يؤمن هي الهيئة التي يكون لها من القوة ما تستطيع بهذه القوة ان تدعى حتى كل مشاغب يريد أن يمكن أمن هذا المكان ، فليست قضية فردية لي ولك أنت ، بل هي قضية لأناس محاطين بها ، وهذا يتطلب أن يكون لأمر الكمية الأسى يقترون موقف الترافف ، كل من يُقبل بأمن هذه البلاد لا بد أن تقف في طريقه وتؤمن البلاد .  
فالتين يحاولون أن يجعلوا التأمين فرديا تقول لهم : هذا في ملككم الفردي للفردي ، لكن في الملك الجماعي لا بد أن يكون له رديح جماعي ، هذا الردع الجماعي أن تكون المسألة في يد جماعة أو هيئة تستطيع بما أوتيت من قوة أن تقف أمام كل من يهكر أمن هذه البلاد .

قد يحدث من بعض المعاج أنهم يريدون أن يورثوا للمهمم ، أو أن يشعروا فوضى أو أن يشعروا فتنه ، أو أن يقسموا مروجوا ، أو أن يرفضوا تقوسهم فوق مستويات التقسيم ، تقول لهم : لا بد أن يضرب على أيديكم حتى يأمن من في الحرم على نفسه .

○○○

وإذا كان الحق سبحانه وتعالى قد طلب منا في المسح أنه لا جدال والجدال : أروية المراء ، وهو باللسان ، لم يعد إلى الجوارح ، لكن أسره يعني : لا تتصورا أي : بهوارحكم لإياديه .

ولذلك قلنا : إذا لقيت من قبل لك قبلاً وأنت ولبه هناك فإياك أن تقول هذا كلما وتسلم به ، بل ضيق عليه حتى يخرج ، فإن خرج حل لك ذلك ، حتى تتخذ قوله تعالى : ﴿ وَرَبِّكَ كَذِبًا كَانَ كَرِيمًا ﴾ .

إذن .. فهذه القضية يجب أن نهبها جهنا ونك يكون حرصنا عليها الآن أكثر من ذي قبل لأن الزحام الآن شديد والإيمان في النفوس قد تأثر بالأحوال الاقتصادية والاجتماعية والنفسية التي تهبها الأمة الآن ؛ هذا إلى جانب أن الناس الذين جاءوا من أقصى الأرض مختلفي الأخرجة ، مختلفي الأنسة مختلفي الأروان ، مختلفي اللقائات ، كل واحد له طبع ، ولو لم يكن كل واحد منا لئلا الجانب لكنت المسألة فوضى ، ولأنجب بعضنا البعض ، فمن أجل ذلك جاء النبي : إياك أن تجادل أو تقبل أي شيء في المسح لأن كل إنسان يعيش في هذا المكان على غير رتبة حياته ، وما دلم يعيش على غير رتبة حياته فوجب أن تسمى أنت وقت ضيق ، وأنا أسمعك وقت ضيقك ، حتى تسير الأمور . ولأنك تجد أن هذا المسح إما أن يورث خيرا وإما أن يورث عداوة . فالتين لا يستكون بيما : ﴿ فَكَلَّا رَبِّكَ وَلَا تُشْرِكُ وَلَا يَظُنُّكَ فِي الْآخِرَةِ ﴾ والمرة : ١١٧ [ ويظنون لأنفسهم المعتان ، لا يظنون مع أحد ، ويعيون الآخرين ، حتى أنهم يكرهون بعض ، وتكون عداوة لا نهاية لها ، أما الذين يظلمون معا تظلمنا ، ويعيشون في ظلال الظلمة فيظلمون أحياء طول العمر ، لأنهم زينوا أنفسهم في أيام الضيق وأيام تحكيم الإقامة في مكان لم يتأدروا فيه الإقامة ، فإذا كان هذا هو المطلوب ، فلا بد أن نحافظ على أمن من في الحرم ونؤمنق من دخله .

وعلى هذا فلا بد أن يكون هناك أناس مأمورون بأن يؤمنوا كل من دخله استئلا لقول الحق سبحانه : ﴿ وَرَبِّكَ كَذِبًا كَانَ كَرِيمًا ﴾ أي : ومن دخل البيت فأسره . والمطلب : : : وأسره لا بد أن تكون جماعة يُلحظ فيها أن تكون لها القوة أن تؤمن من دخله ، فلا يكون محكما فرديا .

إذن .. قول السيدة هاجر عليها السلام : « إني لن يهينها الله » قضية إنيانيه عنديه صدفت فيها ، فلو أنها وجدت الماء عند الصفا أو وجدت الماء في إملاليتها من البروة ، لا اكملت القضية .

لهذا نحن نكرر هذا المشهد استحضاراً بما يجب أن يكون عليه المؤمن إيماناً بالله الذي خلق الأسباب ، فإن استعقدت الأسباب ولم يشأ الله ، فلا تلبس لأن المسبب سبحانه موجود استأنه فهو وحده القادر على أن يعطي بدون أسباب .

ولذلك فإن أطلق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَاقَا كَافِرٌ ﴾ والمفسر هو الذي استعقد كل الأسباب ، وليس له إلا المسبب سبحانه ، فيجبه إله ويقول : يا رب الأسباب التي أعطيتها لي عملت بها كلها ولم تأت ، فانت سبحانه القادر على أن تعطيني بلا سبب .

وهذا هو الرصيد الذي يأري إله المؤمن حينما تبرز عليه الأسباب . وهذا هو الذي يعمل المؤمن بعصر ، لأنه أرى إلهي ركن شديد .

ولذلك الكافر عندما تفقد به الأسباب لا يجد بدا إلا أن يتصر ، لماذا يتصر مع أن الحياة خالية جداً ؟ مع أن الكافر ليس له إلا الحياة الدنيا لأنه ليس مؤمناً بالآخرة ولا بالمسبب ! فما الذي يهون عليه أن يترك الحياة وليس له غيرها ؟

إذن .. لابد أن تكون هناك أشياء فوق أسبابه . وهذا فرق المؤمن من الكافر ، الكافر حين تفقد به أسبابه ييأس ، لكن المؤمن لا ييأس من روح الله ، بل يقول : الأسباب لم تأت ولكن المسبب سبحانه موجود .

إذن .. ملحقية هذا الشيء ، كل واحد يذهب ليستكمل أركان دينه بالركن الأخير الذي هو الملحق لابد أن يعود بهذه القضية ، وهو يؤذيها إحياء لسلوك السيدة هاجر أم إسماعيل عليها السلام ، وليس فقط إحياء لسلوك أم إسماعيل ، بل ترتيب لقضية الأسباب والمسببات حتى يستعمل المؤمن كل أحداث الحياة بقوة ، ولا ييأس ويقول : الأسباب صحيح لم تأت لي بما أطلبه وأرجوه ، لكن رب الأسباب وحالها موجود .

بالرأة وإنيما الرضيع ويركبن في مكان ليس به ماء ، وهذا هو المقوم الأول ، الهراء فقط هو الذي عندهم ، وتقول إنيما كعب التاريخ أنها قالت له : آله أنزل هذا المنزل ١٢ لأنني ليست متعمرة أن إبراهيم يتركها هي وإليهما هي هذا المكان ، وتسلم أن إبراهيم لن يعسر من حوى ، ولا يعسر إلا من حكم من آله ، فقالت له : آله الذي أنزلك هذا المنزل أم أنت الذي أنزلتنا به ؟ فقال لها : آله الذي أنزلي ، فردت نفسها إلى قضية إنيانية ، فقالت : ما دام الله الذي قال فلن يسلمنا ولن يهيننا <sup>(١)</sup> .

فهذه هي القضية الإنيانية الأولى التي يجب أن يبرزها الملحق فيها من هذا المكان وهي في ذاته : ملابم استعقدت أسبابك ، فآله للمسبب هو المتصرف . فما دام الله هو الذي أنزلي في هذا المكان ، فلن يهينني .

بالملحق عندما يعطى رضيعها وزيد أن نسقيه ، فماذا نصنع ؟ لابد وأن تخلت حولها بحفا عن عين ماء ، أو عليها ترى شجرة ، أو ترى أناساً معهم ماء ، فكان لابد أن تخرج من الوادي إلى بركة بركة ماء لا تكفي لها المكان .

فذهبت على بركة الصفا فطيرت فلم تجد لا شجرة ولا رأيت أحداً ، ولا رأيت طيراً طائر اليمى يهوى بغيره إلى الماء ، ثم رجعت فذهبت إلى البركة الأخرى ، بركة البروة فلم تجد شيئاً ، ثم قالت : أرجع مرة أخرى لئلا أجد ركناً سائراً ، بين الصفا والبروة لطالب الماء ، فلم تجد شيئاً .

إذن .. هي استعقدت كل أسبابها ، امرأة تمشي هذه الأشرطة السبعة ، وتعمد بركة الصفا وبركة البروة ، حلاً غايية ما يمكن أن يكون لها من قوة ، فكون قد عملت كل جهدها وطاقاتها .

وبعد ذلك ذهبت إلى وليهما ولم تأت له بشيء ، فويلهما التي تريد هي إحصار الماء له ، ضرب الأرض بوجهه فخرج الماء !!

إذ كانت يا صاحبة الأسباب سمعت وذبحت ورجت وصعدت الجبال ، ولم تحصل على شيء ، والويلد الذي ليس له حول ولا قوة يحرك رجله كما يلعب الرضيع فنيح الماء من تحت قميه !!

(١) سبق نشره .

## الموقف بعرفة

إذا ما تجارزنا ذلك وتعرضنا للركن الثاني من الحج ، وهو الوقوف بعرفة ، ف نجد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يعرف الناس جميعا أقدارهم مع بعض ، كل فوج من الأفواج حتى من البلد الواحد ، صحيح نحن مسلمون في فوج واحد ، ولا بد من إعرامنا ، وأقدارنا انتهت ، وزيارتنا انتهت ، وجبت انتهت ، وكلنا على صورة واحدة ، إنما بعد أن تزدى ونظروف ، نتخلى ملايسنا ، وكل واحد يعود إلى هجته وإلى بزه .

إذن .. فبعد أن كنا متحدثين ابتداء في الاختلاف ، ثم إن هنا يمكن في فندق خمس نجوم ، وهنا في فندق أربع نجوم ، وهنا في فندق ثلاث نجوم ، وهنا بلاس القميص الذي صفته كنا وكذا وهذا كذا كذا . أيضا ابتدأت أقدرانا مرة أخرى تظهر . فكان لابد من مشهد علم ، هذا المشهد الملم الكلى يرى نفسه فيه ، كل الناس ، سواء من البلد الواحد أو من كل البلاد ، فتأني كل الأفواج ليست ليأسا واحدا ، وعلى صورة واحدة ، متجهين إلى عرفة .

وهذا اسمه : مشهدية الاستطراق الملم . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الحج عرفة » لماذا ؟

لأن الاستطراق في البداية قد يكون جزئيا ، إنما هنا استطراق كلى ، استطراق عالمي ، بحيث لما ترى الكل هكلنا نجدهم بشكل واحد .

على صعيد « عرفة » يشعرون بأنهم سواء في الشريعة وسواء في كذا وكذا ، ولسان حالهم يقول : عرفنا أقدارنا ، وجئنا إلى مساحة تركنا فيها كبرياء حياتنا وخرورنا بأسيابها ومسيباتها ، ورفنا جميعا أمام بعضنا ، لأنه قد يوجد واحد من الناس عظيم في بلد وبعض إلى الله بينه وبين ربه لا أحد يراه ، وآخر يصرخ إلى الله أمام الناس كلها ، هنا في الحج ترى العظيم بهول الذي ليس به صاحب جده ، الاثنان يكمان ، والاثنان يرفضان أبنيهما إلى الله تعالى مثل كل الحجيج طالين للنفرة والرحمة والرضوان من الله سبحانه تعالى .

وأيضا فالحق سبحانه وتعالى يريد أن لا يكفنا إلى ترواكل ، فمن الناس من يقول ما دام الله هو الذي يمل كل شيء فلم الممل منا ؟ فنقول : لا ، لا تترك يد الله عموده لك بالأسباب وتطلب منه مبالغة ، عليك قبل ذلك أن تأخذ بالأسباب ، فإن استغندت بالأسباب فلاذهب إلى المسبب ، أما أن تقول بلرب وأنت لا تأخذ بالأسباب فهذا مخالف لسنة الله في قضاء حوائج الناس ، ولذلك المبركون هم الذين يمسكون ذلك .

إذن .. قضية الإيمان في ذاتها أن الإنسان في هذا الوجود بين أمرين : بين أساليب لابد أن يأخذ بها ، وبين مسبب يجب أن لا يماس منه أبدا ، فالجوارح تعمل ولكن القلب يتحرك .

○○○

يشهد الكل ذل الكل ، وعلى هذا فنن وضع رأسه على أحد : لأنك أنت بامن أكثر جاهاً رأيت الأثل ذليلاً عاشما عاشما لله تعالى مثلك مثله ، فلو أنك رئيس هنا عال ومتعسر وكذا وكذا ، ثم بعد ذلك ذهبت فحججت معه ، ورأيت وهو بلبس إحرامه وهو يركب إلى الله ويضرب وكذا وكذا فهذا يزيدك تواضعاً وتسامحاً ، ونفس الموقف للأثل جاهاً حين يرى صاحب الجاه أو الرئيس له في عمله ذليلاً عاشما عاشما لله تعالى مثله ، فهذا يشفي نفسه بأنه رأى في موقف ذلة ، في موقف خضوع ، وهذا يشفي نفسه من تعاليه . فهو أنك أنك رأيت ، فذلك يجعله يستحي فيما بعد ، ولذلك يكون الحج للمرور للإنسان بعد الحج غيره قبل الحج ، لأن الذي شهد لي خضوعاً وشهد لي ذلة وشهد لي انكساراً وشهد لي أدباً ، ليس من السهل أن أتعالى عليه .

وعرقة كما نعلم في موقع التماسك ليست في داخل الحرم ، وإنما هي من خارج الحرم لذلك قد وقف العقل فيها وقفة طويلة ، أوقفه الله تعالى عند سر ليطل التلقى من الغيب تلق غير خاضع لميكانيكية التشريع ، ولكنه خاضع لطائفة اختيار المشرع ، فإذا كان الحج يمر بمراحل متعددة لأنه يبدأ أولاً من منطقة اختيار حر في بقعة الإنسان ، اختيار حر يمش فيه على منطق التكليف العام الذي يشمله ويشمل الناس المحيطين به جميعاً ، ثم هو يخرج بعد ذلك من منطقة الاختيار الحر الذي يشترك كل الناس معه فيه إيماناً بالله ورسوله وإقامة للصلاة وإتداء للزكاة وصوم رمضان ، فيأتي الحج ليخرجه من منطقة الاختيار العامة إلى تقييد خاص له هو ، فينقله إلى شيء يسميه التشريع :

• الميقات •

ثم يمر من الميقات بعد ذلك إلى حدود الحرم لضبط تصرفه ، لا كحجاج وحده ، وإنما يضبط تصرفه مع تصرف الآخرين في الحرم ، فإذا ما نظرنا إلى المواقف وجدنا أن الإنسان الذي وجد في منطقة الاختيار الأول ثم فكر في أن يحج أدخل نفسه في منطقة التكليف الخاص به ، فلا يتجاوز مكاناً من الأماكن حددها للشارع إلا وهو محرم ، ومعنى محرم أنه تنسب كل شيء : من غروره وجروره وغروره وجروره اختياره إلى شيء آخر ، ولكنه شيء يلزمه هو كحجاج ، وإنما الذي يوجد بعد الميقات وإن كان غير

حاج لا يتقيد بهذا التقيد ، فإذا ما مر من منطقة الميقات الذي يفصل بينه وبين المنطقة الحرة الاختيارية لينتقل إلى حدود الحرم وجد منطقة أخرى تحكمه وتحكم غيره حتى ممن لم يكن حاجاً ، وتلك هي منطقة الحرم ، فإذا ما تجاوز منطقة الحرم ذهب إلى المركز ، وهو البيت ، ومعنى البيت ، ثم يؤدي النسك المطلوب منه طوقاً وسجداً ، وبعد ذلك ينتقل إلى منطقة أخرى خارج نطاق التكليف العام للناس جميعاً ، وهي منطقة الحل الثانية : فكان رقة الحاج تنحصر بين حلين :

الحل الأول : هو بقعة الإنسان قبل الميقات .

الحل الثاني : هو ما يخرج إليه الإنسان بعد أن يؤدي نسك الطواف والسعي ويخرج من مكة إلى عرفة .

الأمر العجيب أن منطقة الاختيار الأولى فيها تلقى التكليفات من الله تعالى له ومن معه جميعاً ، فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه في تكليف آخر خاص به ، وإن كان لا يتعدى .

إذا رسمنا منطقة التماسك كلها وصنعنا دوائر ، وجدنا الدائرة الأوسع هي منطقة الاختيار الحر للناس جميعاً ، ثم حدد الشارع دائرة بعد الأوسع تسمى : دائرة واسعة ، وهي منطقة الميقات .

ومن العجيب أن منطقة الميقات لم يحددها رجل ، هنسئ ، بمعنى أنه يعطى من الرجل في الكعبة ، ثم يمر بحيط يحمله ميقاتاً ، فوجد المارقيت أقطارها بالنسبة لمركز البيت أقطار مختلفة .

ومن العجيب أنك تجد قطر الميقات للحجاز الذي فيها البيت هي أطول أنصاف أقطار المارقيت ، لأن الحرم لمن يداخل الحجاز في المدينة مثلاً من أول الحلبية ، فإذا قست من أول الحلبية إلى الحرم وجدتها أربع مائة وخمسون كيلو متراً ، نصف قطر الميقات من أمبار على ومن ذى الحليفة أربع مائة وخمسون كيلو متراً ، فإذا ما ذهبت فوجدت ميقاتاً آخر ، ووجدت ميقات رابع مثلاً : مائتي كيلو وأربعة وتسعون كيلو متراً ، قرن المفازل للحج : أربعة وتسعون كيلو متراً ، بلعلم : أربعة وخمسون كيلو متراً .

إذن .. فالمسألة ليست إلا مسألة وضع مكلف لسرك مكلف فعلاً : أنا سائر بالراحلة ، وراحتي جوعانة ، ويوجد حشيش ، فيقول لك : إياك أن تركها تأكل من هذا الحشيش ، وهذا يثار سؤال : أفترك الراحلة تموت ؟ بعض العلماء قال : لا ، ما دامت الراحلة هي وسيلة الانتقال ولا بد منها ، فلا تأخذ أنت من الحشيش ، لكن أطلق الراحلة هي التي تأكل من الحشيش .

انظر إلى هذا الأدب ؟ أدب جوارح والبرام ، لأنك دخلت في منطقة التقييد الثاني ، بعد أن كنت مختاراً ، لم يقل لك أحد : ادخل هنا ، أنت الذي أدخلت نفسك هنا . كما أنك في المنطقة الأولى ، منطقة الاختيار الأول ، الدائرة الواحدة ، أنت الذي أدخلت نفسك في هذه المنطقة ، أنت الذي أدخلت نفسك في منطقة أن تؤمن بالله واحد ، أن تؤمن برسول مبلغ ، أن تؤمن بفتح ، أنت حر أن تدخل أو لا تدخل في الإسلام . والكافر لم يدخل ، ولكنك دخلت .

لكنك ما دمت قد دخلت في منطقة الاختيار الأول فقد قيمت نفسك بعض التقييد ، ولكن كل الذين سلك من المؤمنين متذبذبون مثلك ، لكن المنطقة الثانية أنت المتبدد وحملك وغيرك حر .

فبماذا ترى فحورك محالنا في عمل وأنت مفيد فيه ، هذا هو الأدب . فالأول كنت مقيداً أنت وهو ، أما الآن فأنت في منطقة ما بعد تجاوزك المبادئ مقيد وحملك وهو حر . وبعد ذلك تتقبل أنت وهو - حتى من لا يهجع - إلى منطقة الحرم ، أيضاً منطقة الحرم تحديداً على الخريطة ، ليس خارجها ليرجل هندسي ، لأنك مثلاً تجد من الضمالة ستة كيلومتر من التمسك إلى الحرم ، ومقابلها من الجحيم اثنا عشر كيلومتراً ، ومن الشرق تجد الجحيم ستة كيلومترات ، ومن الغرب في الشامي أو المدينة تجد خمسة عشر كيلومتراً ، وفي الشمال الشرقي من نقطة تجدنا أربعة عشر كيلومتراً .

فالمسألة أيضاً ليست مضطربة : ستة ، اثنا عشر ، ستة عشر ، خمسة عشر ، أربعة عشر . أمر غير مضبوط هندسياً . لماذا ؟

لعلنا لا نغفل ، حتى لا تكون المسألة فيها رتابة ، لأن الرتابة يلزم بها الإنسان مرة واحدة ، بمعنى أنه لو كانت حدود الحرم - وقد قلنا إن منطقة المبادئ للحاج ، ومنطقة

إذن .. تجد المراتب ليس عملية هندسية مضطربة بحيث نصف القطر من الشرق مثل نصف القطر من الغرب ، أيضاً بل مختلفة ؟ ومن العجيب أن أطولها المبادئ من المدينة أربعة عشر كيلومتر .

مع أن المبادئ لأجل اليمن أربعة وخمسون كيلومتر .

هذه وقفة يقف العقل فيها ليدنا على أن المسائل ليست مسألة هندسية ميكانيكية ، إنما هي مسألة قدرة في أن تحدد المبادئ هنا والمبادئ هنا ، والمبادئ هنا ، ونحن نتأرجح للمسائل في اختلاف أعداد أو اختلاف مقاييس نسلم أن للمقدار الأعلى علاقة الاختيار في أن يجعل المبادئ من هنا كلها ومن هنا كلها ، حتى يقف العقل عند أسرار ذلك . فالقرآن مثلاً حين يمرض لنا خربة جهنم يقول : عذبتهم نعمة عشر ، وبنيتهم يقول : إياك أن تقف عند نعمة عشر هذه ، وتقول لماذا نعمة عشر ، ولماذا لا يكونون خمسة عشر ، قال تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ لَا يُدْرِي أَلَمِ الْيَوْمِ الْآخِرُ ﴾ .

إذن .. فالمسألة الدائرة من مكلف إلى مكلف يجب أن لا تنظر فيه إلى مقاييس يحكمها برجل هندسي ، إنما هي إرادة الله هنا وهنا .

وبذلك تجد في التكوينات انفصالات من المسور أن يقبلها العقل المعادي يسر . فمثلاً نحن نؤمن ، فليكن من يقول نحن نؤمن حتى نتلف أنفسنا وكذا وكذا نقول له : نعم ، وعندما نقف الملاء تأتي بواب نمر به وجهها . فهو مسألة : لا تقول نتلف أو لا نتلف ، هي مسألة إبعاد نفسي ، لأنك مقبل على الله ، بالطريقة التي يؤهلك بها . الله إليه ، هنا ماء ، هنا تراب ، إياك أن تحكم في هذه المسألة فليس لك بها شأن الية . إذن .. فإنا في هذه المسألة نقتل من المنطقة المرة إلى منطقة الاختيار المطلق ، إلى منطقة الاختيار المتبدد لي أنا ، فيقول لي : لا تلبس الخيط ، لا تصطر ، لا تحلق ، لا تكيح ، لا تقلع الشجر ، لا تصطاد ، لا تجادل ، لا تفسق ، إياك كذا ، إياك كذا . هل هذه الأوامر خاصة بن دون المبادئ ؟ أم بن دون المبادئ لن كان حاجاً ، ولكن غير الحاج حر في هذه المسألة فواحد فيه نفسه يرى واحداً حر الاختيار ، ومصاد كذا بناء ، يطلع الشجر كما يحب ، كذا كذا كل شيء بهمه وهو رحمه .

لماذا هو فقط الذي عصي عندما أمر بالسجود لآدم ، ولأنه قد عصي ، فزبد الناس كلها أن تعصي مثله .

فإذا ما كان الناس يذنبون لهم قد عصوا ، ففرح بتمصيتهم الله .

قاله تعالى بخلقة اختياره بتر رحمته ورضوانه على أهل الموقف جميعا ، جزاء بما قبلوا به أنفسهم من اختيارات في النفس ولا تفعل ولا ، ومن اختيارات خاصة بهم من الميقات ، ومن اختيارات خاصة بهم وبغيرهم ، ولذلك حين يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحابته : إن الله يجلي على أهل الموقف - أي في عرفة - فعن الله لأهل عرفة ، وغفر الله لأهل للشعر الحرام ، وتحمل الله عن الجميع تبعات ما عملوا نحو العباد . لأن ما قال : و الحج للبرور بهيج ما قبله ، اخضع العلماء ؛ هل هذا الحج بغير كل الذنوب ؟ فقال أحدهم : بغير الذنوب المتعلقة بالله ، أي : التي يترك وين ريك ، ولكن الذنوب المتعلقة بترك دين العباد لابد فيها من أنك تحلص ذمتك ، تجعلهم يتركوك . وقال بعض العلماء : ولكن الله إذا تجلى بوسع رحمة بهيج رسول الله ه فما كان لك منها غافرة لي ، وما كان لعيرك فحمله عني ، فخير رسول الله في هذا الموقف أن الله غفر لأهل الموقف ، أي : أهل عرفة ، وغفر لأهل للشعر الحرام ، وبعد ذلك تحمل سبحانه التبعات التي لبيده الحاج عند غيره ، فعند ذلك يقول عمر رضي الله تعالى عنه :

و كسر خبيرك يا ربي .

هذه الساحة التي يتلقى الإنسان فيها غفران الله ، وتحلّي فيها الجميع غفران الله ، إنما جاء في ملحق السورانية في الموقف ، والسورانية في الموقف معناها أن هذا الموقف كما قلنا إذا تدخل مكة على رحلات مختلفة ، نخرج بدخل هذا النهار ، ونخرج بدخل غدا ، والكل محرم ، وبعد ذلك يعودون إلى أسرارهم وإلى طيبة قيسهم في الحياة ، سكنا وقامة رجينا ونداما ولبسا ، ثم يخرجون ثانية باللباس العام ، واللباس العام الجامع لكل الأجاس ، وجامع كل الأسته وجامع كل اللغات ، وجامع كل اللغات ، وجامع كل الأقار ، وهو لباس الإحرام وجميعهم شعثا غبرا - وأضمت أغير معنى : إنسان عندكم و ملخبط ه ، هيته و ملخبط ه ، متعب ، موهق ، حاله ليس عاديا ، فامل عما كان له من قدر وقام ومكانة في الجميع - كلهم مثل بعض ، فهم لا يتعاملون

الحج ١٠٣

الحرم للحاج وغيره - فلا يمسطد حتى من لا يبيع ولا يقطع شجرا ، ولا كذا وكذا ، كذا حرم فيكون تسيما له وتقيما لغيره من لم يكن في نفسك ، فإذا كانت مسألة برجل كذا تقول : ستة كيل من هنا ، وستة كيل من هنا ، وتعمل أنت دائرة . الله تبارك وتعالى لم يخلق حركتك في أن تعمل أنت هذه الدائرة ، بل هو سبحانه الذي حدد الشرق كم يبعد ، وكذلك الغرب والغرب واتسعال الشرق . هذه هي علاقة القدرة في الترامك ، كل مرة ملترم .

فلا تكون من هذه الناحية ستة كيل ، وإن جئت من هذه الناحية أيضا ستة كيل ، لا بل إذا أتيت من هنا ستة كيل ، وإن جئت من هنا تكون ستة عشر ، ومن هنا تكون أربعة عشر كيل مترا وهكذا .

ومن المجهوب أن الفراق بسيطة : ما الفرق بين خمسة عشر وأربعة عشر ، وستة عشر ، تقول : المسألة ليست عقلية ؛ لأنها مربة على الاتساع ، والتزامك بوزنه جزاء من الشرح الأعلى ، فأنت تقيدت في منطقة الاختيار الأولى أنت وغريك ، وتقيدت في منطقة الاختيار الثانية أنت دون غريك ، وتقيدت جميعا أنت وغريك في منطقة حدود الحرم ، وبعد ذلك انتقل إلى عرفة : الساحة الواسعة .

وكان الله تبارك وتعالى يشير لنا بذلك ، أو قد نفهم من هذا أن منطقة الاختيار الأول أسلمت أيضا إلى منطقة الاختيار الثاني ، ولكن الاختيار الأول كان به متطلبات منك ، والآخر الذي في عرفة الذي ليس في الملح منطقة اختيار ولكن باختيار الشرح ، ولنا فهي منطقة المعطاء لك ، وهي منطقة حددت اختيارك في الحركة : بأقل كذا ، ولا تفعل كذا .

صمنا لك هذه لماذا ودربناك على أنك تكلف نفسك وتقيد في المنطقة الأولى بعد الميقات ، وتقيد نفسك في المنطقة الثانية في الحرم ، وبعد ذلك اخرج إلى المنطقة الواسعة لتلقي ماذا ؟

أنت تلقيت هناك تقيد الاختيار ، وهذا ملائمة اختيار الشرح في أن يترك من القدرة ومن الرضا حتى يقال في الآخر : إن الشيطان لم يوجد في وقت من الأوقات . ولا في مكان إلا يمكنه أن يقيط منه في هذا الموقف ، لأن حط الشيطان أن يكون أين آدم عاصيا ،

الحج ١٠٢

كذلك القنوس الإنسانية ، حين تنقش ، ويكون فيها اسطر اقي صودي ، وكلما عيّد الله ولا أحد فيها أكبر من الثاني ، وكل المظالمات الموجودة على عبادات تخدم بعضها ، ليس لي أنا معطاء خاص حتى أتمالي به ، بل إن كان لك ملكة أو موهبة من المواهب وفيرك ليس فيه هذه الموهبة ، فيجب أن تقدر أن موهبتك مخصصة له ، وإن كان هو ليست له مواهب تأتت تحزن ، لأنه لو كانت له مواهب في صناعته أو في عمله لتمدت إليك .  
إذن .. ثلثا كنت أنت صاحب مواهب فاعرف أنها في خدمة الغير ، وفيرك إذا لم يكن له مواهب ، فلن تأتي لك خدمته ، فكيف أنت الخاسر .

إذن .. فمن خيرك ومصلحتك أن تكون كالناس جميعا ، وإن يكون الناس جميعا ملك ، حيثما يكونون أملا لتلقى فوضات الخير . ففي يوم حرية الكل يكون راققا ، ضاحيا ؛ التمس دانية من الرزق ، الجرحار ، أو السوء قطر ، والناس كلها راققة ، كلهم غاضبون أفلا ، لا يوجد تمايل ، فيكون هذا الموقف أملا لتقبل الرحمة .  
فمعلنا والله للثل الأعلى : حب أنك رب أسرة ، وهذه الأسرة كلما دخلت عليها وجدهم ضاحكين لا حين يمكنهم بكلام الغير ، فإن كنت قد أصغرت منك شيئا في جيتك تعطيها لهم وتسطهم بها .

وإن دخلت فوجدتهم في حزن وهم غم ، هذا يشتم هذا ، وهذا كلما ، فإن تقسك تنقش ولا تعطهم شيئا عما منك .

إذن .. فحسبى الله بالغيرة على أهل الموقف في حرية إما نشأ من وجود هذا الاستطراق ، وعدم وجود طيبان ، وعدم وجود استعلاء .

فإن أردنا أن يدمر لنا هذا المعطاء من السماء ، فلنكن خارج حرية ظلما كما في حرية . وإذا كان الحج يجب ما قبله ، بمعنى أنك قد أعطيت منفرة عن الماضي ، فاحذر جهنا أن تستقبل زمك الآتي بارضا ، لأنك لست ضامنا في جهنا أن نود لصحح لنفسك مرة ثانية ، فانتقم هذه القرصة ، ودع الحج يحسبك هذه المسعة .

وذلك يكون الشيطان مغتالا ، وحي تنقشه : أكثر من المعاصرة والله يرف والصديقة ، واجهد في القابات والذكر والمساء ، وكان لسان حالك يقول : إنني اتصعرت عليك وإن كنت قد فسلت إلى في فترة ضعف وتأثرت على في شيء فإن ربي قد غفر لي ذلك ، والله المبد له الشكر .

في هذا الموقف ، بل كلهم متساوون في موقف اللذة والخير . والتمالي إما يطلب من الناس على الناس ، رجل يريد أن يتالي على الناس ، يعني : يكون أحسن منهم . وهذا في هذا الموقف لا يصح ذلك ، فكان الغير العام لا يتم الناس جميعا إلا إذا استوى الناس في الخير وواسوى الناس في اللذة ، ولا يتالي واحد على واحد أقل منه في موقف الخير واللذة . وعندما تنقش هذا الفهار ، غير الاستعلاء وطيباته عن أنفسنا في هذا الموقف يتجلى الحق سبحانه وتعالى بالغيرة ؛ لأن الذي يحصل للغيرة بيننا وبينها حجاب والرحمات بيننا وبينها حجاب اللذ الذي يحدث بين الناس ، فيكون مجتمعا واحدا ونجد أن كل واحد يرى نفسه فيه ، كل واحد واضح تغيراته أمام غيره ، هذا كلما ومما كلما .

لا بد أن نلاحظ أن كلما عيّد لأنه عادت العيزات التي توجد فيها ليست من ذواتنا بل هي موهوبة من ربنا ، فيجب أن لا ندخلها في حساب أقدارنا مع بعض ، أنا وأنت مثل بعض ، نحن كلما عيّد له ، بلنا حصل هذا الاستطراق العبودي ، والنفس كلها أصبح فيها هذا الاستطراق ، ولا يوجد تمايل من أحد على أحد . يقول الحق سبحانه وتعالى في الحديث القدسي : « هم أهل جميع خلقون يخفون ربي حتى » .

لكن إذا وجد لحد وجدنا لحد ، فيرك الناس للدهم وتصورهم . ألم يخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على صحابه يوما من رمضان ليخبرهم برمان ليلة القدر إلا أنه وجد جدلا وغمومة بين رجلين ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إنني خرجت لأخبركم ليلة القدر وإنه ثلاث وثلاث فرس ، وعسى أن يكون خيرا لكم ، القسوما في السبع والتسع والعش »<sup>(١)</sup> .

إذن .. فالخلاص : الجدل والغمومة والراء ، كل هذا يمنع هبات الغير من الجمع . الجمع الذي يود أن يستقبل فوحشات الله لا بد أن يكون جمعا على معنى المعناه وما ، وتأمل مثلا الأجرة : أي جهاز يوضح ، لا يودي مهت إلا إذا كانت كل الأجرة مستحقة مع بعضها ، أما إذا كان جهاز مختلف لجهاز آخر فلا يودي للمهت .

(١) رواه البخاري [١٩] وقسافي في الكبرى [٢٣٦] عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه .



الغارة ومن التكريم ومن التحف ما يلقى بسماحه وما يناسب كبره وما تتسع له إمكاناته . وأنت يا رب لو سألك كل هؤلاء في ساحة رحمتك .. لو سألك كل المؤمنين بك في أرضك كلها .. لو سألك حوارجهم فأعطيتهم لهم ما تقص ذلك عما عندك يا رب إلا كما يتقص الخيط إذا غمس في البحر ، وذلك لأنك يا رب الجواد . وأنت الواحد وأنت المجد ، صلاؤك كلام .. وعذابتك كلام ، إنما أمرك للشيء إذا أروته أن تقول له : **﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾** .

تجلبياك يا رب على خفوتك لهذه الفجوة والعبودية الخاصة ونعمة الملك  
الك ، ونعمة العبودية لك لأبنا عبودية تفر العبد .

فالمبرورية من المطلق إلى المطلق غير المبرور للسيد وعودتنا لك بارب  
نعملياً خير يا عظيمي مكرم.

يارب .. يارب .. يارب .. نسالك لانك الملك ، وانك على كل شيء قدير ،  
وما نشاء من امر يكون .

يا رحمة الله .. يا عرضان الله .. يا تجليات الله .. هؤلاء خلق الله فاعطى عليهم بالإشراق وتزلي عليهم بالعصاة ، وأرحمهم ساجدين مغفورا لهم ، مستحضرين محابث دعاؤهم لهم والأطهر والأزاهم ولزمتهم ولجسجهم المؤمنين والمؤمنات .

لَيْسَ الْإِثْمُ لِيكَ .. لَيْسَ لَا حَبْرَةَ لَكَ لَيْسَ  
إِنْ لِمَعْدٍ رَاقِصَةٍ لَكَ وَالْمَلِكُ .. لَا حَبْرَةَ لَكَ .

إني لست إليها استحياء .. ولا ربا اجتهاد .. ولا كن لنا جبلك من إله قديما  
إله ونورك ، ولا أعانك أجد على خلقنا فسر كره ملك .

سبحانك .. سبحانك .. سبحانك

[illegible]

حط النبية من التوحيد أن تشهد بك واحدا لا شريك له . وحط جميع أركان الإسلام من البنيان أن الصلاة لها سه فذلك الخط يفرجه إلى بيتك في كل صلاة فويلنا هو البيت .. رزينا .. رؤيا الون وطننا جميع جهاتنا واستمنا حجره الأسود ليشهد لنا يوم

دعاء يوم عرفة

لَيْتَ اللَّهُمَّ لَيْتَ .. لَيْتَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتَ

شمار هذا اليوم .. ونشيد هذه الساعة وورد هذا الركن .. ليكن اللهم ليكن  
ومن أولى بالولية منك يا رب العالمين وقد خلقت الخلق بقدرتك .. وأمدتهم  
ببريتك وأمنت عليهم بمويعتك فلا يقال ليكن إلا لك ، تناجي الأروغان وأنت تدعو ،  
فأنت أولى بليك ، وتقي الأمل وأنت تدعو ، فلا يكون ليكن إلا لك ، وبهذه المال  
والولد إلى أن يعلى الإنسان حيسهم .. ولكن لا يقال ليكن إلا لك .  
سبحانك ولا تقال إلا لك .

سبحانك يا رب وما أصدق لحيمة عبادك جميعاً حين يقولون لك ليك اللهم ليك .  
ولذا لا تقول : ليك لك يا رب ، وأنت لا شريك لك ؟ ولذا لا تقول : ليك لك  
يا رب والحمد كله لك ؟ الحمد بكل صوره .. الحمد بكل أفراده حتى إنشاء على  
الأسباب .. حتى الشكر الوسائط والرسائل مرد الحمد فيها جميعاً إليك يا رب .  
يا رب .. فالوسائط .. والرسائل .. والأسباب من خلقك فإن أجريت عليها ما بأنك  
بالحق فانت المحرى يا رب ، فلك الحمد أولاً ولك الحمد آخرها .

سبحانك يا رب .. من لم يحمدك لأذك الذي خلقت ، وزينت ، وأمددت بالتمن من  
لم يحمدك لكل ذلك ، فليحمدك لأن لك الملك لا إله إلا أنت .  
سبحانك ولا تقال إلا لك ..

لَيْتَ اللَّهُمَّ لَيْتَ .. لَيْتَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْتَ ..  
إِنْ الْحَمْدَ وَالنِّعَةَ لَكَ وَالْمَلِكَ .. لَا شَرِيكَ لَكَ .

بارب .. نساك كل شيء .. بقدرتك على كل شيء .. اغفرنا ربنا .. جميعا كل شيء .. ولا نسألك عن شيء .

إنيك يا رب مادعوت هيبتك لزيارة بيتك والوقوف بساحة رحمتك حرلات إلا وأنت  
تزيد نعم الخير وتزيد لهم الرحمة ، وكل فاع نزهة حين مدعو مدعوهم بعد لهم من

بارب .. بارب .. بارب .. نسألك بأنك للملك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء  
من أمر يكون .

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن .  
إنا الحمد والمنة لك والمالك .. لا شريك لك .

بارب .. بارب .. بارب .. نحن جبارك وأنت ربنا ومن لمحض في أمرنا الناس أن  
يكون الإنسان مذبذبا أمام أعينهم يأتيه بعد ذلك في ساحته ليسأله برة ويسأله رخصان ،  
ولكنها من عيبك بارب محبوبة فأنت تحب القرائن ، وأنت تحب الأوائق ، وأنت تحب  
المستغنين .

سبحانك بارب .. سبحانك بارب .  
بارب إنها ضراعة تجلت فيها رحمتك ورويتك يوم أرحمة أن تأمل شمسك وأن يورج  
عبيدك بالشفرة والرحمة .

ونحن في هذه الساعة العظيمة المباركة ندعوك بارب كما أمرنا .  
للندعوك بارب يا دعاءك به آدم عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به إدريس  
عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به نوح عليه السلام ، والندعوك بارب يا  
دعائك به هود عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به صالح عليه السلام ،  
والندعوك بارب يا دعاءك به إبراهيم عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به إسماعيل  
عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به إسحاق عليه السلام ، والندعوك بارب يا  
دعائك به يعقوب عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به يوسف عليه السلام ،  
والندعوك بارب يا دعاءك به موسى عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به هرون  
عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به داود عليه السلام ، والندعوك بارب يا  
دعائك به سليمان عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به عيسى عليه السلام ،  
والندعوك بارب يا دعاءك به أيوب عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به يونس  
عليه السلام ، والندعوك بارب يا دعاءك به إيليا عليه السلام ، والندعوك بارب يا

البحر ١٠٩

لقد كان . وما حظ الزكاة بلان فيها البذل وفيها السخاء وفيها الأريحية وفيها النج بطعم  
الناس وطعم القراء والساكنين . أما حظ الصوم من البحر ، وأنت بارب جعلت على  
البحر محظورات مباحة مع غير الحرم ، ولكنه ساعة يحرم عليه ، وهما لون من  
الإسكان عما أحل الله ، فكان ركن البحر بارب ركن جمعت فيه الأركان مرموزا إليها  
وعجلة فيه . لهما بارب كان جزاؤك عليه أن يخرج الحاج من ذنوبه كرم زلته أمة .

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن  
إنا الحمد والمنة لك والمالك .. لا شريك لك .

اللهم بلان قد أمرنا أن نضع بينك فاصلا ولنا ليكن .. وأمرنا أن نقف في ساحة  
رحمتك قلنا ليكن .. فكما لنا دعوتك بارب قبل شراحتنا ، وانقر زلاتنا ، ولرحمتنا  
وإرضي اللهم عنا ، وما مضى من قلوبنا لا نفهمه .. وما نستقبل من حواء فاستر عنا قلوبها .  
اللهم إنا نسألك الخير من حيث تعلم أنه الخير بارب .. بارب .. بارب .. بقدرتك  
على كل شيء الخير لنا كل شيء ولا تسألك من شيء .

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن  
إنا الحمد والمنة لك والمالك .. لا شريك لك .  
سبحانك بارب ولا تقال إلا لك ..

حسبنا راجع كل قلب فيه ربيد ، وكل قلب فيه مؤمل ، جبارك رسم واتقون  
بكرمك ، جبارك رسم واتقون بغيرك ، جبارك وبغيرك أن يرجعوا إلى أمهم على غير  
ما يرجع مسلم لك هجرة من الله في قول من الله .

بارب .. بارب .. بارب .. نسألك بأنك للملك وأنت على كل شيء قدير وما تشاء  
من أمر يكون .

اللهم ، إنا نسألك أن تعطينا الخير يا تعلم أنه الخير لنا في ديننا وفي دنيانا وفي أهلنا .  
اللهم إنا نسألك أن تزفنا جميعا إليك رحب من بيننا حبه عندك .  
اللهم ما أصليتنا يا نحب لأجلكة لولا لنا فيما نحب .. وولدت عنا يا نحب لأجلكة  
نورنا لنا فيما نحب .

البحر ١٠٨

مث جعلها لك  
جورسا إلا في  
حسنا .  
به قدر وما تشاء

ربا تفرع إليه ..

به ، كيف يعيش

إلى الإسلام .  
جاع في حلمات

كما دعواك لن  
الاعانة على

لبي ديتك ، وأنت

رسول الله فوي

١١١

المسرح الحر

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَالزَّكَاةَ ۖ وَاتَّقُوا يَوْمَ تُدْعَوْنَ إِلَى اللَّهِ فَتَكْفُرُونَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاكِبُونَ ۚ يُضِلُّونَ سُبُلَ اللَّهِ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَصْوَاعَهُمْ وَبَدَّلُوا تَوْبَهُمْ ۚ لَبَدَّلَ اللَّهُ فِعْلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۚ ﴾ [البقرة : ١٧٨] مكان ذكر  
 الله تعالى هنا هو الشكر على ما استقبل به وفاءه بالقرعة والرضوان .  
 ثم يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ كَمَا تَقُولُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۚ ﴾ [البقرة : ٢٠٠] وكأنه يلفت إلى وحدة الهدف في الحج ، فقد كانوا  
 يستمعون لبيغابغوا بأهاليهم وبأصحاب أجدادهم فكل واحد انثناء خاص إلى سبب  
 وجوهه المباشر ، وسبب الوجود المباشر هو الأب ، فكانوا يذكرون آبائهم بما قدما من  
 مجد خاص لنفسهم أو مجد عام لا يحيط بهم على حسب استقامات القامات في  
 ذلك الجهد ، وذلك يعدد الانثناء ، وتعدد الانثناء يشتر جعدد الأمراء ، وتعدد الأمراء  
 يشتر بالتضارب والتماثل .

فكرة الخلافة ، تعني أن الإنسان ليس أميلاً في الكون ، وأنه كما استمد وجوده من الحق سبحانه فإنه يستمد بقاء هذا الوجود من الحق سبحانه وتعالى .

فالحق سبحانه وتعالى له نعمة الإيجاد من عدم وله نعمة الإمداد من عدم ، فإذا قسمنا ذكرهم آباءكم : ﴿ فَأَنْزَلْنَاهُ فِيكُمْ رِجْزًا مِنْ آتِنَاكُمْ ﴾ ، ولكن على التحقيق يجب أن يكون من غير سبب ، لأن قسمنا ذكرهم آباءكم لأن الإيجاد كم هم سببه ، فيجب أن نُصدروا الأمر إلى من خلق آباءكم ومن خلق آباء آباءكم ؟ صدرنا إلى أن تنتهي إلى أن الله تعالى هو الخالق الأعظم ، فكما امتد بك الزمن في هذه السلسلة لتلقي ، بينما أمراء البشر كلما تعددت تناوبت وابتعدت ، وثقنا إذا قوتت من الحق الأول تلاقت .

والقربب الطيرى الهنسى لذلك أنك إذا رست دقوة بهما اتسمت هذا الرسم  
يحدد سمها على قدر أنصاف أطوارها ، فكما كان نصف الطير أقل كانت اللبارة  
محيها أقل ، وكما اتسمت كبر محيطها . لوأما ما انشغلت خطوطا من المركز إلى  
الحيط ، تكون كلما ابتعدت من المركز تزايدت الخطوط من بعضها ، ولألا لما حدث

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ لَهُمْ عَدْلًا وَتَوْفِيقًا وَرَحْمَةً .

يارب .. يارب .. يارب .. نسألك يا الله الملك ، وانك على كل شيء قدير وما تنشاء من أمر يكون .

ليكن اللهم ليكن .. ليكن لا شريك لك ليكن  
إن الحمد والثناء لك والملك .. لا شريك لك ليكن

عَارِب .. عَارِب .. نَسَاكَ لِمِ الْغَفْرِ جَمِيعًا مَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَرِضْوَانًا .  
الَّذِينَ مِنْ وَصْلَتِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فَلَاخِرِهِ الْوَصْلَ إِلَى أَكْثَرِ .

اللَّهُمَّ مِنْ حَالَاتِ أَسْبَابِهِ وَصِرَافِهِ أَنْ يَقِفَ عِلْمُكَ الْمَوْقِفَ فَيَسِرَ لَهُ وَرَسُولُكَ لَهُ أَمْرُهُ وَوَدَّائِهِ أَمَامَهُ الْمَقْبَلَاتِ ، لِيَتِمَّ كُلُّ صِهْبِكَ بِهَذِهِ الْفَرَسَةِ ، وَلِيَتِمَّ كُلُّ صِهْبِكَ بِهَذِهِ الْجَمَالِ ، وَلِيَتِمَّ كُلُّ صِهْبِكَ بِهَذِهِ الْجَمَالِ .

يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْكَافِرُ .. لَيْسَ لَكَ شَرِيكَ لَكَ لَيْلٌ  
إِنْ أَحْمَدَ وَالنَّصِيحَةُ لَكَ وَاللَّامُ .. لَا شَرِيكَ لَكَ لَيْلٌ

یارب .. یارب .. یارب .. نسئلك ایاك اللیل ، رائك علی كل شیء فقیبر وما تشاء  
بنی آمر بكون .

وَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيَّ سَيِّدَتَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَرَحْمَةً اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ وَخَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ  
وَسَلَامٍ عَلَيَّ إِخْوَانِيهِ الْمُرْسَلِينَ وَارْحَمَهُ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ .

أما الصديق رضى الله تعالى عنه لم يأخذها بهذه الحسابات . فقال : إن كان قال فقد صدق . فرتب الصديق على قوله صلى الله عليه وسلم ، لا على قول القضيعة عقلًا . وحتى لا يقال إنه يقدم تقليدا أصمى .. لأنه قال ، أو لأنه صاحبه ، أو لأنه حبيه ، لا . وبعد ذلك بمثل المصطلح الذى يطلى الصورة فى التقليد ، فليس تقليدا أصمى ، بل تقليد بصير .

قال : إذا كنت أصدقه فى خير النساء ، بأنه ، أفلا أصدقه فى أنه اعتل ١٢ : إذن تقليدا نقلة أخرى .

سيدنا عمر عندما رأى الناس يقولون المحبر ، يريد أن يضع قضية قد تنف فيها عقول الناس فى المستقبل ، من الجائز أن الأمة بعد ذلك سترقى ويصير عندما ثقافة ، ويصير عندما معانيه ، ربما يأترون فيقولون : حجير ١ ما هذا الذى تعمل معه كذا وكذا ؟ وسيدنا عمر رضى الله تعالى عنه أتى بالقضية التى يرد بها رقا يطل فى التاريخ رقا على كل تشكك فيها ، فيقول : إني أعلم أنك حجير لا تصير ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت الذى صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلك ١١ .

إذن .. بالمعنى المعينة ذك أنت ، إنما فى الشرع فعلى العين والرأس .

وبعد ذلك بأنى الإمام على رضى الله تعالى عنه يقول له : إنه يصير وينفع ؛ فإنه يشهد أمام الله أنك قبله ١٢ .

إذن .. للسائل الإجمالية من الحق للمخلق يجب أن تؤخذ أولاً ، يؤمن بها الإنسان ويصير عليها فى حياته عقيدة وسموها ، ثم من بعد سيجد أثر حكميتها فى نفسه . إذن .. فالحكم من الأعلى للأدنى تظهر حكمته بعد الفعل ، ولكن المحكم من المساوى يقول له : أظهرها لى من الآن ، وإلا ما الذى جعل عقلك أنت أولى من عقلى وأنا ترى أن أقبل هذه ولا أقبل هذه .

فمثلًا ، والله تعالى المثل الأعلى ، الصصى الصغير الذى يقول له والله : انضمت إلى دروسك ، اسبح من اللرس جيدًا ، لا تخاف ، وإياك أن تنسى ، إياك كذا ، وإياك كذا

(١١) روى البخارى [١٥٩٧] ومسلم [٤٨٨/٢٧٠] عن عمر رضى الله تعالى عنه .  
(١٢) روى المحاكم فى المستدرک [١٧٨٢] من حديث ابن سيد رضى الله تعالى عنه .

فحينما يخاطب الله خلقه ، لا يخاطبهم بالحكم أولاً ، وإنما يطلب من الناس أن يؤمنوا ، إذن .. أقال الناس أولاً على الإيمان بالله تعالى ، فإن آمنوا قال لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ۝ الرَّحْمَةُ ۝ ٢١٨٩ ۝ ﴾ . كلما يعنى معنى الأمر قدر المحكمة فيه على قدر صلاحه فى المحكمة ، وإياك أن تعددًا بمثلك ؛ لأن محكمة المحكم صفة من صفات الكمال فيه ، وإن قديتها بحكمة كذا وكذا ، تكون قد قادت الكمال المطلق ، فكذلك على أنها هى هذه وفيها كمالات لا تنامى .

ولذلك يقال : حلة الأمر الإيماني إياك أن تعالها قبل أن تفعل ، ولكن فعلها لتعرف آثارها وانهم جيداً فرق ما بين خطاب الناس بالإيمان وخطاب المؤمنين بالحكام . خطاب المؤمنين بالحكام تسلم بأنك آمنت بالله حكيم لا يائزك إلا بشيء يعود عليك أنت بالنفع ولا يعود عليه سبحانه وتعالى بشيء .  
وتشريع الشرع لا توجد فيه القوة إلا إذا ضمنت أنه يجمع كل الجزئيات الموجودة والجزئيات المستعمدة ؛ لأن للشرع من البشر إن شرع تعيناً فإنما يشرع لآلس من واقع حال يراه وقد تعدت أحوال بعد ذلك لم تكن فى ياله ، فيضطر الشرع جيداً أن يقول : حيا نمثل هذه الجزئية ، نمثل معنى أننا فائتاً شيء وزيد أن نستمره اليوم . إذن .. فلابد للشرع الذى نفسن أنك تفقد أزميره أن تتق فى أنه القادر وحده على إسمارك وتلبية كل احتياجاتك ، وتفق أنه المعلم المحبر بكل أمورالك لا يهرب عنه شيء من سريرتك كما هو علم بهلايتك ؛ ولذلك يقال : نحن نقاد له القياقأ أصمى ، بهى : لا نفتح فى الأحكام ، تقول له : لا ، بل اقتياد بصير ؛ لأننى أتمد المحكم فى نطاق كمالات المحاكم به ؛ وإن فوينا لى تقليدا أصمى ، بل تقليد بصير ، بدقة البصير . ولذلك سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه حينما كان يحدث بشيء بهجته به خصوم الإسلام ، كما قالوا له : صاحبك يدعى أنه ذهب إلى بيت المقدس وخرج به إلى النساء ، فنادوا قال ؟ مل ، فالتقى القضية فى ذاتها ، ومل هذه يقلها العقل أو لا يقلها ؟ هم قد تافهوها بالعقل ، قالوا : أصمى ، أنك أتيها فى ليلة ونحن نضرب إليها أكيد الإبل شهراً ؟ أخذوا بالحساب للادى : مشوار ومسافة وسرعة ١١

معنى ذلك : أنك ترفض وسوسته وغوايته ، وإذا رفضت وسوسته وغوايته فأنتك ترجمه بسبع حصيات ، والسبع كان هو العدد النهائي ضد الحرب ، على ما حورت به هادتهم .

فالمثل سبحانه وتعالى يعطينا في هذه المسألة الفكر الأولى في أي الأتياء إبراهيم . وقد كان قبل إبراهيم أيضا أنبياء وكانوا يمحرون ، ولكن لم يكن لهم من الإبلات ما كان لإبراهيم ، وإبراهيم هو الذي ظهر في الصورة الإيجابية في مسائل المصيح .

فهر الوحيد الذي ابتلى في ذبح ابنه ، ولو ابتلى بأن يحورت ابنه ، فهذا جاكز ، وهو قدر الله له وصوره ، وإن كان سيحرون لموت ابنه الوحيد . هذه واحدة .

أو لا يحورت حكما ، بل يقتل ، يقتله عدو له . هذه الثانية . وهي أئند الإلما من الأولى .

إذن .. يحورت هذا الإلام ، يقتله غيره الإلام وفجعة ، أن الموت في ذاته معصية ، ولما قتله قاتل فيها فجعة ومعصية أئند .

لأن في هذه الحالة أكون قد تقدمه ، وعشت جرة لتقدم لي قتله ، فيكون قد أئبتني طول حياتي .

أما إذا كنت أنت الذي سقتله فتلك أئند وأئسي من الأولى والثانية .

إذن .. فالأول : موت ، والثاني : قتل من الغير ، والثالث : أن تقتله أنت . الرابعة : إنه ليس يورسي ، بل برزوة منامية ، بالأي مراتب التكليف ، فالرؤية المنامية كان من الممكن أن تقول إلى سلم أو كلما أو كلما .

ولهذا قال الله تعالى : ﴿ كَذِبَ أَتَقَرُّ إِبْرِيحِيمَ بَنِي يُحْيِيكَ فَانْقُصْ مَا لَكَ إِلَى جِهَدِكَ إِنَّا نَسِئُ إِنَّمَا ﴾ [البقرة : ٢١٤] .

إذن .. وإبراهيم قمة إبلات ، وبخصوصا إنه ابتلى في الولد لبنيته ، فقال له : ﴿ إِنَّكَ أَتَقَرُّ إِلَى اللَّهِ أَتَقَرُّ ﴾ [صافات : ٢١٠] .

فيما يأتي الشيطان يقول : ما الحكمة في أن يحمل الولد تعيش في الآم أنك سقتله فقلبي صدمه كرمحتك . ما لم لنفسه ولهم أنك أنت الذي سقتله ، وتعيشه فرة طرية في كراميتك وكرامية النمل وكذا وكذا .

فهذه الأراس من أية لأنه يصبه ، وأبوره هو الذي يأتي له بالطعام ويأتي له بالشراب ، ولا يشك في شيء له ، ولا في أنه يريد نعمه ، فيأخذ الأراس ويمس كما أبوره أبوره ، وبعد ذلك في آخر السنة يمشي بملء اللسان وللة التفريق ، فيكون قد شفر بالحكمة بعد أن نمل ، فإذا كان هذا في أمعنا لله اللع الأعلى ، فلا بد أن نأخذ الأحكام قبل حكمتها . وكذلك حين نمل على الأحكام القمعية ، التي قلنا عليها تنبيه لأن الله حكم بها ، وقد يقف فيها العقل وقبلها لأينا آما بالله ، فيكون جزاؤها المنفرة .

فإذا ما قمنا لرحم . تقول للشيطان أنت وسوست وأغريت بأشياء حتى نصير صملا مملك ، ولكن الله استعينا بالرضي ، استعينا بالمنفرة ، وما دمت أنت هاديتنا أولا في أيما آدم عليه السلام ، ثم هاديتنا في نفوسنا بالوسوسة ، فحين نناديك الآن ، ورمز العماء الملقى هذا أنا زحمتك بهذه الحجارة فلا تقول أنت إن هذه صلية حجة ، فإن الشيطان نفسه سيدخل بهذه العملية إلى نفسك مرة أخرى ، فيقول لك : ما هذا الذي تقدمه تأتي بعض المصفي وزحمتي ، فهل المصير يمشي الشيطان ١٢ بل هذا صحت . فهو أيضا يريد في هذه العملية التي تقوم بها ثارا مه وانتقاما يريد أن يدخل فيها . فأت عندما يورسي لك بذلك تقول له : وهذه صملا أخرى دليل على أنك رفضت وسوسته حتى في هذه ، لأنه يريد أن يورسي لك في هذه العملية .

وقد روى عن بعض المارفين أن الشيطان تصور له على أنه مصي بخدمه وظل بخدمه مدة طويلة ، ثم خرج لصلاة المغرب وكانت السماء مغطاة والأرض رجلة وهذا المصي الذي هو الشيطان مستعلا به بخدمه يحمل له الفانوس ، والولد يقوم ويقع ويقوم ويقع في العطين والرجل ، فالتاس الذين رأوا هذا قالوا : هذا الرجل الكبير كيف يملأ هذا الولد الصغير ويخرجه معه في هذا الليل لمطر والرجل ، وهذا الولد لا يقدر ، وكما وكما . فينظر إليهم الرجل بكل بساطة ويقول لهم : دعوه يمشي أشقاه الله ١١

فكان الله كاف في نفسه أن الشيطان أتى يشاغبه ويمسك له هذا المصم ١١ إذن .. فالشيطان لا يأس من أي جزية يدخل فيها ، ولذلك اعلم أنه سوف يأتلك أيضا في جزية الرمي بالحجارة ويقف لك فيها . فسمعا تقول له : والله لا رحمتك ظنية ؟

﴿ قَالُوا أَتَأْتِيهِمْ بَرْقٌ بَعِيدٌ ﴾ ١٢٣ وَتَقْتُلُهُمْ بِنُورٍ مُبِينٍ ١٢٤ كَذَلِكَ جَاءَ الْفِتْنَى ١٢٥ وَتُفْصَلُ الْغُيُوبُ ١٢٦ وَرَمَا حَمَّ صُدُوقُ الرُّؤْيَا فَفَنِيَ الْفُجُورُ ١٢٧ وَتَجْرَى الْحَيَاتُ كَالْفُضَاءِ ١٢٨ وَرُفِعَ الْقَضَاءُ بِأَنَّكَ لَا تَنْتَهَى ١٢٩ بَلْ تَأْتِي لَهُ بَعْدُهُ وَتَقْدِرُهُ ١٣٠ رُبَّمَا قَطُّ قَضَاءٌ ١٣١ بَلْ مَعَ الْعَذَابِ نَبِيرٌ ١٣٢ فَلَمَّا آتَتْهُ

إِذْنٌ ١٣٣ فَانْصَبْ يَتِيلٌ عَلَى أَزْوَاجِ الْمُنَى الْغَيْبَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ لَهَا حِكْمَةٌ فِيمَا تَقَعُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ ١٣٤ وَكَلِمَا كَانَ الْمَكْرَمُ أَمَدٌ حِينَ تَصُورُ الْمَلَأَ ١٣٥ كَلِمَا كَانَ الْإِيمَانُ أَوْعَلَ فِي الصُّلُوحِ ١٣٦

وكلما كانت المسألة لا يعقلها العقل أبداً فيكون المسلم دليلاً على أن اليقين أقوى من الحكمة . الذين يهتمون من المطلق عن أشياء حرمها المطلق مثلاً قديماً ، ثم يهتمون فيها لما ظهر لها من أسباب أو من وسائل ضارة بالنفس البشرية . فهم جهلوا إلى ذلك لأن الله حرم أم جهلوا إليها لأن المسائل الكونية أبرزت ضررها ١

فأنت حين استعنت ، حل استعنت انصباحاً لمن أسر بها أو لا ، أو انصباحاً للضرر الذي أضره ، واقفاً في الكون الذي فيه ٢

إذن .. فالذي يهتم من شرب الخمر لأن له آثاراً ضارة في الكبد وكذا وكذا ، والتحليل توضح له ذلك ، فبهذا لم يهتم لأمر الله ، بل امتنع للضرر الذي لحقه أو أضره من هذه العملية .

والذي يهتم من طعم الخمر ، ويتعطر حتى تحبب التحليل الأشياء العذرة في أكله ، يقول له : لا ، هذا لا يصلح .

إذن .. فالعرق بين تكليف المطلق وتكليف المطلق : أن تكليف المطلق للمطلق لابد أن تظهر حكمته . أما تكليف المطلق سبحانه فوهم به ورضى به ثم من بعد ذلك تأتى حكمته تعلمها أو لا تعلمها الأمر في ذلك سواء ، فالقائمة أن الله تعالى قال ، وما علينا إلا أن نقول سمعنا وأطعنا .

ولذلك كل قانون يُعدل قانوناً فإنه يقول : نظراً لأنه حدثت كبت وكبت وكبت رأينا أن نضع في القانون كذا أو كذا فهو يقتضي :  
لأننا جاء بهما الأمر الملبى المتعارف للقانون ؟

تقول : لا ، إبراهيم حلمي ، إبراهيم أرواب ، إبراهيم متيب ، لا يفعل هذا من أجل هذا بل يفعل هذا حتى يستقبل إسماعيل هذا على أنه محكم من الله ورضى به فبأخذ ثواب الرضى على الحكم .

كأنه يريد أن يدخر له شيئا بدليل قوله : ﴿ فَاتَّخَذَ تَاكَا رَقِيقًا ﴾ يريد أن يجعله شريكاً له في الإجماع ، فمادام كان رد إسماعيل على أبيه ؟

﴿ قَالِ يَا بَنِي إِسْمَاعِيلَ اسْمِعُوا لِقَوْلِ اللَّهِ وَرُحْمَ اللَّهِ تَسْمَعُونَ ﴾ : ليس : أقبل ما تريد ، لأن إرادتك ليست مطلقة ، إنما الإرادة المطلقة للذي يملك وهو الله تعالى ، ومعنى : ﴿ أَتَقْبَلُ مَا تُؤْتِيكَ ﴾ : إن هناك أمراً إلهياً بهذا الفعل ، ولهذا قال إسماعيل لأبيه عليهما السلام : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ كُنْتُ اللَّهُ مِنَّا فَتَقْبِلُ مِنَّا ﴾ وهذا تسليم مطلق من الأب ومن الابن ، ولذلك أسند المسلم لهما ١

لأن هذه عملية تتفاعل منه ومن ابنه ، قال تعالى : ﴿ قَالُوا أَتَأْتِيهِمْ بَرْقٌ بَعِيدٌ ﴾ ١٢٣ وَتَقْتُلُهُمْ بِنُورٍ مُبِينٍ ١٢٤ كَذَلِكَ جَاءَ الْفِتْنَى ١٢٥ وَتُفْصَلُ الْغُيُوبُ ١٢٦ وَرَمَا حَمَّ صُدُوقُ الرُّؤْيَا فَفَنِيَ الْفُجُورُ ١٢٧ وَتَجْرَى الْحَيَاتُ كَالْفُضَاءِ ١٢٨ وَرُفِعَ الْقَضَاءُ بِأَنَّكَ لَا تَنْتَهَى ١٢٩ بَلْ تَأْتِي لَهُ بَعْدُهُ وَتَقْدِرُهُ ١٣٠ رُبَّمَا قَطُّ قَضَاءٌ ١٣١ بَلْ مَعَ الْعَذَابِ نَبِيرٌ ١٣٢ فَلَمَّا آتَتْهُ

إِذْنٌ ١٣٣ فَانْصَبْ يَتِيلٌ عَلَى أَزْوَاجِ الْمُنَى الْغَيْبَةِ الَّتِي لَا يَعْلَمُ لَهَا حِكْمَةٌ فِيمَا تَقَعُ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ ١٣٤ وَكَلِمَا كَانَ الْمَكْرَمُ أَمَدٌ حِينَ تَصُورُ الْمَلَأَ ١٣٥ كَلِمَا كَانَ الْإِيمَانُ أَوْعَلَ فِي الصُّلُوحِ ١٣٦

وكلما كانت المسألة لا يعقلها العقل أبداً فيكون المسلم دليلاً على أن اليقين أقوى من الحكمة . الذين يهتمون من المطلق عن أشياء حرمها المطلق مثلاً قديماً ، ثم يهتمون فيها لما ظهر لها من أسباب أو من وسائل ضارة بالنفس البشرية . فهم جهلوا إلى ذلك لأن الله حرم أم جهلوا إليها لأن المسائل الكونية أبرزت ضررها ١

فأنت حين استعنت ، حل استعنت انصباحاً لمن أسر بها أو لا ، أو انصباحاً للضرر الذي أضره ، واقفاً في الكون الذي فيه ٢

إذن .. فالذي يهتم من شرب الخمر لأن له آثاراً ضارة في الكبد وكذا وكذا ، والتحليل توضح له ذلك ، فبهذا لم يهتم لأمر الله ، بل امتنع للضرر الذي لحقه أو أضره من هذه العملية .

فمثلا والله الملك الأعلى هات صيغة تعرض على المهندس الذى صنعها خمس مرات كل يوم . فهذه هي صيغة عظمى ؟ لا هي صيغة عظمى .

كذلك أنت ذهبت إلى خالفك ووقت أمامه تسأله حاجتك ، وتستعين به ، وتطلب منه المغير والمناجاة ، والرشاد والصلاح . وهو سبحانه يستمع إليك ، مع أنه يعلم قبل أن تسأل ماذا ستسأل ، ولكنه يحب أن تسأله ، وتطلب منه ، فيجيبك إما حالاً وإما أن يغير الإجابة لك . ولما كنت تعلم وتؤمن أن الله تعالى غيب فما حاجتك به غيب . وأما العليبي فهو مشاهد لك ؛ يعنى : مادي ، فمد يهائجك به فهو مادي .

لكل حين وقت بين يدي خالفك شمرت بالراحة . ولذلك فإن من يألف الصلاة ، قبل الصلاة يقول لك : حيا عجل لنا بالدخول في الصلاة : و أرحنا بها <sup>(١)</sup> . كأن التيرة بين الصلوات حدثت فيها متاعب : متاعب بشرية ، قلق نفسي . إذن .. نكلم إقبال على الله إقبال على تكليفه ، فلا بد أن توجد حافضة لممارسة هذه التكليف .

كل ما يمكن أن يمارض هذه التكليف تقول له : لا ، فالإله الذى أمر بها حكيم . كلها تجمت في المسح ، عمليات عقلية ، يقول الناس قد تقف فيها ، الطوائف ، وتقبل الحجر ، والرحم ، وكذا وكذا .

فإنك أن تقف فيها ، لأن المسألة مسألة انضباطية ، انضباطية بما لا تعلم عليها . والحكمة في الانضباط للأولاد : تعزيز النفس البشرية أن تضبط الآخر الأعلى سبحانه وتعالى إنك أن تفكر أنه يريد أن يضبطك أنت وحلك ، فهو قد ضبط الملايين من آمن به منك ، وضبطهم لصالحك ، فكللك يضبطك أنت لصالحهم .

(١) رواه أبو داود [٤٤٨٥] عن سالم بن أبي الجهم رضى الله تعالى عنه وقطعة : و قال رجل : قال مسرورة عن خرواعه : لعني صليت فاسترحمت فكأنهم علوا عليه ذلك فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : و يا ملائكة أقم الصلاة أرحنا بها .

والطريق في التمسك الكبير [٢٧٧٧/٦] من عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : و أرحنا بها يا ملائكة الصلاة . وقال الحنفية في الجمع [٢٤٥/١] : وفيه أبو حمزة القملي وهو ضعيف رضى الله عنه .  
ورواه أحمد [٢٧٧/٥] مسنداً رضى عنه أبو حمزة .

جاء به ليرد كونه كان ولا بد أن يوجد إلا أنه غالب أولاً عن التشريع الأول ؛ لأنه ليس عنده علم استيعاب الأحداث ، بل العلم يحد له . وهذا دليل على نقص القدرة البشرية في إدراك حقائق الأشياء .

إذن .. فحقيقة التعامل تشهد بجهل الذى شرع أولاً بالقضية التى من أجلها شرع ثانياً أو عدل القانون ثانياً .

.

لكن الأمر من الأعلى : كل يوم ترداد يقينا ، وبعد أثر ذلك في نفسك .

ولذلك في قانون الناس ترداد تقصا فيما شرع ، وأما في قانون الحق سبحانه ترداد حكمه فيما شرع .

فإذا ما ظهرت لك حكمة في أمر من الأمور الغيبية التى كان يقف فيها العقل ، فإظهارها فيما بعد جعل غيرى الذى لم يكن مرمياً سوى بقولها هو دليل على أنى أزداد يقينا وتصديقا لكل شيء يقف عقل فيه إذا كان من الشرع .

ولذلك الإلمام على رضى الله تعالى عنه عندما تكلم على المسح على الخف ، قال : لو أن المسألة بالعقل لكان المسح على باطن القدم أولى من ظاهره .

إذن .. فالمسألة ليست لنظافة ولا كفا ، بل هي إصداق النفس للإقبال على إله توحيدك

و أن تجل عليه بنية الإقبال .

فأنت إذا ما ذهبت لترجم لشيطان ، فحى قصدك للمدخل التى يدخل عليك فيها فحة عقيدة في رجم الأكبر ، أو فرغ عقيدة في رجم الأصغر وتسلها سبع مرات ، كل ذلك أمر حسي ، هذا الأمر الحسي مناسب لأنك حسي ، فأنت مادي ، فلا بد أن تكون الأمر مجادية منك .

فالإنسان مثلا حينما تعرض بلصم إلى الطبيب ، والطبيب يأخذ منه أشياء مادية ويحلقها ، ويأخذ منه دما أو فضلات أو غيره ويحلق ، وبعد ذلك يعطيه عقاقير مادية ويكررها التكررين للادى ، لو بأتى من الصبيلة بالدماء الخاص بهذا المرض ، كلها ماديات ، فإن أصاب تأخذ للدماء قفراً .

أفكار الإنسان المادية في الحياة أعمى من الأفكار للادية فالله سبحانه وتعالى من فضله وكرمه أنه يستلحي جملة الزمن كل يوم خمس مرات ليشف أمامه .

تكون .. كمن يقول لك : فلان وعندي بكلمة وكلمة . فنقول له : وعلم هذا مقبول !!  
 أعتقد أنه سيسأل لك كلمة وكلمة ١٢ هل هذا كلام يصدق ؟ ثم يقول لك : هذا فلان  
 قد روى ، يعني : ألي بالشيء الذي كنت أنت غير مصور أنه يسمه : ﴿ وَتَرْجِيهِمْ أَكْبَرُ ﴾  
 وَكَيْفَ .

فهذه هي القصة لإبراهيم ورفي فيها . فحجبه الله سبحانه وتعالى الجراء الأروفي فيقول  
 له : ﴿ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۚ فَذَكِّرْ ۚ وَلَقَدْ فَتَنَّا إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِلنَّاسِ  
 اعْبُدُوا إِلَهِي بَالِغِي أَوْرَاعِ الْأَجَلَاءِ وَالْقُوَّةِ أَحْسَنَ الْأَدَاءِ ، فَمَا دَامَ اللَّهُ جَعَلَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلَا يَدُ  
 أَنْ أَعْمَالَهُ فَتَهَرَّبْنَا نَحْنُ ، وَذَلِكَ بِإِحْيَاءِ هَذَا الشَّكْلِ .

إذن .. فحين تقوم بهذا التسك من رحم الشيطان وكلمة وكلمة إحياء لذكرى إبراهيم  
 واتصاه على الشيطان ، وتعليقنا لنا نحن أنَّ الشيطان إذا ما حاول أن يوسوس لنا  
 أو يغيرنا نقول له : لا ، لأن إبراهيم علمنا أن نعمل كلمة ، وإبليس أكثر من إهلاجهما ، ومع  
 ذلك ردة الشيطان هذا الرد .

فإذا نحن صلتنا بكون لنا أسورة في الأكرمين من رضى الله ، وإلا فقلنا نحن نسعى  
 الآن ، فهاجر كانت تسمى لطلب الله ، أنت تسمى الآن لتحيى هذه الذكرى ، وذكرى  
 امرأة تركها زوجها ومعهما وليدنا وليس لها من أسباب الحياة شيء في ولد غير ذرى زرع  
 حتى الماء الذي هو القوم الثاني من مقومات الحياة لم يكن عندهم ، ومع ذلك رضيت  
 وقالت : الله تعالى لا يهينهما ، فلذلك أني أنت هذه الذكرى فيها ، وشأننا نغودجا لك  
 لتظل مسألة السعي في الأسباب منذمة على أنك لا تقعد . فقد علمت أن السماء  
 لا تحلر ذميا ولا قصبة .

○○○

وكأنه سبحانه يقول : أنا لم أكلف شغلا ، فترادى : من الخلق كله أن يكون جهازا  
 متحسنا ، جهازا متساندا ، ليس به تعاند . فإذا كانتك بأمر يراك أن تفهم أني أريد أن  
 أضيق حركتك أو حرية اختيارك ، لا ، وإنما أنا أريد أن أضيق لك حرية الاختيار  
 للآخرين في ألا يضروك ، وما دامت المسألة مستود عليك ، فلا بد أن لا تنظر إلى ما أخذ  
 منك ؟ ولكن انظر إلى ما أخذته أنت .

ولقد ضربنا مثلا قتلنا : التي مثلا احتمال أن يحزن عندما نطلب به الركا :  
 و ٥٠٪ ، يمكن تشق عليه ، وتشرح نفسه وكلمة وكلمة .

فنقول له : لندفها لأنك أنت ابن أخبار من الممكن أن تعصف ، ومن الممكن أن تنفر ،  
 فإذا كنت أنت شغلي وأنت قادر فسمعيت وأنت هاجر .

فلا بد أن تلحظ ماذا يعطيك التكليف قبل أن تلحظ ما يأخذ منك التكليف .

فمنما تفيد التكليفات بقالب ، فاعلم أن هذه التفيديات لعلنا أنت لأنه لم يند  
 تعالى ؛ لأن غيرك قد ، وما دلم غيرك قد من فاعيتك ، وأنت تفيد من فاعيتك ، ففيدة  
 الناس جميعا أقل من تفيدك لهم .

إذن .. فالتمدة في المسح بعدما نروح ورحم ، فنقول : سبحانه الله ، إبراهيم على  
 نبيا وعليه الصلاة والسلام ونروض لمسألة فمة ، فكان ولا بد أن يحل ، فإذا جاءته الرزيا  
 بأنه بديع ابنه هل يركه للشيطان في قضية كيدية ؟ بالطبع لا .. إن الشيطان يفرح جدا  
 ويقول : هذه مسألة مناسبة للدخل منها له : ما أقسى هذا الأمر ، فانت الذي تدبج  
 ابنك ١٢ إذا كان ولا بد فغيرك يفتله ، لا حاجة في أن تفتله أنت ، كيف وعلمنا الابن لم  
 يأت إلا بعد الكبر الشديد ١٢

إذن .. فهذه المسألة ما كان الشيطان أن يركها ، ولذلك كان إذا رده إبراهيم يمارده  
 ثانية ، وإن رده عارده أخرى ، وهكذا يظل الشيطان يلح في الوسوسة ، وإبراهيم عليه  
 السلام يرحمه .

فحين نحس هذا التسك في إبراهيم ، وذلك أولا لفكره ، وثانيا تملينا لنا نحن ،  
 فنقول : اللطاف انتهى بإبراهيم إلى غير ، لماذا ؟ ذلك لأن الله لا يبطل إبراهيم بكلمات  
 وأتم الكلمات ورأىما ﴿ وَتَرْجِيهِمْ أَكْبَرُ ﴾ وَكَيْفَ ؟ رهم : ٢٧ يعني قلنا له على أشياء قد





## مكان ذبيح الهدى

اختلف العلماء في مكان الذبيح : هل ذبيح في منى ؟ أو ذبيح في مكة ؟ أقول من تفسير الله تعالى أن منى كلها منحر ، ومكة كلها منحر ، فإذا ذبحت في منى فلا شيء عليك ، وإذا ذبحت في مكة فلا شيء عليك ، لا يزيد تصوير المسائل على أنها مسائل خلافية <sup>(١)</sup>.

والآلة عند المسلمين أن الجهد حين يجهد ويؤديه اجتهاده إلى رأى ، نجد من يصعب لهذا رأى ويقول : إن هذا رأى هو الصواب والباقي كله خطأ ، فنقول له : لا ، فماذا كنت المسألة ليس فيها نص محكم ، وترك الله فيها مجال الاجتهاد ، فأدب كما تأدب أئمة الفقه ، فكان الواحد منهم يقول مثلاً : رأى صواب بحل الخطأ ورأى غيرى خطأ بحل الصواب .

والنص سبحانه وتعالى جعل على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يثبت هذه القنومات : فكان يقول لمن يسأله : « أفعل ولا حرج » <sup>(٢)</sup>.

فلا تنل إن الذبيح لا يطلع إلا هنا ، بل قل : أنا رأى أن الذبيح يذبح هنا . ولكن لا تمنعك الرأى الآخر ، لأنه لا أيضاً دليل ، فالنص صلى الله عليه وسلم أعطانا مسألة إطلاقات الاجتهادات الفقهية مع الصور ، والقاعدة الفقهية تقول : لا اجتهاد مع النص .

إذن النص المحكم يوقف كل واحد عند حده .

أما النص الذى لا يريده الله على وجه واحد بل يريده على أى وجه ، فيترك سبحانه للاجتهادات وفق احتياجات الأمة ورائها ومتطلبات هذا الواقع .

فأنت من أدراك أن تحرم من ذهب إلى حلا الرأى ، وهذا اسمه التمايش الاجتهادى ، ومعنى التمايش الاجتهادى أى : يعطى أيضاً فى إطلار واحد ، لم يخرج ، وماذا لم نخرج فإننا يعطى الأصل الأصل الذى ليس فيه اجتهاد ، وبعد ذلك فأنه سبحانه

(١) قال الإمام على القارى : يجوز ذبيح جميع الهدايا فى أرض الحرم بالاتفاق إلا أن من أئمتنا لى الله الحج ، ومكة لأئمتنا للمرة ، والأفضل أن يكون بالردة .

(٢) سبق خبره .

وتعالى أرسم بعباده من أن يجعل كل احكامه مصبوبة فى قالب جديد ، لأن الإنسان نفسه الذى نزلت عليه هذه التكاليفات انصت كذا ولا تقل كذا ، لو نظرت إلى توكيده تجد أن توكيده متعلق مع الأحكام التى نزلت عليه . تكون الإنسان فيه أقوال لا علاقة له بها وهى تجري عليه دون رأى من ولا اختيار ، قدر نزل عليه ، كل الحركات التى تحدث فى جسم الإنسان ليس له فيها اختيار ، كيف أتيت ؟ كيف تكون الحركة اللودية للأعضاء ؟ كيف يضخ القلب الدم ؟ كيف يسير الدم فى الشهورات ؟ كيف تفرز الكلى ؟ لا أعرف أى شيء من هذا ، فإذا مرضت فيخرج لإدائى ، إذن .. فوجد أمور تقع على الإنسان بدون اختيار منه .

فهنا جل الحكم الذى لا مجال لك فيه ، اسمه قنومات . وبعد ذلك فهناك أشياء اختيارية : أكل هذه ، لا أكل هذه ، ألبس هذا ، لا ألبس هذا ، أصاحب هذا ، أترى هذا ، أشياء اختيارية .

فكذلك الأحكام ، كما أن الإنسان الذى نزلت عليه الأحكام مضبوط بعينين اثنين : مضابط لا تصرف له فيه ، ومقابلته فى الحكم ما لا تصرف له فيه إلا بالنص ، والثانى : خاضع للاختيار ، عندما يأتيت أمد فيقول لك أنا أكل سمكاً ، فلا تقول له لماذا تأكل السمك ؟ وأنت يقول لك أكل سمكاً : هذا أكل سمكاً مسلوفاً ، وهذا أكل سمكاً مشرباً ، وهذا أكل سمكاً روفلاً ، فهذه مسألة داخلية فى نطاق حريته . مادام لا يوجد فيها نص . فمثلاً : نحن إذا نظرنا إلى إنسان ، يصبح فى الصباح ولا يظفر ، فلا إزام عليه بأن يظفر ، فهذه هو خبز فيها ، وأنت يقول لك : أنا عندما أسقيط من النوم لابد أن أسطر ، ولابد أن أسطر كذا وكذا . فهو خبز . فلا الذى فطر حجة على الذين لا يظفرون ، ولا الذين لا يظفرون حجة على الذين أسفروا ، فكل خبز فى اختياره .

لكن عندما يقول لك فى يوم الفطر . لا بد أن تفطر . فهذا أنا أنشأ خبزاً ، فهذا خبزكم ملوم <sup>(١)</sup> .

(١) روى ابن ماجة [١٧٢١] من أنى سيد المصطفى صلى الله عليه وسلم ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن صوم يوم الفطر ، ويوم الأضحي .

وعنده [١٧٢٦] من أنى سيد رضى الله تعالى عنه قال : شهدت الهدى مع صبر بن الخطاب .

قريظة : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، يستعد من هذا أن المسألة ليست بالمقل ، بل المسألة مسألة إيمان ، لأنهم بعد انتهاء هذه الحرب المبهكة ، وهذه لندة الطريفة ، وهذا الصب الشديد ، ولم يكادوا يستريحون ، فهل بعد كل ذلك تقول لكم : قوموا وقاتلوا ؟! مسألة ليست عقلية . فائسي عزاما لشيء نرفق العقل ، فقال : و من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، هكذا قال رينا ، اذهبوا لأدبرهم ولا يصلح العصر إلا في بني قريظة . وبنى قريظة هم الذين أعلنوا مشركي قريش . فساداه قال : و من كان يؤمن بالله ، إذن فالمسألة ليس فيها اختيار ، أمر إلهي لازم .

وهم في الطريق إلى بني قريظة أدر كهم وبت صلاة العصر فذكروا أن الرسول صلى الله عليه وسلم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة » فظفر بعض الصحابة إلى الشمس فوجدوها تتحدو لمسيب ، إذن فالعصر وقت قد انتهى فقاتلوا : لا بد أن نصلي العصر ، وجماعة قالوا : النبي صلى الله عليه وسلم قال : « فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة » ، ولم يصليوا العصر حتى وصلوا بني قريظة . اختلفوا : ناس صلوا في الوقت ، وناس لم يصليوا إلا في المكان الذي جاء في ظاهر الحديث . ورجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فساما كان موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ؟ أتر هذا دون هذا ، أم هذا دون هذا ؟ أتر الاثنين . احرأنا الاجتهاد . ونكرة الاجتهاد ، ودليل الترجيح في الاجتهاد ، ونحن الآن نعرضها تقصيرا أوسع . حتى يعقلها العقل تقول كما قلنا فيما سبق : إن كل حدث يحتاج إلى زمان وإلى مكان فإذن اجتمع الطرقتان فيها ونعمت ، وإن وجد ظرف دون ظرف ، فالذي يرجح ظرفا على ظرف لا نخطئه ، فهو قد أخذ شئ ظرف والآخر أخذ شئ ظرف ؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم أقر من صلى العصر قبل أن يذهب إلى بني قريظة ، وأقر من صلى العصر بعد أن وصل بني قريظة . إذن فقد أقر الاثنين ، فقد أقر صلى الله عليه وسلم اجتهادهم ؛ لأن صاحب الاجتهاد الأول الذي قال : لا بد أن يصلي العصر لأن الشمس سحبت ، ولأن صاحب الاجتهاد الثاني ، فالشمس متسبب وظرف الزمان يستثنى ، وصاحب الاجتهاد الثاني الذي نظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة »

ولذلك فعندما يؤذن لصلاة الفجر يطلع النهار ، النهار الذي نَحْمُ نَحْمَتِ عَنْ أَيْ شَرْبٍ أَوْ أَيْ سَلِيمٍ فِيهِ ، نَحْمُ مِنْ يَوْمٍ لَكَ : خُذْ أَيْ شَيْءَ نَكَلَةٍ . انْظُرْ هَذَا عِبَادَةَ عِبَادَةِ مَأْمُورٍ بِهَا : لَا يَدُ أَنْ تَنْظُرَ ، وَهَذَا الصَّوْمُ تَصَوُّمٌ حَتَّى لِلْغَرِيبِ ، فَتَحْمَدُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ لَكَ : أَمَا لَنْ أَنْظُرَ الْآنَ ، فَأَنَا سَأَقْطُرُ بَعْدَ الْمَشَاءِ ، فَقَوْلُهُ : لَا ، الْإِنْصِبَاطُ أَنْتَ كَمَا أَمْسَكْتَ مِنَ الْمَطَامِ وَالشَّرَابِ بِكَلِمَةٍ ، أَنْظُرْ بِكَلِمَةٍ ، فَخُذْ خَيْرَ رَيْبِكَ وَلَوْ بِحَرَّةِ مَاءٍ . فَتَكُونُ قَدْ تَرَمَّتْ أَدَبُ الْإِتْرَامِ أَمْرًا وَنَهْيًا . وَبَعْدَ ذَلِكَ تَتَأَمَّلُ عِلَامَاتِكَ فِي أَيْ وَقْتٍ شِئْتَ أَنْ تَتَأَمَّلَ الْعِلَامَاتِ خَيْرَ الْإِنْظَارِ ..

امكلم الله بقرنها كل واحد يأخذ منها بحسب ميراثه ، ما دام الله لم ينس عليها  
مراعاة .

وَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرٌ حَسَنٌ ، فَجِئْنَا نَهَى مِنْ غُرُورِ  
الْأَحْرَابِ وَكَانَ الْيَهُودُ قَدْ أَصَابُوا مَشْرُكَى فَرِيضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
وَبِأَعْدُوهُمْ ، وَلَا مَسْخَرُ اللَّهِ لِلرَّيْحِ وَمَسْخَرُ الْأَشْيَاءِ : ﴿ وَنَا يَنْتَازِجُونَ بَيْنَكَ إِلَى آثَمِهِ ﴾  
[ المائدة : ٣١ ] وَانْتَهَتْ الْمَرْكَةُ ، وَفَرِيضَ رَحِمَتْ ، وَالْيَهُودُ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَرَادَ اللَّهُ

وَمَعْلُومٌ أَنَّ فِي غُرُوزِ الْأَحْرَابِ ابْنِي الْأَحْرَابِ أَجْلَاءَ شَدِيدًا ؛ قَالَ تَعَالَى : ﴿ خَالِكٌ أَبْنَى النَّفْعِ مِنْكَ وَكَزِيرًا ذِكْرًا سَدِيدًا ۝ وَكَذَلِكَ يَقُولُ الْمُتَّقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۝ ﴾ [الأحزاب : ١٠] .

بعد كل هذا المصائب ، الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم بأمر فخره بنى قريظة ، حيث قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن أرسلهم الى بنى قريظة : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله تعالى به بدأ بالصلاة قبل الخطبة ، أما يوم النطر فيوم فخركم من صلحكم ، من صام مائة يوم من رمضان ، أو يوم النطر يوم الأضحية ، أو يوم النطر فيوم فخركم من صلحكم ، يوم الأضحية فأكبر من يوم النطر ، ومن صلحها الأضحية .

إذن .. فالمخالفات التي تنشأ في الحج ينبغي أن تكون مقبولة على هذا المعنى لأن ما دام ليس فيها نفي محكم ، فلا بد أن نحرم وجهة نظر الجتهاد ، لأن معنى مجتهد : هو الذي يبتل الجتهاد في استنباط الحكم من دليله . وما دام كذلك فإنه له مقومات الاجتهاد .

الإمام الشافعي رضوان الله تعالى عليه قبل قدومه مصر كان له مذهب ، وبمضا جاءه مصر رجع المصحفة التي تركها عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ، وفيه أسانيد لم يكتبها أبو هريرة رضي الله تعالى عنه ، وكان الإمام يعرف قول أبي هريرة رضي الله تعالى عنه القائل فيه : إن عبد الله ابن عمرو بن العاص كان يكتب وأنا لا أكيب ، فلما جاء إلى مصر ورجع هذه المصحفة ، ووجد فيها أسانيد لم يكن سمعها من قبل ذلك ، فبدأ يغير في بعض الأحكام التي كان اجتهد فيها وفقا لسمعه ورآه من حديث عبد الله بن عمرو ، ولذلك طبع في كتبه ورسائل الشافعية ، وللشافعي في المديد والمديد بيتي المذهب الذي انتهى إليه حينما جاء إلى مصر ووجد أسانيد لم يكن قد اطلع عليها قبل ذلك .

فالأشياء التي استغفرت فيها مثلا : الميت يحيى ؟ هل هو سنة أم واجب ، الظروف يبرزدقة ؟ بنية الميت أم يتقدر وضع الرجال ، المطلق أولا أم ظروف الإقامة ، المطلق أولى أم التقصير ؟ كل هذه مسائل فيها اجتهاد من العلماء ، وفي بعضها قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفضل ولا حرج » .

لكن الذين همسكون بشيء ينظرون إلى ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع . يقولون : النبي فعل كذا .

یہی دیکھی ، وسموہ بن سنان ، وخرابی بن اسود ، غسلاوی حتی قزوہ فی شعبہ بن حارثہ ، وخرابوا علیہ لیلۃ فقتلوا ، ورسعوا الی رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، وکلہم ابدی عقیقہ ، قتال : د آرزیہ سہیکم ؟ قلما لروہ الامما ، کلن نسف حبہ اللہ ابن اقیس : د هذا الذی عطف قری بہ فخر اللہام ہ .

27 - 28/1/77

وقد تعبدوا للرسل ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره برحيل القوم ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رآه الله عدوًّا بينة ، لم يبقوا غيرها ، وكنهه الله قائلهم ، فصدقهم ، وأمر جهده ، ونصر جهده ، وخرج الأعرابي وحده ، فدخل المدينة ووضعه السلاح ، إن جاءه جهول عليه السلام ، وهو يتصل في بيت أم سلمة ، فقال : أوتيتكم السلاح ، إن اتاكم منكم لم تفتح بعد أسلحتي ، أتيتكم إلى غزوة هؤلاء ، يعني بني قريظة ، فتأذى رسول الله بالاحتكاك لم تفتح بعد أسلحتي ، ومن كان سامعا عليهما ، فلا يفتن العصر إلا في بني قريظة (١) ، فخرج المسلمون براءاً وكان من أمره وأمره بني قريظة ما قمته ، واستند يوم الحندق ولما فرقة نمر عشرة من المسلمين وكان أبو رافع عن أبي الأعرابي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يبق مع بني قريظة كما قتل صديقه يحيى بن أخطب ، ودعيت الجرح في قلة مسبوكة للأعرابي في قتل كعب بن الأشرف ، وكان الله سبحانه وتعالى قد جعل علي بن أبي طالب يحوّلان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحركات ، فاستأفوه في قلة ، فلما لم ، فالتصّب له رجال كلهم من بني سلمة ، وهم عبد الله بن عتيك ، وهو أسير القوم ، وحيد الله بن أبيس ، وأبو قتادة ، فطردت

(٢) رَدُّكَ الْيَهُودِيَّ [١٩] وَلِلْمَسَلَةِ ، وَرَسُولُ [١٧٧٠/٢٩] مِنْ بَيْنِ عَمْرِ قَاتِلَ : قَاتِلَ النَّاسِ حَتَّى  
 اللَّهُ عَلَيْهِ رِسَالٌ يَوْمَ الْأَحْزَابِ : هـ لا يَصِلَانِ أَحَدُكُمَا الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَيْنِ قَرِيظَةٍ ، فَأَذْرَكَ بَعْضُهُمُ  
 الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَعْمَلِي حَتَّى تَأْتِيَاهَا ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ يَسْمَعِي لَمْ يَرِدْ مَتَا  
 ذَلِكَ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّاسِ حَتَّى اللَّهُ عَلَيْهِ رِسَالٌ ، ثُمَّ يَهْتَفُ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، وَهَلَّا لَقِظَ الْيَهُودِيَّ ،  
 وَرَأَى الْقَاطِعَ سَلَمًا مِنْ تَحْتِ الطَّرِيقِ وَرَقَّ عَيْبُ : فَاتَى زَيْدًا وَرَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْعَصْرِ  
 مِنَ الْأَحْزَابِ لَا يَهْتَفِي أَحَدٌ لِلنَّاسِ إِلَّا فِي بَيْنِ قَرِيظَةٍ ، فَخُذِرَفَ نَاسِي فَوَاتِ الْوَقْتُ فَصَلُّوا دُونَ بَيْنِ  
 قَرِيظَةٍ ، وَقَالَ آخِرُونَ : لَا تَعْمَلِي إِلَّا حَيْثُ أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْ تَأْتِيَا الْوَقْتُ ،  
 قَالِ : مَا صَافَ وَاحِدًا مِنَ الْقَرِيظَةِ ، وَفِي هَذَا الْبَحْثِ مِنْ الْقِتَّةِ أَنَّهُ لَا يَهْتَفِي عَلَى مَنْ أَحَدٌ بِظُلَمِ  
 حَدِيثِ أَزْ يَدُ ، وَلَا عَلَى مَنْ لَسْتُ بِمَنْ يَخْصُمُهُ .

قال المصنف في الفتح ١٧٤/٤ : وقع في جميع الفسخ عند البخاري : و الفسخ و رزق في جميع الفسخ عند مسلم : و الفسخ مع اتفاق البخاري و مسلم على روايته عن شيخ واحد و مسلم واحد و قد رزق مسلماً أبو يعلى و أنس و روث ، و كذلك أخرجه ابن سعد عن أبي حنبل مالك بن إسماعيل عن جريرة بن بائط : و الفسخ و لكن حبان أبي حنبل كذلك ، ولم أذكر من رواية جريرة عن أبي بائط : و الفسخ ، غير أن أبا نعيم في المستخرج أخرجه عن طريق أبي حنبل عن جريرة فقال : و الفسخ ، و رأيت أصحاب المذنبين لافقروا حتى أبا الفسخ .

## الخلق والتقصير

وإذا ما أتينا إلى مسألة الخلق أو التقصير ، فالتى عليه الصلاة والسلام يصر فيها كثيرا فكان صلى الله عليه وسلم كلما شغل عن شيء من ذلك قال : « العمل ولا حرج »<sup>(١)</sup> .

وفى هذا تفسير كثير على الناس .

هذه التيسيرات كانت ولابد أن تكون ضرورية ؛ لأذا لو أمسكها على رأى واحد يفتق الزمان ويفتق المكان ، وتصورها إذا كان الإقبال على الخلق فى ازدياد وتكاثر كما هو مشاهد الآن . والإنسان فى غير أيام الخلق عندما يذهب إلى هناك فإنه يجد زحاما فى المصائب وبعد زحاما فى النسي ؛ لأن الناس قد كثروا وأقبالهم على أداء فريضة الخلق الآن كبير لأنهم لم يجدوا الأمن النفسى والطمأنينة القلبية إلا فى جوار بيت

○○○

(١) روى أحمد فى مسند [٣٧٥/١] عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال : رضى رسول

الله صلى الله عليه وسلم بهمة قتال هذا الموقف ، وعرفة كلها موقف ، وأفانى حين غابت الشمس ، ثم لودف أسمة فجعل يبتلع على يديه والناس يشربون بيضا ويشمالا بفتت إتهم ويقول : « السكينة أبها الناس ، ثم أبى جعما فعلى بهم الصلاة : للترب والمشاء ، ثم بات

حتى أصبح ، ثم أبى فرح فوقف على فرح قتال هذا الموقف ، وجميع كلها موقف ، ثم سار حتى أبى محمدا فوقف عليه ففرح بالله ففتحت حتى جاز الزاوى ، ثم حسبا ، ثم لودف للفضل ورسا حتى أبى الجيرة فربما ثم أبى للتحر فقال : هذا التحر رضى كلها مدبر .

قال : واستغته جارية شابة من حشم قتالت : إن أبى شيخ كبير وقد أهدى ترك فريضة الله فى الخلق فهل يجرى عنه أن أؤدى عنه ؟ قال : نعم ، فأدى عن أبيك . قال : وقد لوى صق الفضل فقال له ليليس : يا رسول الله ، لم يوتى عن ابن صلت ؟ قال : رأيت شابا وشابة للم آمن الشيطان عليهما .

قال : ثم جابه رجل فقال : يا رسول الله ، حلفت قبل أن أخرج ، قال : أخرج ولا حرج . ثم أراه آخر فقال : يا رسول الله إبنى ألفت قبل أن أخلق . قال : اخلق أو قصر ولا حرج ، ثم أبى البيت فقال : يا ، ثم أبى زبرم فقال : يا بنى عبد المطلب سقناكم ولولا أن يهلكم الناس عليها ليرتت بها . وقال الأثرود : إسنده حسن . ورواه الترمذى [٢٨٨٥] وابن خزيمة [٢٨٣٧] .

والذى صلى الله عليه وسلم لابد أنه فعل كل شيء على وجه واحد ، ثم بين وشرح لجميع الأمة ما به يتقبل الله حججهم ؛ فمن التزم فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ نفسه بالبرية فى كل موطن من مواضع الخلق فهو فى القعة ، ولكن من لم يستطيع وعامة القماتى والرضى وأصحاب الأعداء والنساء والثقاتين على خدمة الخلق كل هؤلاء وغيرهم خاصة فيما فاصطه اليوم من الزحام وكثرة الخلق يوجب علينا أن نأخذ بالرخصة التى أعطانا لنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، والأخذ بهتجاهات العلماء شريطة ألا يكون ذلك مؤثرا فى صحة الخلق وقبوله .

○○○

## طواف الإفاضة

إذا ما انتهينا من ذكر الله تعالى عند المشعر الحرام وتم الدفع من المزدلفة إلى متى للرحم ، ورحم جيرة النقية الأولى - الجيرة الكبيرة - بمجرد الانتهاء من الرحم بالسبع حصيات تكون قد قربنا من أدء نسك الحج ، بقي فقط أن تطوف طواف الإفاضة ، فالوقوف بعرفة وطواف الإفاضة هما : الركبان الأساسيان للحج اللذان لا يستقلان أبداً وما عدا ذلك يمكن أن يحجر بهم ، ولا يفسد الحج ، بل يظل الحج إذا ما فديت أي : قدمت دماً تجبر به المخطئ أو التقصير - على خلاف في المذهب - هذه سنة ، وصلنا راجح ، وهذا كذا ، ولكنها كبر تغير بهم . فالركبان الأساسيان اللذان لا يستقلان ولا يحيران : طواف الإفاضة ، والوقوف بعرفة .

والرسول عليه الصلاة والسلام حينما قال : « الحج عرفة »<sup>(١)</sup> لماذا لم يقل ذلك من طواف الإفاضة وهي أيضاً ركن أساسي من أركان الحج ؟

نعم هي ركن أساسي فعلاً ، إنما فُرق بين المشعر الذي يحكم فيه طواف واحد من طواف الأحداث ، ونحن نعلمه كذا قلنا سابقاً إن كل حدث من الأحداث ، أي : كل فعل من الأعمال له طرفان اثنين ، يعني شيء يقع فيه ، إما زماناً وإما مكاناً ؛ فمثلاً : أكل فلان : متى أكل ؟ هذا الزمان ، وأين ؟ هذا المكان .

فكل حدث يُفعل لابد له من زمان ، ولابد له من مكان .

فإذا نظرت إلى أحد الزمانين تكون قد أخذت طوافاً حول طواف ، وإذا أخذت الطوافين الاثنين تكون قد أخذت مقومات الحدث .

طواف الإفاضة ليس له وقت محدد ، لك بعد أن ترمي الجمرة أن تتول تطوف ، أو تنظر بعدما تنتهي من أعمال منى كلها ثم تذهب للطواف .

إذن .. هو محدد فعلاً ، ولكن لا يحدد زماناً ، يحدد مكاناً فقط . تطوف حول البيت ، ولكن متى ؟ يحجر بعد أن ترمي الجمرة فذهب للطواف ، ويحظر أن توجل هذا كله ثم تذهب للطواف الإفاضة .

(١) جزء من حديث رواه الترمذي [٨٨٩] وابن ماجه [٣٠١٥] وصححه الألباني .

## الحكمة من الحلق والتقصير

بعد ذلك عندما نأتي إلى حكمة إزام الحلق أو التقصير ، فأتيت قبل إزامك قمت بتعطيف نفسك من الشعر المداخلي - المائدة والإبط - وكذا وكذا ؛ لأنك عرضة لنبار وعرضة لأقلر ، وستمكن مدة طويلاً بهذه المائدة ، فلا بد أن تكون نظيفاً ولا شيء يمشك .

وبعد ذلك بقي الشعر الذي كثيراً يتحرون به في الماضي ويضعون عليه الدهن ويرجلوه ، فيقول له : الآن احلقه فيحلق الشعر ؛ لأن هذا الشعر قد يكون شهد معصية من معاصي الإنسان ، فأتينا لربد أن الشعر الذي يبت ؛ يثبت على طهارة وبطانة أو هو سمة للالتزام .

○○○

ونحن مثلاً أمرنا أن نستلم الحجر ، فهل نراحم ؟ المراجعة تقطع معنى وعدم الإبقاء على معنى . ونحن نريدك أن تراحم ، يعنى : تحاول أن تصل إلى الحجر ، لأن الرحام : رغبة في أداء نيتك العقل توقف فيه ، مع تحرير نفسه وتقبله ؟

فكبريت تراحم دليل على إيمانك اليقيني بأن هذا حكم من الله ورسوله . وكبريت لا تتوفى ، فهذا موضوع آخر . فالرحام مطلوب ولكن بدون إبقاء . وكذلك هرول وأرسل ، ولكن بدون إبقاء ، أما الاصطباح فليس فيه إبقاء .

والذى يُعصَّب في مسائل المتاسك : عدم توظيف قضايا الدين كلها . لأن واحدا مثلاً يطوف ، يريد أن يطوف في الحاجة العتيقة - يعنى قريباً من الكعبة ، فهذا يريد هنا ، وهذا يريد هنا - لكن لو كل واحد ذهب وانتهى حيث ينتهى به ، لو لم يقدم على غيره وبتركه يخشى بسكينة ويشى بوقار ، ويحلى من أمامه ، فلا أحد يصطلم بأحد ، ولا أحد يحق مع أحد .

إذن .. فعدم الرعي بالتكاليف وأداء التكليف هو الذى يُعصَّب المصحيح . فالقوى سبحانه وتعالى يريد أن يسر علينا الأشياء ، فالذى يدخل الكعبة وقد طاف طواف الركن ، فيكفيه هذا ولا حاجة للرحام ، بل دمع غيرك يطوف الركن ، ورسول أنت . إنا كست لا نقدر على الصلاة ولا على الطواف ، فاقدم انظر إلى الكعبة ، لأن الذى صلى الله عليه وسلم قال : « إن ربا يتزل في الكعبة مائة وعشرين رحمة ، ستين منها للمؤمنين وأربعين للمسلمين ، وعشرين للنافرين » .

إذن .. عشرين رحمة للمؤمنين فقط ينظر إلى الكعبة ، ولذلك فانظر إلى الكعبة واستحضِر أى مكبر من مكبرات حياتك ، يعنى تعدى عوامل نفسك إنك عندما تكون خارج الكعبة تفكر وتقول : البواب يا ترى ما حالهم ؟ الأرض يا ترى رويت أم لا ؟ يا ترى كذا ، يا ترى كذا ، يا ترى الأولاد تنازعوا مع بعض أم لا ؟ تنقل في تفكير وهم وشغل بالك ، ثم حزن نفسك وانذهب إلى الكعبة ، ولا أقول لك طف بها ، ولا أقول لك صل ، ولكن قف وانظر إليها فقط ، حيثما لن تجد في بالك شيئاً عما كان يُزعجك . للرجة أن الواحد منا يقول : ما الذى كان يعجزني ، ما الذى كان يعيقني ؟ تبحث عن الشيء الذى كان يعبك ويعجزك فلا تجده بمجرد النظر .

والاصطباح كما قلنا هو : أن يكف كفاً ، والهرولة : أن تسرع بين الميادين الأخضرين ، وفي الثلاث الأشرطة الأولى من الطواف ، طواف الإفاضة بالخصوص ، يعنى أن هذا غير مطلوب في طواف القوم ولا في طواف الوداع ، ولكن في طواف الإفاضة ، لأنها حصلت في طواف الإفاضة .

فالذى عليه الصلاة والسلام قال قوله للشهيرة لمصاحبه بعدما بلغه ما بلغه قال ما فاتنى عليه الصلاة والسلام قال قوله لنفسه قوة ؟<sup>(١)</sup>

معناه : « رحم الله أمراً أراهم من نفسه قوة » . وكان حكمة الاصطباح أن يريهم أن الجسم ما زال قوياً وسليماً ، فهذا هو الكف

وما هي الماكيب ، وكونه يعجزى يدل على أن فيه قوة ورحمة . والميلان الأخضران كانا في معنى الشارع ، لأن أصل هذا المعنى كان سوقاً ، والطريق المؤدى إلى الشارع . فكانوا يمشون ليروا المسلمين وهم يمشون بين الصفا والبرة ، فلما كان المسلمون يحاذونهم يحاذونهم ، وهذا دليل على أن عندهم نشاط

وعندهم قوة . وكذلك في الطواف ، لما حدث هذا ورأهم في المعنى وفى الطواف ورأوا قوتهم ورحمة أبياتهم وجبرهم . فقالوا : إن هذا الكلام الذى وصلنا كذب ، فأحدث هذا العمل بليلة في صفوف المشركين .

وقد يحدث أن تطوف طواف الإفاضة ومالك من يطوف طواف الوداع ، أو يطوف تطوعاً ، ويكون زحماً ، فإذا أردت أن تزل ، فغير عليك ذلك ، فلا تزل إلا إذا وجدت فجوة تسرع من خلالها . لكن في الرحام فلا تزل .

وجدت فجوة تسرع من خلالها . لكن في الرحام فلا تزل .

(١) روى ابن ماجه ٢٢٩٥٣٢ من ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه حين أوفدوا دجيل مكة في صوته بعد الحظية : إن قومكم غداً سوزنكم تلا بوزنكم جناً ، لما دخلوا المسجد استلموا الركن ، ودبوا ولفى صلى الله عليه وسلم معهم ، حتى إذا دبوا الركن اليسرى دبوا إلى الركن الأسود ثم دبوا حتى دبوا الركن اليماني ، ثم مشوا إلى الركن الأسود ، فقبل ذلك ثلاث مرات ثم مشى الأربع . وسمعه الألبانى . وأُخذ في المسند ١/٤١٩ وقال الأرنؤوط : إسناده قوى على شرط مسلم ، رجاله ثقات رجال الشيخين غير ابن خنيم لمن رجال مسلم .

## التوكيد في رمي الجمرات

العلماء جنما استقبلوا نسككين : نسك رمي الجمرات ، ونسك البيت في منى ، منهم من قال : رمي الجمار واجب وإن تركه بغير يدم ، ووليت يعني إن كان سنة فلا شيء ، وإن كان واجبا بغير يدم .

نحن قلنا : على المختارين لتبينهم أن يأخذوا على أسمن الاحتمالات ، وأضمن الاحتمالات أن يكون واجبا ، فإن لم أقصر على القيام به أفديه يدم .

وإن كانت هناك تفسيرات كثيرة : التي يأخذ بعض الوقت من الليل في منى يكون قد بات ؛ لكن لاحظ أيضا في هذه أن الناس لها تجاوزات كثيرة في منى .

هذه التجاوزات في أنه أي واحد يقول لك : زحمة لا أذهب للرمي وأصعب توكيلا لواحد يرجع نهاية منى !!

صحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص للنساء والعبيان ، وأصحاب المصالح النافذة للمصالح كالزكاة والسقاة و... إلى آخر ما هو موضح في كتب الفقه . ولكن هل التوكيد مباشرة هكذا ، يقول لك إنه وكل للرحم ، أنه لا يستطيع . تقول له : لا ، الرحم لا يثبت برباك أنه يوجد زحمة ، بل يثبت بأن تذهب وتبصر عليك ، لا توكل ثم تذهب إلى الحال التجارية والأسواق وتتجرى الهدايا وما لا وطلب ؛ وكذلك ليست في حج بل في تركة بالأسواق ، وعلى كل حال أن يحتال لديه ، ويعلم أن الآخر على قدر القدرة .

○○○

إذن .. لله سبحانه وتعالى سر في هذه البنية ، ولذلك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ريب الكعبة »<sup>(١)</sup> ، كان هذه الكعبة لا يعلم سرها إلا من خلقها ومن كونها ، ما فاعمل في النفس ؟ لا نستطيع أن نعرف ما الذي تعلمه ، إنما المهم أننا كنا نجتمع نحن وأخوتنا ، وأهلنا ليسوا معنا ، وعصا لح في مصر ، ونكثت نسمة أشهر بعشرين عن الأهل ، كنا نجلس ونستحضر همونا ، ثم بعد ذلك تقول : حيا بنا تطوف فندخل تطوف ، فأول ما ندخل إلى الكعبة وننظر لها نستعمل استعمال اليقين على أن النظر إلى هذه الكعبة جادة<sup>(٢)</sup> . فربما جعل للعائف شيئا ، وللمعلى شيئا ، ولناظر شيئا ؛ ولذلك أتت عندما تذهب تجد أننا قطع جاسين بطرون إلى الكعبة . راقب الجالس أمام الكعبة تجد نظره لا يحوّل إلى شيء غير الكعبة . لو لم يكن فيه شيء يهذب بصره لا يستطيع أن يتطلع منه نفسه ، لكان من يشي هناك بلغت حكما أو هكذا ، لكن لا يعمل ذلك أبدا .

إذن .. قلله سبحانه وتعالى أسرار ؛ هذه الأسرار قد لا نعرف الحكمة منها أولا ، ولكن بأمر الدين بها أولا لنعرف آثارها في تفصيل آخرها .

بعد طوافك للإفاضة يكون قد تم لك التحلل الأكبر ، فإن كان معك أملاك ، حل لك الجحاح ، ورتبت المسألة .

○○○

(١) ورد هذا اللفظ في أصح الحديث وغيره .

(٢) روى السيوطي في المجمع الصغير [٢٩٦٦] بزواه للبيهقي في مسند الترمذي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه قال : خمس من العبادة : مكة للعلم ، والتمرد في المساجد ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر في المصحف ، والنظر إلى ربه المقيم . وقال الألباني : ضعيف جدا . وفي رواية له [٢٩٧١] ولم يذكر المصحف للزوي عنه الحديث : خمس من العبادة : للنظر إلى المصحف ، والنظر إلى الكعبة ، والنظر إلى الرابن ، والنظر في زبرم ربي تحط أعطاني ، والنظر في ربه المقيم . وزواه للموطأ والسنن . وضعه الألباني .



مثلا : المالكية وبعض فقهاء الأحناف قالوا : إنه سنة . وما دام سنة فإن لم تؤده فلا شيء عليك ، إن أنيئه تنائب ، وإن لم تؤده فلا تناقب .

لكن غيرهم و أحمد والشافعي قالوا : إن حله واجب ، فما الترف بين الفرض وبين الواحد ؟

الفرض ثابت بدليل قطعي لا شبهة فيه . الواجب ثبت بدليل ظني ، وحله هو الذي يترق بين الفرض والواجب و الأحناف .

لكن غير الأحناف منهم الفرض محل الواجب .

أيضا كما قلنا سابقا في علاقات المصاه في هذه المسائل ، علينا أن نحاط ، وإذا لم نطغ طرف الوداع نعمل دما اسمه دم قضاء طرف الوداع .

وعليا أن نتبه بعد و طرف الوداع و : ألا تبقى في مكة لشري المهدايا وتذو على الغلات بل علينا أن نتأمر ، وإن يكون آخر عهدنا بمكة طرف الوداع .

○○○

#### منى مكان ومكين

يقول ابن أحد الناس : منى لا أجد فيها مكانا ، لودحت الحيام ، وكذا وكذا وكذا . فذهب بيئا قليلا عن منى .

يقول له : أيضا نحن سأنخذ بالقياس ، إن منى ظلت تودهم ، وتودهم حتى ذهبت فلم نجد مكانا ، كما لا نجد في العملاء مكانا إلا في الشارع . فإن كان مكانا فمكون أيضا منى ولو امتدت إلى مصناه ، كما قلنا في المسجد ولو امتد إلى مصناه .

وهنا حينما تقضى أيام منى يستوى الفرد ، ويستوى المشتع ، ويستوى القارن ، وأن المشتع أنقى قمعه قبل الحج وقبل الإفاضة وقبل عرفة .

وقلنا إن حديه مجرد ما يستمتع بالعمرة إلى الحج بالحج ، حتى إن بعضهم قال : ينبغيها في المكان الذي يتعدى فيه الاستمتاع ، وهي البررة . لكن البررة الآن أصبحت

أماكن لا يصبح الذبيح فيها ، وتغربها إلى منبج ، وأصبح لكل شيء مكان مخصص . فلا تقول له : بمجرد ما تستمتع عند البررة وانتهت من كذا وكذا فاذبح عند البررة ،

ولكن تقول له : اذهب فاذبح في ساحر مكة أو ساحر منى .

والقارن أيضا سيعمل هذه الأعمال كلها ، ولكن سيكون أيضا قد انتهى من عمرته وظل محرما ، لكن المشتع طلع إحرامه بعد العمرة لم أحرم إحراما جديدا من بينة للحج والقارن يظل بإحرامه بعد عمرته حتى يؤدي الحج بإحرام واحد .

بعد ذلك حين تنهى حملك الحج ، ويؤدي الحاج مفادرة مكة ، عليه أن يطوف

و طرف الوداع ، وهذا أمر ضروري لأنك جئت لتزور البيت وحججت وكذا وكذا ، وزيد أن تنهى عنه ، فلا بد أن يكون آخر عملك في هذا المكان هو صلتك بالمكان الذي

جئت من أجله إليه .

ولا يسقط هذا الطواف و طرف الوداع ، إلا في حالات مستتة ، كان تحيض المرأة ، فلا تقول لها : انتظري حتى تطوف طرف الوداع ، لكن إن كان في طرف الإفاضة تقول لها : انتظري حتى تطوفي ، إلا أن يملك لركب فذهبى بدنة ، ولها أحكامها .

طواف الوداع أيضا اعطى فيه المصاه ، حل هو سنة أم لفرض ؟



## اجتهاد .. وليس خلافا

المسلماء حينما يختلفون لا شك أن لكل واحد ملحوظ في الماط تخريبيا وتفتيتيا  
وواقعيا ، كل واحد له ذلك ، ليس خلافا هكذا بدون أصول .

نهم اختلافوا في العمرة - مثلا التي نحن نقول : إما أن تؤدى عمرة متتابع ، أو عمرة  
قارن - فيضعهم قال : لا ، العمرة ليست واجبة ، ولا فرضا ، بل هي سنة . لكن جمهوره  
الفتهاء على غير ذلك .

وكان من رأي أن يجمع المسلماء لتصفية هذه الأقوال ويواجهون كل واحد ودليله ،  
حتى يجمع الأمة في ركن مهم كهذا الركن على شيء واحد ، أما أن يقول أحدهم :  
سنة ، وآخر يقول : واجب ، وآخر يقول : فرض .

ومن أجل ذلك أقول : ما معنى كلمة : الحج ؟ ، ومعنى كلمة : عمرة ؟  
والحج ؟ في اللغة : التعمد . تعمدا أي شيء ، بشرط أن يكون شيئا عظيما . لا  
تقول : حججت إلى الحلاق لأحلق . لا ، يمكن : حججت إلى الشيخ أو المعلم لأتلمذ  
منه ، حججت إلى القاضي لأرفع إليه ظلائي . لا لئلا أن يكون القصد إلى شيء عظيم  
لا شيئا حقيرا أو هينا ، فلا تقول : حججت للمسلمي لأشترى طمعية . لا . لا بد أن  
تخرج إلى عظيم .

إذن .. : حججت ؟ : قصدت عظيما .

وفي الشرع لا يوجد أعظم في الكون من بيت الله ليحج إليه ، وإذا أطلقت كلمة ه  
الحج ؟ في الشرع انصرفت إلى حج بيت الله قال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ عَلَى النَّاسِ حَجُّ  
الْبَيْتِ ﴾ وآل عمران : ٩٧ ولكن هل جعل الله تعالى للحج زمنا أم أطلقه ؟ بالطبع  
حدد له زمنا ، قال تعالى : ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ رَزَقَ مِنْهُمْ لَحْمًا فَلَا  
زَمَنَ وَلَا ضُرُوكَ وَلَا حِمْلًا فِي الْحَجِّ ﴾ والمزة : (١١٧) .

وإذا كما زيد أن نستطيع أحكاما فلا بد أن نجد في طلب كل الآيات للعرضة  
للمعرضة ، ونضع الآيات مع بعضها حتى لا نأخذ حكما من آية ونترك آية أخرى .

واحدة لما أصبحوا الصبح ، إما يقول : رؤوسكم و فتكون لكل الرأس . فإن كان يريد  
البعض ولو شرة يقول : و أصبحوا بعض رؤوسكم . وإن كان يريد تحديد مساحة  
يقول ربح ، أو ثلث ، أو نصف . ولكنه لم يقل هذا ولم يقل هذا ، وإنما قال :  
﴿ وَاتَّسَعُوا فِي رُؤُوسِكُمْ ﴾ و ه الباء ، تشمل في كل هذا ، الاستعانة ، الإصصاق ،  
للبيضة .

إذن .. النص ليس صريحا في أنه يريد حكما محددا ، فالتجهيد بأخذ هذا وأخذ هذا ،  
ولذلك للذي يحاط بقول : أمسحها كلها وتخرج من الخلاف ؟ لأنك إن مسحها  
كلها دخل البعض ، ودخل الربيع ، وتخرجت بكل الاحتمالات .

ولذلك يقول البعض من السنة : أن قسمها كلها .  
لكن الثاني يقول : ولو بعض ، فآخذ الباء للبيضة .

والإمام أبو حنيفة يقول : لا المسح يقتضي آلة ماسحة ، والآلة الماسحة هي اليد ،  
وليد التي يتأثر بها الأصصال هي البيضة ، فلي الأقل قنبر للمسح .

إذن .. في أصصال الحج عندما ترى اجتهادات متعددة في أدبياء ، فلا تقل تضارب  
أحكام ، بل قل هي تيسيرات واجتهادات .

○○○

## حكاية نقل مقام إبراهيم

ما ضاق المطاف بالطائفين وكثر العائنون في الخمسينات ، أراد أولوا الأمر أن ينقلوا مقام إبراهيم من مكانه هذا إلى خلف المعصرة ، حتى يتسع المطاف للطائفين ؛ لأن مقام إبراهيم لم يكن مقتصرا على الحجر الذي قام عليه إبراهيم ، هذا الحجر الصغير ، بل كان حوله بنية ضخمة ، وعليه قنطرة وله أعمدة وسقف ، وكانت مساحته كبيرة ، فكان حائزا لمساحة كبيرة من المطاف ، الأمر الذي يورق الطائفين ، وبالفعل بنى للمقام ، وأخذ في زينة ، وقرر أن الملك سعود رحمة الله تعالى عليه سيبنى ليقل الحجر في المقام الجديد ، ومكان المقام القديم يكون حائزا للمطاف .

أثر هذا رايين لأود رحمة الله هو الذي كان قائما على الصارّة في المسجد ، وأخبره المقام ، وكما يوم السبت ، ويوم الثلاثاء سيبنى الملك سعود ليقل الحجر من المقام الموجود فيه الآن إلى المقام الجديد ، فكيفت بوقية إلى القائمين على الأمر ، هذه البرقية تبلغ من طولها أنها كلفت في هذا الوقت حوالي ثمانين ريالاً ؛ لأنها بوقية طويلة وفيها أن هذا عمل لا يصح ، وأن الدليل على ذلك كذا وكذا وكذا ...

فصدر الأمر إلى ابن لادن بإيقاف العمل في المقام الجديد ، إلى أن يت بواسطة العلماء في أمر هذه البرقية ، وجرى الله الشيخ عبد العزيز بن حسن إمام الحرم - في ذلك الوقت - فهو الذي كان مقررا للجنة ببحث البرقية والتأكد من صحة ما جاء بها ، وغرقت المسألة ، ووجد أن كلام البرقية كلام صحيح ، فجهزهم الله خيرا على الحق ، والتعصب له ، فرفعوا الأمر إلى القائمين على الأمر فصدر الأمر إلى ابن لادن بأن يهدم المقام الجديد ، وأن يعقل المقام مكانه .

لكن بعد هدوء هذه القضية ؛ قلنا : إنا كما زهد أن توسع على المطاف للطائفين فلا داعي للتأنيد للقائمة حول المقام ؛ لأن الحجر صغير فلا داعي لهذه البنية الضخمة والتبدد والأعمدة التي تشغل حيّزا من المطاف ، ويمكن أن فصل تأخرنا من الرجوع على قبر الحجر ، ثم يوضع الحجر بهادله ، فلا يأخذ من المكان قبر رجلين ، كما هو الآن .

الطبع ١٦٥

أنه أمر ، لكن الأمر هنا جاء للإباحة ، ليس منناه أننا كلنا نوجب علينا أن نتخذ من مقام إبراهيم مصلى ؛ من استطاع أن يفعل به غير أن يؤذى الناس أو أن يهمل مسار الطواف فليقل ، ولا فني أي مكان من المسجد يهمل ، والإيضاح أن الأمر ليس فرضا يجب على الحاج أو الزائر فعله في هذا المكان تقول : معلوم أن مقام إبراهيم بين الكعبة وبين بعض المسلمين ، فكانوا يحزرون أن يصلوا خلف المقام ؛ لأنه يحجزهم عن الكعبة ، أي : كانوا يتلادون المقام ولا يصلون وراءه ؛ لأنهم يقولون المقام بيني وبين الكعبة ولا أحد قال إنك عندما تتجه إلى الكعبة يجب أن تكون خالصا للحوار إلى الكعبة ، المرض أحد عوارضا أمملك ، أو جدلا ، هذا لا يحجزك عن الكعبة ، المهم أن الناس كانت تحجز أن تصلي في مقام إبراهيم ؛ لأنه كان يحجزها عن الكعبة ، فقلل رفع المخرج وقال : هو وأخذا بن مقابر إبراهيم <sup>سئل</sup> فقال : أن تصلي ولا مانع أن يكون المقام حائزا بينك وبين الكعبة .

الناس تودحهم على الصلاة في هذا المكان ، وخاصة في ركعتي الطواف لأهم كانوا يترأون : و ثم يأتي إلى مقام إبراهيم فحصل ركعتي سنة الطواف . فكل واحد يريد أن يصلي في هذا المكان .

○○○

الطبع ١٦٤

لخصه عمر رضى الله تعالى عنه على أن يوضع مقام إبراهيم في المكان الذى وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما دليل على أن وضعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان توفيق بعض الرسل له .

ومادم أصبح توفيقيا ، بدليل أن عمر رضى الله تعالى عنه قال : ناشدكم الله أيكم يعرف موضع الحجر في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز تغير مكانه . كان هناك حل آخر غير أن تقلل الحجر والساقطة ونصل له ناقوسا ، وهو بناء دور ثان للطائفتين والماكينتين والركيع السجود . وهو ما مضى إليه أولوا الأمر في بلاد الحرمين جراحهم الله خيرا ، فهناك شيء يجب ألا يغيب عن المؤمنين : أن كل منسك أو مكان عبادة يأخذ جوه حكمه ، بدليل أنه إذا خافق الناس بالساهون في الحج ، حصلوا مكانا للنسك في الدور الثاني ، ويستعملون مكانا للنسك في الدور الثالث ، وكلما زاد سعيهم دورا أعلى .

إذن .. فنعنى ذلك أن النسك في الدور الثاني هو بيته النسك في الدور الأول ، لأن جو المكان يأخذ حكمه ، جو المسجد يكون مسجدا ، جو الحرم يكون حرمًا ، جو النسك يكون مسعى ، جو الكعبة يكون كعبة ، الحجر نفسه ، ولا فالذى يعطى على سطح المسجد الحرام إلى أى شيء ، توجه ؟ إذا كانت الكعبة مستواها أسفل من مستواه ؟ فهو يتوجه إلى جو الكعبة ؟

إذن .. فالكعبة ليست فقط المباني بل هي المكان ، وهذا الجنى مكث في المكان . الناس الذين كانوا يصلون تحت الكعبة ، أو في أماكن متفرقة المستوى عنها إلى ماذا يصلون ؟ كانوا يصلون إلى جنى الكعبة .

إذن .. فلا بد أن يأخذ الحجر جذرها من تحت الأرض إلى السماء فهذه كلها كعبة . بدليل أنه قول وجود طيارين مسلمين ، كانوا يمتنون أن يطير طيار غير مسلم في جو الكعبة ، قالوا : لأنه ملهم حرمًا وقد قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ لَا تَكْفُرُوا بِالْكِتَابِ الْأَكْبَرِ إِنَّكُمْ عَلَيْكُمْ حَكِيمٌ ﴾ ، انتهى : ٢٨ ، فأينما لا يقرءوا الحجر .

إذن ... فهو المكان يعطى حكمه . لأن كما زيد توسيع اللطاف فيكفى أن تصل أعمدة ونصل عليها الحجر ، ولكن هذا سيصبح الناس من رؤية اللطاف . فكان الحل الأجل الذى عليه الآن .

وفي هذا فائدة أخرى وهو أن المقام بدل كونه محجورا بالمباني والأشياء التى حوله ولا أحد يراه ، أصبح المقام ظاهرا يراه كل الناس ، لأن الله تعالى قال : ﴿ هُوَ يُبَيِّنُ كَلِمَاتِهِ وَيُتَبَيَّنُ بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فدعوا الناس تراه .

رشاء الله سبحانه وتعالى أن يتم الأمر على النحو الذى هو عليه الآن . وانتهت المسألة بأن وسع اللطاف وبقي المقام في مكانه .

أما المسألة في أن المقام لابد أن يظل مكانه : كانت حجة بعض العلماء إنها تزيد توسيع اللطاف وهذا يعمل زحاما لإزدحام الناس على الصلاة عنده ، ومبانيه كثيرة ، ويكون عرق زجاجة عنده ... إلى آخره ، كلام وجه .

واضحوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تقل المقام من حوض الكعبة - لأنه كان ملتصقا بالكعبة فتقله - إلى مكانه هنا ، فكرون النسك تقله معناه أن المقام ليس تبديلا بل يحجز تقله .

نحن قلنا : لا .. صحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم نقله ، لكن الرسول له أن ينسخ تشريع رسول آخر ، ولكن ليس لأنواع الرسول أن يعملوا ذلك ، بدليل أن هناك ميلا اسمه سول أم نهشل ، جاء سول أم نهشل فيقرو دفعه إلى مقام إبراهيم في المسألة ، فرجع الأمر إلى أمير المؤمنين حينئذ سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وهو في المدينة ، فجاء مفزعا ، فلما حضر إلى مكة ، وعابن حضر إلى مكة ، فرأه عمر رضى الله تعالى عنه أن عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام لبناء الكعبة في المسألة ، فأراد عمر رضى الله تعالى عنه أن يرضه ، فقال : ناشدكم الله يا أصحاب رسول الله أيكم يعرف موقع الحجر في زمن الرسول ؟ قال رجل : أنا يا أمير المؤمنين ، كنت أعددت لهذا الأمر عدته ، وكنت بين الحجر الأسود والمقام وبين المطم والمقام يتماثلن - يعنى : يحول - يعنى : قاس من هنا ومن هنا فحينئذ يلقى المبلان يكون هو موضع الحجر ، انظروا إلى نقطة سيدنا عمر رضى الله تعالى عنه ، نور الله تعالى بصيرته ، فقال : إن كنت صليفا فبما تقول فأجلس معي هنا وأرسل إلى بيتك من يأتى بهذه الجبال ، وفعلًا جلس معه الرجل ، خشي عمر رضى الله تعالى عنه أن يذهب الرجل ليعمل هذا العمل من جديد ، فقال له ذلك . وفعلًا جاء الرسول بالجليلين ، وقاسوا المسافتين ، فمروا موقع الحجر .





والثاني التالي : يحى تغير القصد بالعمل ، وهل هو لك وحده لا شريك له ، أم لك وغيره ؟  
وهذه هي النية التي يتكلم فيها البارون في كتبهم على الإخلاص وتواضعه وهي التي توجد كثيرا في كلام السلف القديسين .  
وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا مصنفًا مسه : ه كتب الإخلاص والنية ه ، وثالثا أراد هذه النية وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي صلى الله عليه وآله وآثاره بالعبادة والإرادة ، وثلاثة بالعبادته مقارب للملك ، وقد جاء ذكرها كثيرا في كتب الله عز وجل بشر لفظة النية أيضا من الألفاظ المتأخرة لها .  
وثالثا يوق من يوق بين النية والإرادة والقصد ويوضحها ، فليتهم : اختصاص نية بالشيء الأول الذي يذكره القديس . فليتهم من قال : النية تختص بمل التاوي والإرادة لا تختص بذلك ، كما يريد الإرسال من الله لأن يغير له ولا يبري ذلك .  
جامع العلوم والمكمل 1 ص : ١٩-٢١ .

مقدمة في ذلك قبل الفصل ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : الأعمال بالنيات ه ، فهذا يأتي على كل أمر من الأمور .  
وقال للشيخ ابن زباد : سألت أبا عبد الله ، يعني أحمد من نية في العمل ، قلت : كيف نية ؟ قال : يخرج نفسه ، إما أراد عملا لا يريد به الناس  
وقال أحمد بن داود الحرشي : حدث يزيد بن حارون حديث غير : الأعمال بالنيات ، وأحمد جالس : فقال أحمد لزيد : ه يا أبا خالد هذا الخلق ه .  
وعلى هذا القول ، قيل تحيد الكلام : الأعمال راقية أو حاصلة بالنيات ، فيكون إيجابها من الأعمال الإيجابية أنها لا تقع إلا من قصد من العمل هو صحت عملها ووجوبها ، ويكون قوله بعد ذلك : ه وثالثا لكل امرئ ما نوى وإيجابها من حكم الشرح ، وهو أن حطة العمل من عمله نية ، فإن كانت صالحة فعمله صالح لله أبوه ، وإن كانت فاسدة ، فعمله فاسد فله رزقه .  
ويحصل أن يكون التقدير في قوله : ه الأعمال بالنيات ، صالحة أو فاسدة ، أو مقبولة أو مردودة ، أو معاقبة عليها أو غير معاقبة عليها بالنيات ، فيكون غيرا من الحكم الشرعي : هو أن صلاحها وفسادها بحسب صلاح نية وفسادها ، فكله صلى الله عليه وسلم : وثالثا الأعمال بالمعروف واله  
أي : أن صلاحها وفسادها وقبولها ورفضها بحسب الحلال . وقوله بعد ذلك : ه وثالثا لكل امرئ ما نوى ، وإيجابها لا يحصل له من عمله إلا ما نواه به ، فإن نوى خيرا حصل له خير ، وإن نوى شرا حصل له شر . وليس هذا تكريرا مضمنا للجملة الأولى ، فإن الجملة الأولى دلت على أن صلاح العمل وفسادها بحسب النية للتقصية لإيجاده ، والجملة الثانية دلت على أن نوب العمل على عمله بحسب نية الصالحة ، وأن عقابه عليه بحسب النية الفاسدة .  
وقد تكون نية مباحة فيكون العمل مباحا ، فلا يحصل له نوب ولا عقاب ، فاعمل في نفسه : صلاحه وفسادها وإباحته بحسب نية - الحاملة عليه ، والتقضية لوجوبه ، ونوب العمل وعقابه ورسالته بحسب النية - التي مل بها العمل صافيا أو فاسدا أو مباحا . واعلم : أن النية في النية نوع من القصد والإرادة ، وإن كان قد يوق بين هذه الألفاظ بما ليس هنا موضع ذكره .  
والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين :  
المنى الأول : يحى تغير الميالات بعينها من بعض ، - كتحيد صلاة الظهر من صلاة العصر مثلا ، وتغير صلب رحلت من صلب غيره ، أو تغير الميالات من الميالات - كتغير الفسل من الحيلة من فسل القرد ولتفعل ويضو ذلك . وهذه النية هي التي توجد كثيرا في كلام القديس في كتبهم .  
(١) جوده من حديث زبده المصطفى ١٧٠٧٦ من سبل رضى الله تعالى عنه .



## ثواب الطحج البرود

ما ثواب الطحج البرود ؟

السؤال :  
الجواب : قلت : رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الطحج البرود ليس له جزاء إلا الجنة » (١) .

فمتى ما توجه الإنسان لأداء فريضة طحج ، فإنه يترك بينه وأهله وماله متوجهاً إلى بيت الله الحرام ، مليئاً بدعوة الله ، وقرى الطحاج حين يحرم ويصح لا يخطر بهالة شيء من أمور الدنيا ، فإذا ما انتهى من أعمال الطحج ، تنشق إلى أهله ووطنه ، وتلك حكمة أخرى ، لأنه لو لم يتشوق للمودة إلى الأهل والوطن ، لفساد المكان بالخبثين .

وكون الطحاج يخرج من فريضة كيوم وليلته أنه ، هذا يعني للذنوب التي بينه وبين ربه ، أما الذنوب التي بينه وبين المباد ، فلا بد أن تؤدي قول الطحج ، ولذلك نجد من دقة التكليف أن اللذين لا يصح أن يصح إذا استأذن صاحب المدين ، أو كقبه ، فإن كان عنده وفاة للذين في ببلده وفي به ، فإن لم يكن عنده وفاة أرضي بالوفاة من تركه . ولا يصح أن تقول : إن الجراء أكبر من العمل ؛ لأن تنسب الصفقات لا يجوز أن يلاحظ إلا بين الحسارين ، يعني إلا أن كانت الصفقة معقودة بين حسارين ، إجماعاً تنسب الصفقة المعقودة بين الله سبحانه وتعالى وبين حياته ، فلا يصح أن تقول : الجراء أكبر من العمل ؛ لأن الله هو الذي حدد العمل ، وحدد الجراء .

ونفرض أن استأذن زرع ورقاً جديلاً ، ثم قدم وردة للملك ، فأعطاه ألف دينار ، هل تقول : إن الملك أعطاه أكثر من ثمن الوردة ؟ لا تقول هذا .

○○○

(١) رواه أحمد في المسند [٢/١٧٤] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وقيل الأثر بغيره : بطله صحيح .

## لماذا الطحج ؟

لماذا نصح ؟

السؤال :  
الجواب : أولاً : نصح لأن الله أمر به ، وجهله ركب من أركان الإسلام على المستعطين له ، ثم أمرة برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي صح وقال : « دخلوا حتى مناسككم » (١) .

حين من الله الاعتكاف لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذنا في آخر رمضان إلى اعتكاف في المسجد تاركين الأهل والأولاد والأعمال فإنه ارتقاء للتصعيد الفكري ، لأن إلف المكان وإلف السكان وإلف الأهل يسل في النفس البشرية بعض المواقف عن الله ، فيخرجنا هذا المخرج لتجرب العناء الذي يأتي لنا ونتمدد أن نترك الأهل بعض الوقت لأنه يريد أن يبقنا لرحلة أخرى هذه الرحلة تعبر الركن الخامس من أركان الإسلام لأنه بعد وقت معين مشترك كل شيء ، ونذهب إلى الطحج شيقاً من إلف الترك للأهل والمال والبيت . فعندما يذهب الإنسان للطحج يكون قد استكمل لركان إسلامه ، وبصريح البيت الذي يتجه إليه بقلب يؤمن به عن يقين ، أصبح يراه عين اليقين فيرى بيت ربه الذي كان يتجه إليه ثم يعرف به ويؤدي للملك فومش بعد علم اليقين بيت الله في حقيقة اليقين بيت الله ، حيث يكمل إيمانه فالأركان والأسس التي ينشئ عليها الإسلام قد تمت له ، وبقي أن يكمل بنية الإسلام لأن الأركان ثابتة وبنية الإسلام التي توضع على هذه الأركان هي كل حركة في الحياة .

○○○

(١) رواه البيهقي في الكبرى [١٢٠٧] عن جابر رضي الله تعالى عنه .

## الطوائف حول بيت الله

السؤال :

المستشرقون وأعداء الإسلام يقولون : إن الإسلام حرم الوثنية ، وبالرغم من ذلك فالمسلمون أنفسهم يقولون حول الكعبة ، كيف يمكن الرد عليهم ؟

الجواب : إذا كان المرتدون في دين الله والمجربون عن لغة التكليف لفضلاً عن أسرارها - يشهدون بأن الإسلام قد أبقي على مظاهر الوثنية حين أمر بتعطيم البيت طوائفاً حوله ، وحين كلف تعطيم الحجر استلاماً له : إذا كان ذلك - فإن هؤلاء وهؤلاء يهتفون بما لا يعرفون ويعارضون غيراً دعائية على الإخلاص لمباداة إنه لم يؤمنوا به ولم يهتفوا عنه ، ولقد فرق الفارق غير بين الخطاب رضى الله عنه بين حق من الله وباطل من أعدائه ، فقال سبحانه الحجر : « أنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله يقول ما قبلك ما قبلك » (١) . وبهذا أعلن رضى الله تعالى عنه فصل الخطاب

(١) روى البخارى [١٥٩٧] ومسلم [٤٨/١٧٢] عن عمر رضى الله تعالى عنه : أنه جاء إلى الحجر الأسود قبله ، فقال : أى أعلم أنك حجر ، لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رضى الله عليه وسلم يقول ما قبلك .

قال ابنانظ في الفتح ١ قوله : « لا تضر ولا تنفع » أى : إلا بول الله ، وقد روى الحاكم من حديث أبى سعيد أن عمر لما قال هذا قال له على بن أبى طالب : إنه يضر وينفع ، وذكر أن الله لما أخذ الميثاق على ولد آدم كتب ذلك في رق وألقمه الحجر ، قال : وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يلقى يوم القيمة بالحجر الأسود وله لسان تلقى يشهد لمن أسلمه بالوحيد » روى إسناده أبو حازم الميمى وهو ضعيف جداً .

وقد روى النسقى من روجه أن عمر بأن عمر رفع يده عن ذلك إلى رضى الله عليه وسلم أخبره عن طريق طاووس عن أبى عاصم رضى الله تعالى عنهم قال : « رأيت عمر قبل الحجر ثلاثاً لم قال : إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلك » ثم قال : « رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل على ذلك » .

قال الطبرى : إما قال ذلك عمر لأن الناس كانوا يحثون عهد بمباداة الأصنام فخشى عمر أن يفسد الجهاد أن يسلم الحجر من باب تنقي بعض الأحجار كما كانت العرب تفعل في الجاهلية فأراد عمر أن يعلم الناس أن استلام الحجر ليعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا لأن الحجر ينفع ويضر بقاته كما كانت جاذبة متقدمة في الأوثان .  
وقال الجلب : حدثت عمر هذا يوم طى من قال : إن الحجر بين الله في الأرض يصالح بها عباده ، ومادة الله أن يكون لله جارحة ، وثأ شريح تتبيله اختياراً ليعلم بالمشاهدة طاعة من يفتح وذلك شبه بقصة إبليس حيث لم بالسجود آدم .  
وقال الخطابي : معنى قد بين الله في الأرض أن من صالحه في الأرض كان له عند الله عهد ، ورحمت المادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة بين يديه مولاه ولا خصامى به فخالطهم بما يهدونه .

وقال الجلب الطبرى : معناه أن كل ملك إذا قدم عليه فرائد قبل يديه ، فلما كان الحاج أول ما يقدم بسى له قبله نزل سركه بين الملك ولله الحق الأعلى .

وفى قول عمر هذا : فسلم للحجج في أمر الدين وحسن الاتباع فيما لم يكلف عن متابعتها وهو قاعدة عظيمة في الاتباع رضى الله عليه وسلم فيما يقوله ، ولم لم يعلم المحكمة فيه ، وفيه دفع ما وقع لبعض الجهال من أن في الحجر الأبرود خاصة ترجع إلى ذات ، وفيه بيان السنة بالقول والتمثل ، وكان الأندم إذا خشي على أحد من فقله فساد اعتقاده أن يبادر إلى بيان الأمر ويوضح ذلك .

قال شيخنا فى شرح لزمضى : فيه كرامة تثبت ما لم ورد الشرع بتقبله ، وأما قول الشافعى ومهما قبل من البيت فحسن فلم يرد به الاحتجاب ، لأن المباح من جملة الحسن عند الأصوليين .  
و تكبيل : اعترض بعض المحدثين على الحديث .الشافعى فقال : كيف سordه خطايا المشركين ولم يبيته طاعات أهل التوحيد ؟

وأجاب بما قال ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك ، ولما أجرى الله العادة بأن السروات يصنع ، ولا يصنع على العكس من اليابس .

وقال الجلب الطبرى : فى قتاله أسود حيرة لمن له بصيرة ، فإن الخطايا إذا كثرت فى الحجر العمد تشبهها فى القلب أئد .

قال : وروى عن أبى عاصم رضى الله تعالى عنه إنا خيرة بالسروات ثلاث ينظر أهل الدنيا إلى ربة الحجة ، فإن ثبت فيها هو الجواب .  
قلت : أفرجه المسمى فى فضائل مكة بإسناد ضعيف . والله أعلم .

## حجوا قبل ألا تحجروا

ما المقصود بقوله صلى الله عليه وسلم :

« حجوا قبل أن لا تحجروا »<sup>(١)</sup> ؟

السؤال :

الجواب : هذا القول - على فرض صحته - يعنى : أنه إذا تسمرت ظروفك ، وكان

باستطاعتك الحج في وقت معين في حياتك ، فانتبهز هذه الفرصة بسرعة ، وأد هذا الفرض

، وربما بانى وقت آخر لا نستطيع فيه أن نحج .

وكذلك أيضًا بالنسبة للصلاة ، فمطلوب فيها أن تودى في أول وقتها وذلك لأنه من

الذى يضمن لنا أن نمش إلى آخر الوقت ؟ صحيح أنه لو أتى الله حياتنا إلى آخر

الوقت فلا إثم علينا ، فالتأخر المستطیع الذى لم يحج بقول له : إنك حتى هذا الوقت

غير آثم ، ولكن إذا توفاك الله تكون آثما .

كذلك الصلاة ، إذا مات الفرد قبل أدائها مع حلول وقتها : يكون آثما لأنه أخر

الأداء عن أول الوقت .

○○○

وأما وجه التكليف بلا إسراف ودون تزييف ، وكأنى عصر رضى الله تعالى عنه يفتى  
عن الحجر أن يفتح بذاته وهذا لا يمنع أن يشهد الحجر لمن استلمه عند من يملك رحمه  
الفتح والضر .

○○○

(١) رواه الحاكم في المستدرک [١٧٦/١٦٤] وقال المصنف : حسن رواه بعض المصنفين ليس

بمجة .

## ابتلاء هاجر .. وشعيرة الملح

### السؤال :

ما موقف السيدة هاجر عندما تركها زوجها وطفليها الرضيع سينا إسماعيل ؟ وكيف جازاها الله على صبرها وابتلائها ؟

الجاباب : لما كانت عندما تحبة على صديها في قولها : « اذن لن يبقينا » ويريد الحق أن يمتحن صبرها سبع مرات بلا نتيجة ، وتعود إلى وليدها ، فتجد الماء عند قدم الوليد ، وهكذا صلت هاجر في بيتها ، عندما وثقت أن الله لن يضيعها ، وأراد الله أن يقول لها : نعم لن أنصحك ، وليس بسبك ! ولكن يقدم ظلك الرضيع ! يضرب بها الأرض ، فتبع منها ماء . وضرب الوليد للأرض يقدمه سبب غير فاعل في العادة ، لكن الله أراد سببا حتى يستقي السيدة ولو لم تود إلى الفرض في المادة .

وحين وجدت هاجر ماء عند قدم رضيعها أيقنت حقاً أن الله لن يضيعها . وظل اسمي شعرة من شمائر الملح والعمرة إلى بيت الله الحرام ، استدامة لإيمان المرأة بالمسيب وعدم إعماله للسبب ، وحتى يقبل الإنسان على كل عمل وهو يؤمن بالمسيب . ولذلك يجب أن نفرق بين التوكل والتوكل .

إن التوكل عمل قلب وليس عمل جوارح ، والتوكل تعطيل عمل جوارح . ليس في الإسلام توكل ، إنما الجوارح تعمل والقلوب تتوكل . هكذا كان توكل هاجر ، لقد صلت وتوكلت على الله ، فزقها الله ما تريد بأهون الأسباب ، وهي ضربة قدم الوليد للأرض . وبنت تلك المسألة شعرة من شمائر الملح والعمرة وهي سبعة أنوار بين الصفا واللوة . وعندما فعل الناس حق عبادة الله ، ودخلت عبادة الأصنام الجيزة العربية ، أوجدوا على جبل الصفا صيناً أسموه « إسفا » وعلى اللوة صيناً أسموه « نائلة » . وكانوا يترددون بين إساف ونائلة ، لا بين الصفا واللوة ، لقد تقلوا المادة من خالصية التوحيد إلى شائبة الوثنية .

## الزادقة

### ما معنى الزادقة ؟

### السؤال :

الجاباب : عندما تقل الشيطان إبراهيم رحمه بالمسمى سينا في المرة الأولى ، ثم عارده مرة أخرى فترجمه سينا ، وجاهده في الثالثة فترجمه سينا ، بعدما لم يأت له ثانية ، فحرق إبراهيم المظلي مخالفة أن يلاحقه ، ولذلك شمس المكان بالزادقة ، والزادق هو السريع ، ويسمى « ذا الجاز » أي أنه اجاز للزادقة ، ويكون قد عرف المسألة عند حرقه <sup>(١)</sup> .

○○○

(١) والزادقة هي : موضع يحرقه يتكرب إلى الله فيها ، وسببت للزادقة من الأرواف وهو الإجماع ، لاجتماع الناس بها . أم .

أفعال الجاهلية طمأنهم الحق سبحانه وتعالى ، وقال لهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَذَكَّرُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَذَكَرْتُمُ اللَّهَ فَقَالُوا لَا مَعِي شَيْءٌ وَمَضَى فَيُدْنِسُهُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاصِيهِ ۖ ﴾

وكلمة وصفاً ومعناها المغير الأصلي ، وأصبح كذلك من كثرة الملامسين له على مر الزمان ، وقيل : إن الصفا مشبوهة إلى اصطفاء آدم ، وقيل : إن اللزوة مشبوهة إلى اللزاة التي هي حواء ، لكنه كلام يقال ولا تتوقف عنده كثيراً ، لأن علمه لا يفتح وجهه لا يغير ، فأنهم بالنسبة لنا أنه مكان ترددت فيه طاهر وهي تطلب الماء لانيها ، إن الحق جميل السعي بينهما من شمل الله ، والشمل هو ملام المباداة ، وتطلق دائماً على العالم الكائنة ، ويقال : هذا مخالف ، وهذا مسمى ، وهذا مرعى الجبريات ، وهذا الشمر الحرام .

إن كلمة والشمر تسمى المكان الذي له عبادة مخصصة ، وبما أن الصفا واللزوة مكانان فقد جاء وصفهما بأنيها ﴿ بَيْنَ يَدَيْكُمْ ﴾ والبرءة : ١٥٨ ﴿ قَتَلْتُمْ حَتَّىٰ أَيْبَيْتُ أُولَئِكَ تَحْتَ تَلَوَاتٍ كُلَّ جُنَاحٍ عَشِيرَةٍ إِنَّ يَتْلُوكَ بِحُكْمٍ ﴾ كان الحج والمرء لهما شيء بهجتهما في مقام القرضية ، ولهما شيء آخر بهجتهما في مقام التطرح ، فإن أدى المسلم الحج والمرء مرة يكون قد أدى الفرض ، وهذا لا يمنع أن تكرر الحج والمرء هو تطرح مقبول بإذن الله .

وساعة تقول : و لا جناح عليك أن تقبل كذا ، فمضى ذلك أنك إن فعلت فلا إثم عليك ، لكن ليس خطاً في أن تقبل ، وليس فرضاً في أن تقبل ، وهذا ما جعل بعض الناس يقولون : إن السعي بين الصفا واللزوة ليس ركناً من أركان الحج ، ويتناول لهؤلاء : هذه آية جاءت لسبب ، وهو أنهم كانوا يخرجون من الطواف في مكان يطوف فيه الشركون فقال لهم : ﴿ قُلْ لَا جُنَاحَ عَلَيْكَ إِنْ يَتْلُوكَ بِحُكْمٍ ﴾ .

إن نفي الجناح لا يعني أنك إن لم تقبل يصح ، لا ، إنه سبحانه يرد على حالة كانوا يخرجون منها ، وقوله تعالى : ﴿ يَتْلُوكَ بِحُكْمٍ ﴾ يستدعي منا وقفة ، إن الحاج أو المحرم يسعى بين الصفا واللزوة ، فلفظاً وصف الحق هذا السعي : ﴿ يَتْلُوكَ بِحُكْمٍ ﴾ ؟

فلما جاء الإسلام أورد الله ألا يخرجوا المسلمون في صلاتهم إلى البيت الحرام إلا بعد أن يظهر البيت ويحمله خالصاً لله ، فلما ذهب بعض الوثنيين إلى الكعبة فخرجوا أن يسروا بين الصفا والزروة ، لأن وإسافاً ، و وثالة ، فوق الجبلين ، فكانهم أرادوا أن يتطهروا كل صلتهم بهادات الجاهلية ، واستمكروا إيمانهم أن يرددوا بين إساف و وثالة ، فأورد الله قوله الحق : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَذَكَّرُوا بَيْنَ يَدَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْتُمُوهُمْ مِنَ الْبَيْتِ وَذَكَرْتُمُ اللَّهَ فَقَالُوا لَا مَعِي شَيْءٌ وَمَضَى فَيُدْنِسُهُمْ وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُنَاصِيهِ ۖ ﴾

والبرءة : ١٥٨ ، أي لا تخرجوا من هذا الأمر ، لأنكم مسجونون بين الصفا واللزوة ، لا بين إساف وثالة كما كان يفعل الشركون الوثنيون ، إذن فالتمس هنا كان بالنية . لقد كانت نية السعي الأولى عند طاهر هي الإيمان بالله والأخذ بالأسباب ، لكن الوثنية قلبت نية الإيمان إلى حقيقى الشرك ، وكان لابد أن يستعيد المسلمون نية الإيمان الأولى عند زيارة البيت الحرام بالسعي بين الصفا والزروة ، فنحن في الإسلام نحصي لأمر الأمر ، قال لنا : و قبلوا الحجر الأسود ، وفي الوقت نفسه أربأنا أن نرحم الحجر الذي يمر إلى اليس ، مكللاً تكون البيرة بالنية ، وليس بشكل العمل ، وتكون البيرة في إطاعة أمر الله . وكان الحق بهذه الآية يقول للمؤمنين : إن للشركون عدوا وإسافاً و وثالة ، لكن أنتم اخرجوا المسافة من بالكهم ، ولأنهم إلى الصفا واللزوة ، فالصفا واللزوة من شمل الله ، وليسنا من شمل الوثنية ، ولكن ضلال للشركون هو الذي خلج عليها الوثنية في إساف وفي وثالة . لقد أورد الوثنيون بوضوح وإساف و على الصفا و وثالة ، على اللزوة أن يأخذوا صفة التقديس للأوثان ، فلو لا أن الصفا واللزوة من التقديسات سابقاً لا وضعوا عليهما أحجارهم ، وثلاً جاوراً بأصنامهم ليعمرها على الكعبة ، هذا دليل على أن قدمته هذه الأماكن أسبق من أصنامهم ، لقد حرموا وثنيهم بوضوح وإساف و وثالة ، على الصفا واللزوة .

وبعد أن بين الحق للمؤمنين أن الصفا واللزوة من شمل الله ، جاء على أن المكين - ساكني المكان - لا يحصى المكان ، بدليل أن الإيمان عندما تحبث له الثانية ، كسر الأصنام وأزالتها من الكعبة وأصبح البيت طاهراً ، وعندما كان المؤمنون يخرجون أن يملوا فملاً من

## عرفة وعر التسمية

السؤال : لماذا سميت عرفة بهذا الاسم ؟

الجواب : لقد رأى إبراهيم عليه السلام في الرؤيا أنه يذبح ابنه إسماعيل ، وفي مسألة شائكة على النفس ؛ لأنه ابنه الوحيد ولأنه سيذبحه يده .

وجلس إبراهيم في هذا المكان يفكر ويتردى ، ولذلك سمى اليوم الذي قبل عرفة بيوم « التروية » .

وفي اليوم التالي تأكد أن الرؤيا حق .. وعرف أنه لابد أن يذبح ابنه ، فسمى المكان الذي عرف فيه حقيقة الرؤيا « عرفة » .

أو أن جبريل كان يعلم إبراهيم عليه السلام مايلك المذبح في هذا المكان .. ويقول له عرف ؟ فيرد إبراهيم عرف .

وقد يكون يعني أن الإنسان يعرف فيها سمة رحمة ربه ، فأنقذ إلى هذا المكان وكل واحد يعرف ذاته ويستغفر الله في ذلك وحضره .

وعلى كل حال فإن اختلاف اللغتين ، واختلاف اللباسات التي أوتيت إلى هذه التسمية يوم عرفة أو يوم التروية .. لا تعارض بينها ، والله تعالى أعلم .

○○○

لكي نتعرف ذلك لابد أن نوضح معنى « طواف » و« جال » و« دلو » . إن « طواف » تعني : « دلو حول الشيء » ، ف« الدورة » التي بين الصفا والمروة حتى يسميها الحق طوافاً ؟ إن اللدائر حول المروة يبدأ من أي نقطة منها كبنية ، لتكون تلك النقطة نهاية ، وكل طواف حول دائرة نجد فيه أن كل بداية فيها تعتبر نهاية ، وكل نهاية تعتبر بداية ، وأي حركة من وإلى شيء واحد بهتبع دائرة .

وصحيح أن من يسمي بين الصفا والمروة لا يدور ، ولكنه سيلعب من الصفا إلى المروة ، ثم يثقل عاتقاً إلى الصفا ، ثم منها إلى المروة ، وهكذا يهجر الأكر طوافاً ، ومثال آخر من حياته اليومية ، إن الشرطي الذي يطوف بحراسة للتسولح والمنازل بالليل ، قد يلف للبيئة كلها ، ويمكن أن يلف شارعاً واحداً هو مكان حراسته ، هذا الدوران في الشارع من أوله إلى آخره عدة مرات يسمي طوافاً بينهما ، وهكذا نفهم معنى ﴿ يَتَلَوَّكْ بَهِتًا ﴾ ، أي يعني بينهما عدة مرات من بداية هي نهاية .

وهكذا نجد أن السمي بين الصفا والمروة هو جزء من شمات المذبح والعمرة . ونجد أن الفرضية في المذبح والعمرة أساس ، والتطويح بذكر المذبح والعمرة هو خير . ﴿ وَكَتَبَ تَفْصِيحَ حَيْثُ قَالََ اللَّهُ تَعَالَى حَيْثُ ﴾ [١٥٨] .

وهذا القول يقتضي أن نفهم أن للتساكر أصابعه نعمة من المنكود .

○○○

## نرمي حجراً بهجراً

**السؤال :** ما المبرر من زجر الشيطان وهو حجر نرمي بهجراً؟ وما علاقة الشيطان بهذا الحجر؟ وهل الشيطان موجود فيه؟

**الجواب :** بعض العلماء يقولون إن الشياطين تحس في هذه الأحجار في أيام متى .. ونحن نقول لهم سواء أكان هذا صحيحاً أم غير صحيح .. فإنه اختيار كما قلنا الإيمان في القلب .. ففئة الأسبب الإيمانية ليست في أن نفهمها .. أو نعرف الحكمة منها .. ولكن علة الأشياء في أن الله سبحانه وتعالى قد أمرنا بها .. إنا نقول حجراً ونزجر حجراً .. والسبب في هذا أنك حين نزجر الشيطان لابد أن تعرف أنه لا يترك قضية إيمانية إلا حاول إنساده ، وقد لاحظ الشيطان سببنا إبراهيم عليه السلام .. وكلما رآه إبراهيم كان يعارده مرة ثانية .. ونحن بالزجر نخلل أمر الله أولاً ، ونهض سنة أينا إبراهيم عليه السلام الذي سمنا مسلمين من قبل وثلة لن وثق .. كما يقول الله تبارك وتعالى عنه في كتابه الكريم : ﴿ وَابْتَغَى الْوَعْدَ ﴾ [النجم : ٢٧] .

إنا حين نزجر إبليس في الملح يجب أن يكون حرمنا هو ألا نطيعه بعد العودة وأن يكون شعورنا أننا تغلبنا عليه ، ويجب أن تستمر هذه الغلبة بعد الملح لأنه رغم دسه ووسوسته ليجعلنا لا نؤمن بالله .. سبحانه .. آناً .. ورغم محاولته لأن يجعلنا نشرك بالله لم نشرك ، ثم أتبنا إلى الملح فأدبنا المناسك وارعدنا في الطاعة ..

إن الزجر هنا رمز لاتصمادنا على الشيطان ، وهو يوم لمة ونضربان بين الشياطين .. والشيطان ملعون من الله ومن الملائكة ومن المؤمنين ، لمة الله غيب عنا ولكنها موجودة ومستورة .. ولمة الملائكة غيب عنا ولكنها موجودة ومستورة . أما نحن فإننا نعلن امتنا للشيطان بطريقة علنية ، وهي الزجر في متى ، في هذا اليوم نرى الشيطان في آخر وأذل حاله .

## الرحمة في الحريم

**السؤال :** ما المقصود بقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « إن الله يهبط في الحريم - الكعبة - مائة وعشرين رحمة ؟

**الجواب :** الحق سبحانه وتعالى يريد بنا السر .. وكل من في الحريم له ثوابه .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله تعالى يقول في كل يوم وليلة عشرين ومائة رحمة يزل على حلق البيت ؛ ستر من فيها للعائقات ، وأربعون للمصلين ، وعشرون للناظرين »<sup>(١)</sup> .

إنك إذا جلست تنظر إلى الكعبة تولت عليك الرحمة .. وأنت عندما ترى الكعبة وتنظر إليها تخفى كل همومك ولا يبقى في بالك إلا الله سبحانه وتعالى .. ولو جلست ساعات أمام الكعبة فإن نظرك لا يحول عنها .. ولا تستطيع أن تخرج نفسك منها ، ما دمت جالسا أمامها .. وإذا أردت تفسيراً لذلك فقد لا تفصل إله ؛ فإن في النفس البشرية مكان لا يفرها إلا الله سبحانه وتعالى .

○○○

(١) رواية الطبراني في المعجم الكبير [١١٤٧٥/١٥٦/١١] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما .

## زيارة المسجد النبوي

معلمين أن زيارة المسجد النبوي الشريف ليست من نوازل الحج ، حتى نفي الناس الذين يقولون : « من لم يزور مكانه لم يحج » إن هذا ليس بحديث نبوي ، ولكنه مني نفسي .

اخراج يقول : كيف أذهب للحج ولا أزور حاضرة النبي صلى الله عليه وسلم ؟! هذه مسألة غير مستغفرة ، وإن كانت ليست من المسالك .

وَنَافِي رَأَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْرُ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقِيمَ بِالْمَدِينَةِ وَيَعْبُورَ لِأَهْلِهَا مِنَ الْأَنْصَارِ رَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ : وَالْجِيَا مُحِبَّائِكُمُ وَالْمَمَاتِ عَمَّا تَكُمُ ، وَرَمَا يَنْتَ : سَمِعْتُ هَذَا وَنَحْنُ هُنَا ، وَحَقٌّ لَا يَهْنُ ظَنُّ أَنْ هَذَا الْكَلَامُ يَتَضَرَّضُ بِحَقِّ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَكَأَنِّي قَدْ بَدِئْتُ قَسَمًا نَصَحْتُكَ بِهَا ﴾ وَمَا تَقْوِيهِ قَسَمْتُ بِأَنِّي أَتَّبِعُ تَعَمُّدًا ﴿ وَاللَّهُ : ٣٤ ﴾ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا قَسَمَ الْعَنَاءُ وَلَمْ يَصِلْ الْأَنْصَارُ شَيْعًا ، فَلَا تَعُدُّ عَلَى الْأَنْصَارِ ، فَمَنْ التَّبَيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُمْ : وَ أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَهْتَبِ النَّاسُ بِأَشَاطَةِ وَتَذَمُّوْنَ أَيْمَانَ بَرَسُولِ اللَّهِ سَالِمًا ، لَوْ سَلَكَ الْأَنْصَارُ شَيْعًا لَسَلَكْتُ شَيْعَةَ الْأَنْصَارِ ، الْجِيَا مُحِبَّائِكُمُ وَالْمَمَاتِ عَمَّا تَكُمُ ۝ (١١)

[illegible]

إنه يوم الثَّارِ والانتقام من الشيطان الذي وسوس لك ، إنه يوم الاعتذار على أمدى أعدائك .. ووجب أن يظل عدوك بالمدد .. وفي نفس الوقت أغضبت الدرس فيما بقي من حياتك .. لا تدعه ولا تعط الفرصة لكي يتصر عليك مرة أخرى .. تبذل أوامر الله من وراءه بصدق وارض بقرعة الله .. فإن فعلت أغضبت جميع منافذ الشيطان .. فلا يكون له عليك أي سلطان .. فليس أي ابتلاء من الله لك يعني أنه غاضب عليك لأنك لا تتدبر ماذا أعفَى الله في قصصه .. لذلك ابتلاه به لأنه يريد أن يتردد ثواباً على الطاعة وتردد أجزاها على عدم الوقوع في المعصية أو ليقع درجاتك والله سبحانه يعلم - وهو العليم - صدق توجهك ورضائك في كل ما تأتي به القادير لخيرتك من الصدق والرضا أصعب الجزاء .

○  
○  
○



وكان الله اختار لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يقيم هناك حتى لا تكون زيارته تيقنا لزيارة البيت ، بل الذي يهبط للزيارة تكون زيارة مستقلة ، ويقطع لها مسافة طويلة أربعين وخمسين كيلومترا .

إذن ... فالذي عده حب بطل ذاهبا إلى هناك ، فإذا ما ذهب إلى هناك ، طمأ مدبرم إنه في الحرم المكي له حدود ، وأيضا الحرم المدني له حدود ، لابد أن يقطن إليها حتى لا يقع في مخالطات هناك ، فلا يعبد صبيحا ولا يهيج صبيحا ، ومعنى لا يهيج ، أى : ينفذه حتى يخرج الحرم ، جهلة لاصطلاحه .

ولا يقطع شجرة ، ولو كان فاشوك ، وهذا من الأدب ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم المدينة كما حرم إبراهيم الخليل عليه السلام مكة <sup>(١)</sup> .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم مفوض من ربه أن يشرع ، كل رسول مستقل يحكم من الله ، وليس له أن يشرع من عهده ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله أنه على أن يشرع لأمة ، قال الله تعالى : ﴿ وَكَأَنَّكُمْ كُنتُمْ كُفْرًا وَكَأَنَّكُمْ كُنتُمْ كُفْرًا فَتُحَرِّمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهِ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] فالله عليه الصلاة والسلام قال : « إبراهيم حرم هناك وأنا حرمت هنا » ونرى الحديث على أن التحريم كان « من لاجئها » <sup>(٢)</sup> .

لا يبار على ، وواحدة ناحية سور هذه حرم وهذه سور . هذا الحرم فليحرم حدود الأديان التي لزمها في حرم مكة ، يلزمها في حرم المدينة .

(١) روى مسلم [١٣٦٠/٤٥٤] عن عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن إبراهيم حرم مكة ودعا لأهلها ، فأتى حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة ، فأتى دعوت في صاعها ودمها بجل ما دعا به إبراهيم لأهل مكة ، وهو في الجحيم » روى في أكثر من موضع بإسناد مقطوعة .

(٢) روى البيهقي [٤٠٨٤] عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أشق فقال : « هذا جبل يحبنا ونحبه ، اللهم إن إبراهيم حرم مكة ، فأتى حرم مكة ما بين لاجئها » . روى [٣٦١٥/٤٦٢] والترمذي [٣٩٢٢] .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ألجأ محباكم والملمات محباكم » يعني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بأن الموت سيكون في المدينة ، ولكن كيف ذلك والله يقول : ﴿ وَكَأَنَّكُمْ كُنتُمْ كُفْرًا فَتُحَرِّمُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٧] ؟ أقول : عند كلمة « ما تنرى » أى : مربية فانية إما « أن تنرى » ، يدبرها الذي يعرف « ولذلك يقولون : فلان لا يعلم الغيب » تقول : هو لا يعلم بقلبه ، إيا يعلم الغيب من الله ، هذا أمر قال تعالى : ﴿ تَكُنْ لَهُمْ نَجْوَى عَلَى نَجْوَاهُمْ كَمَا لَا مَنَ لَرُفْقَانِ مِنَ رُسُلِهِمْ ﴾ [النحل : ٦١] إذن ... فاللغو أن يعلم الإنسان الغيب بقلبه .

- بالأصغر تلا بائني إلا أنصوري ، فبفهم فهم فجاونا فاشطرا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أما ترون إلى أرباش قرش وألباعهم » وشرع يمد اليدين على الخصر وسط القصرى وقال : « استصوبهم حصدا حتى توافوني بالصفا » . قال أبو هريرة : فاشطنا لما يشاء أحدنا أن يقبل من شاء منهم إلا كله وما يورجه أحد منهم إياها شيئا . قال أبو سليمان : يا رسول الله أصبحت حضراء قرش ، لا قرش بعد اليوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ألقى بابه فهو آمن ، ومن دخل دار أبي سليمان فهو آمن » فاعلوا إبراهيم . وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استلم الحجر وعلق بالبيت وفي يده قرص وهو أخذ القوس ، وكان إلى جنب البيت صنم كانوا يعبدون ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في حبه بالقوس ويقول : جاء الحق وزمن السيل ، فلما قضى طوافه أتى الصفا فملا حيث يقبل إلى البيت فجعل صلى الله عليه وسلم يرفع يده ، وجعل يحمد الله ويذكر ما شاء أن يذكره والأصغر تحه . قال بعضهم لبعض : أما الرجل فقد أفرقه رغبة في قره ورأفة بشيره ، وذل الرضى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال أبو هريرة : وكان لا يخفى علينا إذا ذل الرضى نبي أحدنا يمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يفرق حتى يتقضى الرضى ، فلما قضى الرضى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا مشر الأصغر فلقم أما الرجل فقد أفرقه رغبة في قره ورأفة بشيره ؟ قالوا : قد قلنا ذلك يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا أى حبه الله ورسوله فاحسرت إلى الله بالكم . ألجأ محباكم وللملمات محباكم فاعلموا يكونون يقولون : والله ما قلنا لئلا قلنا إلا حبا بالله ورسوله قال : « ولان الله ورسوله يستحقكم ويملأكم » <sup>(١)</sup> .

وللأمر حرم رضى الله تعالى عنه : في هذا الخبر بيان واضح أن فتح مكة كان حرة لا حصارا . (١) قال الأربازوط : إسناده صحيح على شرط مسلم ، وبلغت روى مسلم [١٧٨٠/٨٤] .

ورضينا لذلك المثل قلنا : و املى له قانونين : قانون يقظة وقانون نوم ، قانونه في النوم أشرف وأخف من قانونه في اليقظة ، يقول لك : أنا رأيت في الرؤية فلان لاسي أبيض في أبيض وراكب حصان شكله كذا وصفه كذا ، وقال لي كذا .

كيف رأيت هذا وأنت تألم عينك مغمضة ١٩

إذن .. فقد رأيت بغير عين ورسمت بغير أذن ، وألركت بغير وسيلة إدراك . فهذا دليل على أن النوم له قانون . وما دام النوم له قانون فالوقت أيضا له قانون ليس كقانون الحياة . وما دام الوقت له قانون أشرف من قانون النوم ، والنوم له قانون أشرف من قانون اليقظة ، إذن .. فاليمين له قانون أشرف من قوانين الجميع .

إذن .. فخذ كل شيء بقوانينه ، وسلم على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم بالسلام الذي يلهيك الله به ، ولكن بأدب ، بخشوع ، لا ترفع صوتك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا بد أن تلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسره منك أن تقعه في موضع أعلى من موضعه الذي وضعه الله تعالى فيه ، فإياك أن تتألى فيه كما غالت بعض الأمم الأخرى في أنبيائهم ؛ لأن هذا لا يرضى حضرة النبي عليه الصلاة والسلام لكن تكلم عنده بأدب ، سلم عليه كان تقول :

السلام عليك يا رسول الله ، يا رحمة الله للعالمين ، يا خاتم الأنبياء والمرسلين ، يا كذا يا كذا ، قل ما شئت من مكارم أخلاقه ، وما رصفه به رب العالمين في القرآن الكريم ، أو صل عليه الصلاة التي اعتدت دائما أن تصلها عليه في الصلاة ، في التشهد وهي الصلاة الإبراهيمية .

وبعد ذلك تسلم أيضا على صاحبه : سيدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه ، وسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وسلم عليه بلاغا بسلام تحملت به من أحد الأهل أو الأثرياء والأصدقاء ، فإذا قيل لك حين تذهب إلى المدينة المنورة سلم على رسول الله ، فيمكنك مثلا أن تقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله حتى وعن فلان الذى كذا وكذا وعن كذا ..

لكن إذا ما دخل المسجد ، فيه خلاف عن دخول المسجد الحرام فالمسجد الحرام لأن قائم لأداء نسك فلا بد من الطواف أولا ، ثم إن تحية المسجد الحرام الطواف . لكن المسجد النبوي لابد أن تحي المسجد أولا بصلاة ركعتين ، ثم بعد ذلك تزور حضرة النبي صلى الله عليه وسلم ، والزبارة تكون بالأدب الماشع ، استحضر عظمتهم ، استحضر مكانته عند الحق سبحانه وتعالى .. وبعد ذلك تسلم عليه ؛ لأن تشريح السلام على حضرة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه رضي الله تعالى عنهما بل وعلى عموم الأموات من المسلمين إيمانا بأن لهم دراية بالسلام ، أو شعورا بالسلام . ولا لو لم يكونوا عندهم شعور بالسلام لكان التسليم عليهم عبث ، فهم في حياة لا تعلم كتبها ، ولكننا أخبرنا عنها .

فندما تقول مثلا : والسلام عليكم ديار قوم مؤمنين ، أتم السابقون وأنا إن شاء الله بكم لاحقون<sup>(١)</sup> . فلو لم يكن للسلام عندهم استقبال التعالى ، لكان التسليم عبثا .

وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول غزوة غزاه في بدر ، وقف على بحر ألقى فيه يفتلي المشركين والقلب وقال : يا فلان ، يا هبة يا شبة يا ... ، فقال له الصحابة : أنكلهم وقد جئنا - معنى : أصبحوا جينا - قال : و ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يجيرون<sup>(٢)</sup> .

الناس تفهم أن السماع لا يكون إلا بالأذن ؛ وأن الرؤية لا تكون إلا بالعين ، وتكون حياتهم كحياتنا ١١ لا .. لكن حياة قانون ، فحياتك هنا لها قانون ، وحياتك بعد موتك لها قانون .

(١) روى مسلم [١٠٧/٩٧٤] عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما كانت يلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج من أسر الليل إلى الشبح ، فيقول : والسلام عليكم هر قوم مؤمنين وقاكم ما توعدون عدا مؤمنون ، وما إن شاء الله بكم لاحقون .

والساقى [١٥٠] وأبو داود [٣٢٣٧] عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه . وصححه الألباني . (٢) رواه البخاري [٢١٣٧] ومسلم [٢٦/٩٣٦] عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، وأحمد في المسند [٢٨٧/٣] عن أنس رضي الله تعالى عنه .

فإذا ما أردت أن تصروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فعلم أدب الانصاف من سيدنا الإمام على رضى الله تعالى عنه وكرم الله وجهه ، حين وقف وقال :

والسلام عليك يا سيدى بالرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتك البارزة فى جوارك ، والسريرة اللطاف بك ... إلى أن قال : والسلام عليكم ، سلام مودع لا قال ولا سقم ، فإن تصروف فلا من ملالة ، وإن تقم فلا من سوء ظن بما وعد الله به عباده الصابرين .

فيل الله حج من حج ، وبسر وأعان بتمه رحلته من لم تكفه الاستقامة من الحج إلى أن يحج ، والزم من غير الحاج يستطيع أن يجعل تقبلاته لغيره الخلق على أهل الحج أن تعجب عليه ، لأن أجهزة الاستقبال الإيجابية ، تستطيع أن صفت واستحضرت مواقف الحجيج عند الله ، أن يهب عليها من الرحمة ما عند الله .

ألم يقل الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَكَانَ قَصْدُكَ الْوَيْدَ قَالَ أَيُّكُمْ إِلَى كَيْدٍ يَبِيعُ يُؤْصَفُ ﴾ [ يوسف : ٢١٤ ] .

ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى المدينة أثناء غزوة مؤتة ، وموتة بعيدة جدا : « أخذ الراية فلان قاتل وقيل ، وأخذ الراية فلان قاتل وقيل » من الذى أطعمه ؟ إنها هبات الصفاء فى الإرسال من هناك ، وفى الاستقبال من هنا .

وسبنا عمر رضى الله تعالى عنه أيضا حين قال : « يا سارية الجبل » وإن الإرسال من هناك والاستقبال من هنا إذا صحت آلة الاستقبال لا يغيب عك شيء من رحمة الله تعالى ولا من فضله .

أسأل الله سبحانه وتعالى للمحاجين أن يعودوا ، ولغير المستطيعين أن يستطيعوا ، وأسأل الله سبحانه وتعالى لجميع المؤمنين والمؤمنات فى جميع بقاع الأرض صلاح أحوال .

○○○

وبعد ذلك صُلِّ ركعتين فى الروضة الشريفة وفى بين المقام والنبر ، ثم تسأل الله تعالى ما تشاء <sup>(١)</sup> .

واعلم أنك ساعة أن تقف أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معناه أنك مستحضر تفعلك لتقول : لأن هذا موقف أبلغ الالغاء حيث يقفه يكون أكرم ، لا بدري ما يقول ، ولا يجد إلا أن يقول صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم ... اضطرب ، لماذا ؟

لأن المقام حين يهول الإنسان يقول : إن أسألى لا تنفض بأن توفى حضرة التى عليه الصلاة والسلام حقه ، ويقول : ماذا أقول الذى عليه الصلاة والسلام ؟ فنقول لهذا : قل له كما علمك الله ، وصل عليه ، وصل عليه وسلم ، وصل على آله ، وصل على إخوانه من الأنبياء ، وقف أمامه بأدب وبحشوع واستحضر مكانته عند ربه ومكانته عند الرسل ، وبعد ذلك فالذى يلهيك الله به لله .

الإنسان منا فى المسائل التى مثل هذه لا يقدر أن يحضر للموقف . ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى يكيف الفهم ويطلق الأسماء إلا أن الإنسان مطلوب منه الانضباط الأدنى مع سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإذا انضبطت الانضباط الأدنى فمن المسير على من تحب أن تفتى وتركة ، ولذلك فإنك تضع الصبح التى تصروف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأدب الخجين ؛ أدب الخجين - مثلا - كما علمنا العارفون : « اللهم أسألك أن تعلى وتسلم عليه وعلى آله ، وضاعف اللهم محبتنا فيه وعرفنا بحقه وقدره ، وورثتنا لاتباعه والقيام بأدابه ورسته ، واجعل صلاحنا عليه نورنا قائما ماحيا عنا كل ظلمة وظلم ، وكل شك وشرك وإفك وظلمة ، واجعلها سبيلا للوصول حتى لا تبقى نيا رانية لغيرك ، وحتى تصلح لحضرتك ، وتكون من أهل خصوصيتك تتمسكين من آدابه صلى الله عليه وسلم بالجمل الخجين ، مستمدتين منك بارئنا ومن حضرتك العلية كل توفيق فى أمور الدنيا وفى أمور الدين » .

(١) روى البخارى ٢١٩٦١ من أئمة مربة رضى الله تعالى عنه عن التى صلى الله عليه وسلم قال : وما قد يعنى وشي روضة من رياض الجنة ، وسلم ٢٥٠٦/١٢٩١٦ والرملى ٢٣٩١٦٦ .

## الفهرس

### الصفحة

### الموضوع

٣	مقدمة كتاب الملح
٨	الملح إعلان بسلام نعمة الله على الإنسان
١٢	في الإسلام المساراة .. وعدم الصلابة
١٤	المساراة في الصلاة والملح
١٩	الكاء عند رؤية الكعبة
٢٢	سر الاتجاه للكعبة
٢٤	من أسرار الطواف .. ولماذا سبعاً ؟
٢٥	أول بيت وضع للناس
٣٣	إعادة بناء الكعبة .. في عصر إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام
٤٠	أول من بنى الكعبة
٥٧	البيت قبل إبراهيم .. والله الذي أرشده إليه
٦٤	محرقة إبراهيم وماجر إلى مكة
٧١	زبرم .. رصدق التروكل على الله
٧٣	إنبلاء إبراهيم في رلده
٧٨	بركة البيت .. والملح البرور
٨٨	ومن بركات الحرم .. تحريم القتال فيه
٩١	البيت حطابة للناس
٩٢	السمى بين الصعاب والبررة
٩٧	الوقوف بركة
١٠٦	دعاء يوم حرة
١١٣	المشعر الحرام
١١٥	رمى الجمل
١١٧	من أسرار الرحمة .. الإيمان بالتكليف والعمل به بل سرقة الحكمة منه
١٢٨	ذبح الهنقى
١٣٠	مكان ذبح الهنقى

الموضع

١٣٩	.....	الملك والقصير
١٤٢	.....	الملكة من الملك والقصير
١٤٣	.....	طواف الإفاضة
١٤٧	.....	التحليل
١٥١	.....	التركيب في رمي الجمرات
١٥٢	.....	منى مكان ومكين
١٥٤	.....	الاغلاف في أفعال الحج
١٥٧	.....	اجتهاد .. وليس خلافا
١٥٩	.....	الاماء في الحج
١٦١	.....	تجيبات ونصائح للحجاج
١٦٥	.....	حكاية قل مقام إبراهيم
١٦٨	.....	فضيلة موافقة يوم عرفة يوم الجمعة
١٦٩	.....	تحتي الموت بالمعرفه
١٧٠	.....	الحج عن الغير
١٧١	.....	الحج .. والنية
١٧٤	.....	لماذا الحج ؟
١٧٥	.....	ثواب الحج للزور
١٧٦	.....	الطواف حول بيت الله
١٧٩	.....	حجوا قبل الآ تحجوا
١٨٠	.....	الزواحف
١٨١	.....	اجلاء هاجر وشجرة الحج
١٨٥	.....	عروة ورس النسيئة
١٨٦	.....	الرحمة في الحرم
١٨٧	.....	زمني حجوا بحجر
١٨٩	.....	زيارة المسجد النبوي
١٩٧	.....	المهرس